تاريخ نصارى العراق

منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية الى ايامنا

تأليف
رفائيل بابو اسحق

مطبعة المنصور — بغداد ١٩٤٨

مقدمة

ان نصارى العراق لمن شكّانه القدامى . وقد شاركوا مواطنيهم في السراء والضراء ومابرحوا الى اليوم يشاركونهم في الضيق والرفاه . فخدموا الوطن ورفعوا منار العلم ومهدوا وسائل التهذيب . ومنذ القرون الاولى للميلاد جروا في حلبة المعارف وتسابقوا في ميدان الصناعات . فتضلعوا من العلوم وشادوا المدارس واقاموا المستشفيات . وفي الوقت نفسه نبغ منهم العلماء والاطباء والفلاسفة الذين لا تزال مصنفاتهم الى اليوم مورداً تستمد منه الافهام والاقلام .

وقد تكلمنا في هذا الكتاب عن تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في اقطاره الى ايامنا . فلخصنا تقلبات احوالهم الاجتماعية والادبية والاقتصادية عصراً عصراً . وما قاسوا من اهوال المحن في مطاوي هذه السنين . وذكرنا اشهر كتابهم في عالم الادب وما صنفوا من الاسفار النفيسة . ثم بينا خدماتهم في سبيل تقدم العلوم وما اتوا من الاعمال الخالدة لخير الانسانية . معتمدين على اصدق الكتب . مشيرين الى اخص المراجع عسى ان نحذو حذوهم ان شاء الله .

بغداد في ٢/٢/١٩٤٨ — روفائيل بابو اسحق

توطئة

في الشعوب التي هبطت العراق قبل النصرانية

كان وادي الرافدين في الازمنة الغابرة مهد الحضارة البشرية ومهبط الشعوب القديمة . فقد ازدهرت في ربوعه دول عديدة تعتز كتب الأخبار بذكرها وتفتخر بحضارتها .

في فجر التاريخ هبط العراق الشمريون ويبدو لأرباب البحث والتحقيق انهم من سكان المناطق الجبلية . انحدروا من الشرق فارتادوا بقاع الأهوار والمستنقعات عند مصب الرافدين (١) . ثم ما لبثوا ان ظعنوا في جنوبي سهل شنعار (٢) . وقد اقاموا اسس حضارة تعود الى الألف الرابع قبل الميلاد . فشادوا المدن والدساكر وجدوا في شؤون الزراعة والري . وتعاطوا فنون التجارة والصناعة والمعارف .

وفي بداءة الألف الثالث قبل الميلاد تسرب الأكديون من اطراف جزيرة العرب (٣) مجتازين سواحل الأقطار السورية . فحلوا جماعات جماعات في القسم الشمالي من شنعار وتركوا وراءهم قوافل من سوادهم في انحاء سورية وارجاء كنعان (عرفوا بعد ذلك بالأموريين او الساميين الغربيين لأنهم وافوا من امورو من بلاد سورية العليا) . فتدرب الأكديون على الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة واقتبسوا اصول حضارة تلك الأمصار . ثم اشتد ساعدهم فنهض زعيم من زعمائهم سرجون الأكدي

(١) لم يكن الرافدان في العصور القديمة على ما نشاهدهما الان بل كان احدهما يبعد عن الاخر زهاء عشرين فرسخاً وهما يصبان في مستنقع عظيم اي في خليج فارس اليوم .

(٢) لم يتوصل الاثاريون الى تعيين موقع شنعار تعيينا مدققا وان غلب القول على انه ارض بابل . وقد وردت هذه الكلمة في العهد القديم (سفر التكوين ١٠ : ١٠ و ١١ : ٢ و ١٤ : ٩ . وسفر اشعيا ١١ : ١١ . وسفر دانيال ١ : ٢ ...) .

(٣) C. H. W. Johns : Ancient Babylonia, p. 18-19.
L. W. King : A. History of Babylon, p. 119-120 ,

الاول (منتصف الألف الثالث قبل الميلاد) واستطاعوا بمساعيه ان يتملكوا على ديار الشمريين الذين لم يستطيعوا اذ ذاك ان يضبطوا ازمة ملكهم اثر الوقائع المتواترة بينهم فانبسط الاكديون فى اطراف البلاد وقويت صولتهم فى الآفاق وقهروا كل من ناوأهم من الامم حتى امتدت مملكتهم من عيلام شرقاً الى البحر المتوسط غرباً [1]

وهت قوى الاكديين فنشأت فى ديارهم سلالات متعددة فى مدن مختلفة بيد ان الاموريين مزقوا شملها واعادوا توحيد البلاد . فتألبوا يداً واحدة وطفقوا يتوغلون فى المدائن . فحطوا الرحال فى سهل شنعار . ثم كثف لفيفهم بمن انضم اليهم من انسبائهم الساميين ونفروا فى عرض البلاد منحدرين جنوبا حتى دوخوا تلك الاقاليم باسرها . فاقاموا دعائم اقدم دولة مستقلة . ومن اشهر ملوكهم المشترع العظيم حمورابي (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق . م)[2] . فنازل العيلاميين والقى الحصار على بروجهم فاستفتحها عنوة ودخلت الاقطار الشمرية كافة فى طاعته . فعلا شان مدينة بابل دار مملكته وما زالت فى تقدم حتى دعيت البلاد باسمها . ثم جمع القوانين الشائعة فى عهده ونقحها وهذبها ونسقها ووضعها دستوراً لرعاياه هذا فضلا عما بذل من القوى فى سبيل احياء الصنائع والفنون والعلوم .

وبينما كان الاكديون يتوغلون فى بلاد شمر احتلت احدى القبائل السامية اشور قادمة من البادية واسست المملكة الآشورية نظير المملكة الشمرية في الجنوب . وبعد عصور طويلة وتدريب على فنون الحروب شرعوا يزحفون على مملكة بابل تابعين مجرى نهر دجلة . فدارت بينهم وبينها رحى معارك دامية ودخلوها . ففرقوا الاحزاب وقمعوا كل من عاندهم حتى دانت لهم جميع الامصار . وامتدت فتوحاتهم غرباً فحاصروا المدن السورية والبلاد الفنيقية فاخضعوها لسطوتهم ولبثت

(١) S. Lloyd : Twin Rivers, P.16-38

(٢) كان حورابي معاصراً ابراهيم الخليل وهو المعروف في التوراة باسم امرافيل (سفر التكوين ١٤ : ١) على ما اثبته النقاب الاب هيل الدومنيكي (مجلة لغة العرب ١ ـ ٣١٨)

تؤدي الخراج لهم . وفى ايام ملكهم سرجون الاشوري (٧٢٢ — ٧٠٥ ق . م) واعقابه من تسنموا عرشه بلغت الامبراطورية الاشورية ذروة المجد والرفعة فتواردت اليها الارزاق والغنائم وكثرت فيها المعاقل والحصون وتعددت الهياكل والابنية الضخمة حتى صارت اعظم مملكة شاهدها العالم بعد الخليقة ولم تكن قوة في الارض تجرؤ على مناوأتها [1] . ثم اعتراها الوهن فاخذت تتراجع وتتقهقر . فزحف عليها الكلدانيون وغيرهم واستفتحوا مدائنها قهراً ودكوا اسوارها دكا فاصبحت سنة (٦١٢ ق . م) اثراً بعد عين .

وفى فاتحة المائة الخامسة عشرة ق . م . تعاظم تسرب الاقوام السامية من اعالي جزيرة العرب[2] وتدفقت موجاتهم فى انحاء شنعار الغربية منهم الارميون [3] الذين نزلوا فى قلب سورية وتغلغلوا فى ارجائها ثم ساحوا وخيموا فى اعالي ضفاف الخابور ومجاري الفرات . وفى اواخر المائة الثانية عشرة ق . م. اقاموا ممالك اعظمها مملكة دمشق وحماة . شادوا فيها المدن الواسعة والاسوار الحصينة والقصور الانيقة وقد برع ابناء ارم فى فنون التجارة واقتبسوا من اهل فنيقية الحروف الابجدية وتعلموا من سكان مصر الكتابة بالحبر والقلم. فانتشرت كتابتهم وتغلبت على الكتابة

(١) العصور القديمة ص ١١٥ .

(٢) A. Clay : Light on the Old Testament from Babel, p. 16.-138. 14[illegible]

G. Rawlison : Five Great Monarchies, Vol. II. p. 435-497.

(٣) ورد فى العهد القديم (سفر التكوين ١٠ : ١٢ — ٣٠) : ان الارميين من نسل ارم خامس انجال سام بن نوح . ووردت كلمة ارم فيه مضافة الى عدة اسماء يراد بها موطن او قبيلة او ارض عالية مثل : ارم صوبا وارم النهرين وارم دمشق (سفر التكوين ٢٤ : ١٠ و٢٥ : ٢٠ وسفر اخبار الايام الاول ١ : ١٧ و ٢ : ٢٣ و١٩ : ٦ . وسفر العدد ٢٣ : ٧ . وقاموس الكتاب المقدس ١ : ٥٧ .

وعد العرب القبائل البائدة ساميين من نسل ارم بن سام الا العمالقة فيقولون انهم من نسل لاوذ اخي ارم . راجع تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢ : ١٩ و ٧١ و٢٠٩ . وتاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص ٨١ و ٨٥ . والكشاف ٤ : ٢٠٨ـ٢٠٩ .

المسمارية السائدة اذ ذاك في اشور وبابل وتعلمها الاقطار التي تاجروا فيها . فاضحوا ذوى نفوذ ادبي اقتصادى اورجال تجارة وأدب . اما ممالكهم فاعتراها الوهن فدخلت في حوزة الكلدانيين بعدما كان قد سطا عليها الاشوريون فى مطاوي المائة الثامنة ق . م [1]

اما الكلدانيون — اقارب الارميين — فكانوا من البداة الساميين من سكان بلاد بابل وساحل خليج فارس فأعادوا على مسرح وادي الرافدين الرواية التي رواها قبلهم انسباؤهم الاكديون والاموريون والاشوريون . فانتشروا فى عرض البلاد وطولها وجددوا بناء مدينة بابل واتخذوها مباءة لمملكتهم . ثم غالوا في الفتوح وزحفوا بجنودهم الكثيفة على اشور ومازالوا غانمين ظافرين حتى اقاموا الامبراطورية الكلدانية : الامبراطورية السامية الاخيرة . فكانوا امة قوية قديمة [2] ومن اعظم ملوكهم بختنصر (٦٠٤ - ٥٦١ ق . م) وقد بلغت مملكته من الشهرة والرفعة فى المشرق مابلغت مملكة الرومان فى المغرب فى عهدالقياصرة العظام . وجرى في مدينة بابل من الاعمال العظيمة والانشاءات الجسيمة ما لم يجر فى غيرها من المدن فتحاشدت اليها الجبايات والارزاق وامتدت اليها اسباب التجارات من كل اوب . واتسع فيها نطاق الثروة والغنى حتى لقبت بمدينة الذهب وفخر الممالك وبهجة عظمة الكلدانيين[3] وفى الوقت نفسه بلغ شعبها اعظم مبلغ من الرفاه والنعمة . وتناهت حالها فى الفنون والآداب والمعارف ولاسيما فى علم الفلك .

تقدمت المملكة الكلدانية وما برحت تتقدم في معارج الجاه الى ان تفرغ اهلها للملذات والملاهي فلم يستطيعوا ان يصدوا هجمات جيش قورش ملك الفرس

(١) راجع مقالنا عن الارميين في مجلة سومر ٣ : ٣١٨-٣٢٠

(٢) سفر ارميا ٥-١٥

(٣) تاريخ بابل واشور ص ١٥ . وسفر اشعيا ١٣ : ١٩ .

فتح ابواب عاصمتهم سنة (٥٣٩ ق.م) . وهكذا زالت السيادة من الشعوب السامية وانتقلت الى الشعوب الارية [1]

* * *

قضي الامر واحتل الفرس وادي الرافدين وفى عهد ملكهم داريوس (دارا) (٥٢١-٤٨٥ ق.م) اتسعت رقعة مملكتهم اتساعا حتى اصبحت اعظم امبراطورية ظهرت فى الشرق الادنى القديم تمتد من نهر السند شرقاً حتى سواحل بحر ايجة غربا ومن المحيط الهندي جنوباً حتى بحر قزوين شمالا . وبعد ان توج دارا ملكا على بابل ومصر وقبض زمام احكامها قسم بقية المملكة الى عشرين ولاية اقام لكل منها عاملا يدعى (مرزباناً) . وسن لها انظمة عادلة توافق مشاربها وساس الشعوب والامم التي دانت لسلطانه بالحكمة والسداد . ومنح كل ولاية استقلالا فى ادارة شؤونها الداخلية مادامت تؤدي الاتاوات في اوقاتها وترسل رجالها للقيام بالخدمة العسكرية ثم جد كل الجد فى تنظيم طرق المواصلات وجباية الضرائب . وبنى اسطولا بحريا وشجع الحركة العلمية . بيد ان الحروب الطوال مع اليونان انهكت قوى الامبراطورية . فدب الضعف فى جسمها ولم تقدر ان تقاوم الاسكندر المقدوني (٣٣٦—٣٢٣ ق.م) فقضى عليها عام (٣٣٠ ق.م) .

وبعد ان اتخذ الاسكندر بابل عاصمة لسرير ملكه الشرقي اخذ يفكر فى انجاز فتوحه لكي يتم له تأسيس امبراطورية تضم تحت جناحيها كل العالم المعروف في عهده . الا ان المنية عاجلته قبل تعزيز ما نوى وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره . فاقتسم قواده مملكته الواسعة اذ لم يكن له وارث . فتجزأت الى ثلاث دول كانت نصيب قائده سلوقوس نيكاتور (٣١١-٢٨٢ ق . م) اسية الصغرى وسورية والعراق وبلاد فارس .

(١) المصور القديمة ص ١٢٩ و ١٣٦ .

وطد سلوقوس اموره وبنى فى العراق مدينته المسماة باسمه (سلوقية Seleucia) على عدوة دجلة ووهب كل مديـــــنة استقلالا اداريا على النمط اليوناني القديم اعني ان كل مدينة كانت تعد جمهورية مستقلة بنفسها يتولى ادارة الحكم فيها جماعة من سكانها . وكانت هـذه المدن المستقلة مبثوثة في جميع ارجاء المملكـة تخضع للملك وتؤدي الجزية . بيد ان الاضطرابات الداخليـة طفقت تتسرب في البـــــلاد فهب البرثيون [1] وشادوا اسس مملكتهم على انقاض مملكة السلوقيين .

استولى البرثيون على العراق وفى عهدهم انتشرت فيه النصرانية في غضون المائة الاولى للميــــلاد . فترك سكانه المتنصرون اسمهم القديم واسموا نفوسهم (سريانا) تمييزاً لهم من الوثنيين . وقد استحسنوا هذه التسمية لان النصرانية وافتهم من سورية وكلمة (سوريايا) الارمية معناها (نصراني) والى يومنا لا تزال كلمة (سورايا) لدى المتكلمين باللغــة الارمية العامية مترادفة لكلمة (نصراني) لاي جنس اوامة كان [2]

وفى المائة الخامسة للميلاد ظهرت في الشرق تعاليم نسطور واوطاخي [3] وانتشرت فى البلاد الشرقية ولاقت سوقاً رائجة . فالمسيحيون الذين تبعوا مذهب نسطور دعوا (نساطرة او سريانا شرقيين) والذين انضووا الى لواء اوطاخي سموا

«١» كان اصل البرثيين من الشعب الاشكاني او الاشغاني . وهم ساكنو البلاد الجبلية التي في شرق بحر قزوين وجنوبيه .

«٢» طالع : اللمعة الشهية ١ : ٨ — ١٣ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ج - ز . وذخيرة الاذهان ١ : ٢٨ و ٢ : ١٩٤ — ٢٠١ و ٢٤٠ . ودليل الراغبين ص ٩ — ١١ . ومجلة المشرق ٣ : ٨١٧ — ٨١٩ .

«٣» قال نسطور ان في المسيح المتجسد اقنومين وطبيعتين . وقال اوطاخي ان فيه اقنوما واحداً وطبيعة واحدة .

(يعاقبة اوسريانا غربيين) [1]

هـــذا وفي مطاوي المائة الرابعة عشرة للميلاد هبط هذه الديار المبشرون الغربيون فتبعت جماعات من النساطرة واليعاقبة الكنيسة الكاثوليكية فاسمى اذ ذاك النساطرة نفوسهم (كلدانا) واليعاقبة (سريانا) وهم لايزالون الى اليوم يعرفون بهذا الاسم .

«١» مروج الذهب ٢ : ٣٢٨ . والنصرانية وآدابها ١ : ٨٦ — ٨٧ . والعرب قبل الاسلام ص ٢٠٠

الفصل الاول

نصارى العراق فى عهد البرثيين

الحكم البرثى

ظهرت النصرانية والعراق اذ ذاك فى عهد البرثيين [1] وقد شاد دعائم مملكتهم قائدهم ارشك الاول (٢٥٠—٢٤٨ ق . م) فطفقت حدودها تمتد حتى ضمت بين جناحيها معظم مدن الافغان وجميع اطراف المملكة الايرانية وجزءاً وافياً من اقطار روسية هذا فضلا عن بلاد مادي والعراق وبابل واشور واما عاصمتها فكانت مدينة طيسفون [2]

لم يكون البرثيون من بلادهم وحدة سياسية بل قسموها الى امارات وبلدان مستقلة يحكمها امراء او ملوك وقد منحوا بعضهم استقلالا اداريا وسياسياً واكتفوا بالجزية التي كانوا يتقاضونها منهم . بينما فرضوا على غيرهم ان يبعثوا الجيوش لترافقهم في حملاتهم وحروبهم . ولهذا كانت ايام حكمهم مفعمة باضطرابات داخلية وخارجية اصبحت من جرائها رقعة ملكهم ساحات معارك دامية دارت رحاها بين ملوكهم وبين الاقوام الجبلية البعيدة المجاورة بحر قزوين . وبينهم وبين الرومان . وهكذا تمادت الملاحم الطاحنة على المملكة البرثية فدارت الدوائر عليها فسقطت سنة (٢٢٦ ق . م) وقامت [3] على انقاضها الدولة الساسانية التي سادت اقطارنا العراقية الى ظهور الاسلام .

وكان دين المجوسية فى تلك الاونة سائداً فى انحاء العراق يتحكم سدنته

(١) انظر ص و

(٢) بني مدينة طيسفون الملوك البرثيون على الجانب الايمن من نهر دجلة . ويشاهد في موقعها اليوم ديوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان باك) .

(٣) تاريخ كلدو واثور ١ : ١٦٣—١٦٩ . وتاريخ الموصل ١ : ١٦—١٨ . و ٢ : ١٠—١٢ . والحيرة ص ٣—٤ .

في رقاب الناس ويتصرفون في معتقداتهم وهم يعلمونهم ان لهذا العالم قانوناً يسير عليه . وان هناك نزاعاً لايهدأ بين القوى المختلفة بين النور والظلمة اي بين الهة الخير والهة الشر . وان اعمال الانسان الصالحة تساعد الهة الخير على منازلة الهة الشر وكانوا يتخذون النار رمزاً لالهة الخير يشعلونها فى معابدهم وينفحونها بامدادهم حتى تقوى على الهة الشر . اما زعيمهم موبذان موبذ (قاضي القضاة) فكان يقيم في طيسفون عاصمة المملكة يتوج الملك ويشاطره في نفوذه [1]

تلك كانت حالة وادي الرافدين الاجتماعية والسياسية والدينية يوم توغلت النصرانية في ربوعه .

انتشار النصرانية

ان الانباء التي وافتنا عن نصارى بلادنا الاولين ضئيلة جداً اذ لم يتصد المؤرخون الى تدوينها الا فى القرون المتوسطة غير انهم يؤيدون ان مار [2] ادي احد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين [3] وتلميذه مار ماري بشرا في نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق [4] فى المائة الاولى للميلاد واوردوا على قولهم النصوص الصريحة [5] .

[١] فجر الاسلام ص ٩٨–١٠٧ . وتاريخ الموصل ٢ : ٨—٩ والحيرة ص ٥ .

[٢] مار : كلمة ارمية معناها السيد وتطلق على القديسين والبطاركة والاساقفة .

[٣] انجيل لوقا الاصحاح العاشر .

[٤] المجدل ص ١–٢ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١–٥

[٥] راجع التاريخ الكنسي ٢ : ١١–١٤ . والنصرانية وآدابها ١ : ٧٤–٧٥ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ١–١٤ . والدرر النفيسة ص ٧٦ و ١٩٧ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٢–٣٩ و ٢ : ٢٤١–٢٥٩ ومجلة المشرق ١ : ١٠٠ و ٢٥٧–٢٦١ و ٣ : ٨١٧–٨١٩ . ومجلة النجم ٦ : ٢٤٢ و ١٠ : ١٠–١٣ و ٦٥–٦٦ و ٧١ . وسير الشهداء والقديسين ١ : ٤٥–٩٤ و ٢ : ٥١٢ . والمكتبة الشرقية ٤ : ٥–٣٠ . Assemani : Bibliotheca Orientalis, Vol. IV 5-30

قال جاثليق [١] المدائن [٢] طيمثاوس الاول (المتوفى سنة ٨٢٣م) مامعناه:

« كانت الديانة المسيحية منتشرة لدينا بعد صعود ربنا الى السماء بنحو من عشرين عاماً »[٣]

وكتب المسعودي فى سفره التنبيه والاشراف :«والعباد [٤] تذكر ان اول البطاركة [٥] السريانيين الذين نزلوا كرسي المشرق على قديم الايام بعد صعود المسيح الى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد توما احد الاثني عشر ادي السليح [٦] قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو ادي بر [٧] ماري (كذا) من السبعين وهو نصر اهل المدائن وديرقنى [٨] وكسكر [٩] وغيرها من السواد وبنى بيعتين

[١] الجاثليق : كلمة يونانية تعني العام اى الاب العام

[٢] جاء في معجم البلدان عن المدائن « ٤ : ٤٤٥-٤٤٦ » : « ان هذا الموضع كان مسكن الملوك من الاكاسرة الساسانية وغيرهم . فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التى قبلها وسماها باسم . فاولها المدينة العتيقة التي لزاب ثم مدينة الاسكندر ثم طيسفون من مدائنها ثم اسفانبر ثم مدينة يقال لها رومية فسميت المدائن بذلك والله اعلم ... وانما سمتها العرب المدائن لانها سبع مدائن بين كل مدينة الى الاخرى مسافة قريبة او بعيدة » .

[٣] مجلة النجم ١٠ : ١١ .

(٤) العباد اوالعباديون نصارى من عدة بطون وقبائل نزلوا الحيرة قبل الاسلام فاستوطنوها اما سبب تسميتهم بالعباد فعللها ابو الفرج فى الاغاني قائلا (١١ — ١٥٦) : « ثم اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ : آل عباد الله فسموا العبـاد » . راجع عن العباديين معجم البلدان ٢ : ٣٧٩ وكتاب التنبيـه والاشراف ص ١٤٣ و ١٤٨ ومعجم ما استعجم ص ١٨. وتاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ . ومروج الذهب ٢: ٣٢٨. والنصرانية وآدابها ١ : ١٣٣—١٣٤ و ١٥٤ و ٢ : ٤٤٥ و ٤٥٧ . والحيرة ص١٦ . والعرب قبل الاسلام ص ٢٠٠ .

(٥) البطاركة مفردها البطريرك كلمة يونانية الاصل معناها رئيس الاباء .

(٦) السليح كلمة مأخوذة من شليحا الارمية بمعنى الرسول .

(٧) بر كلمة ارمية معناها الابن .

(٨) قال الحموي (٢:٦٨٧) : «ديرقنى بضم اوله وتشديد ثانيه مقصور يقع على ستة عشر فرسخا من بغداد منحدراً بين النعمانية وهو في الجانب الشرقي معدود في اعمـال النهروان وبينه وبين دجلة ميل ...»

(٩) كسكر مدينة تقع قرب واسط مدينة الحجاج على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة .

احداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذ وجعلها كرسياً لمن يأتي بعده من البطاركة ورسم الا تتم البطركة لمن ينصب لها الا فى هذه البيعة واخرى بدير قنى وقبره بها [١] ».

شاعت النصرانية فى العراق في مطاوي المائة الاولى والثانية من حياتها فدان بها جموع غفيرة من الشعوب القديمة المبثوثة فى اصقاعه [٢] وقد لاقت من اعدائها ما يلاقي كل دين جديد لدى انتشاره ولاسيما فى تلك القرون المتسكعة في ظلمات الجهل والتعصب . راقبها المجوس بعين الحسد فوقفوا حائلا دون تقدمها وضيق كهانهم الخناق على رؤسائها فحرضوا ملوكهم على اضطهادها .

لم تستقر احوال نصارى اقطارنا فى عهد الملك البرثي كسرى فقد شعل سنة (٨٩ م) نار اول اضطهاد عليهم ثم نكل بهم تنكيلا مريعا بل اباد منهم خلقاً كثيراً . بيدانهم نالوا الراحة فى اواخر حكمه فاستطاعوا بكل حرية ان يقوموا بامور دينهم وفروض عقائدهم [٣].

هذا وكان ملوك الروم يطمحون الى العراق يرومون الاستيلاء عليه فبلغت جحافلهم الجرارة نهر دجلة واجتاحت مدنه . وكانوا فى اثناء زحفهم يثيرون الاضطهادات على النصارى كما كانوا يثيرونها على نصارى مملكتهم . فالأمبراطور تريانوس بعدما استفتح المدائن عنوة سنة (١١٥ م) اضرم عليهم لهيب الاضطهاد واذاقهم انواع الخسف والهوان فاهلك منهم جماً غفيراً . ثم اقتص خطواته السواد الاعظم من القياصرة من توغلوا في هذه البلاد [٤] .

(١) كتاب التنبيه والاشراف ص ١٤٩ .

(٢) اعمال الرسل ٢ : ٩ .

(٣) ذخيرة الاذهان ١ : ٤٩-٥٠. والتاريخ الكنسي ٢ : ١٩ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٣٨ - ٤٠ . ومجلة المشرق ٣ . ٨١٩ .

(٤) تاريخ كلدو واثور ٢ . ١٤ - ١٨. وذخيرة الاذهان ١ . ٥١ - ٥٢ . وشهداء المشرق ١ . ٤٢ - ٦٨ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٤٠-٧٣ . والحيرة ص ٣ .

الاداب الدينية والاجتماعية

تمتع نصارى وادي الرافدين بالحرية في عهد الجاثليق ابراهيم الكسكري (المتوفى سنة ١٢٠م) وفي رئاسة عبد المسيح اسقف [١] اربل (المتوفى سنة ٢١٦ م). وفي ايام الجاثليق احاد ابوي [٢] (المتوفى سنة ٢٢٠م) [٣] وقد عاشوا عيشة خالية من الابهة يرممون ماتهدم من معابدهم ومساكنهم ومدارسهم. يهذبون ابناءهم تهذيباً علمياً دينياً طبقاً لوصايا الرسل. ويجتمعون في بيعهم او في دور رؤسائهم واشرافهم يتلون الكتاب المقدس وينشدون المزامير [٤] واحياناً كانوا يضطرون الى ارسال الهدايا السنية الى رجال الدولة ليبعدوا عنهم اذى المجوس الذين كانوا ينهبون بيوتهم ويخطفون اولادهم ليعلموهم المجوسية [٥].

وكانوا يومئذ قد نبذوا اعمال المجوسية المستهجنة وراعوا الآداب الدينية في حياتهم اليومية. وقد ذكر ذلك ططيانس الحديابي [٦] (المتوفى سنة ١٨٠م) في خطابه الى اليونانيين يثني فيه على اداب المسيحيين والمسيحيات [٧] وحبر برديصان (المتوفى سنة ٢٢٢ م) في صفحات سفره القدر الموسوم بشرائع البلدان مامفاده: «ماذا نقول عن طائفتنا النصرانية الجديدة التي اسسها المسيح في كل صقع وقطر. فاننا نعرف بالمسيحيين حيثما حللنا واينما رحلنا. وان اخواننا من في بلاد البرثيين لايتزوجون امرأتين. ومن في فارس لايقترنون ببناتهم ومن في مادي

(١) الاسقف كلمة يونانية بمعنى الرقيب او الناظر وهو رئيس الكهنة.

(٢) احاد ابوي كلمة ارمية مركبة معناها اخو ابيه لانه كان اشبه الناس بأبيه.

(٣) المجدل ص٣ـ٥. واخبار فطاركة كرسي المشرق ص٥ـ٧. وتاريخ كلدو واثور ٢: ١١

(٤) ذخيرة الاذهان ١: ٤٣ـ٤٤.

(٥) تاريخ كلدو واثور ٢: ١٠ـ١١ و ١٣.

(٦) الحديابي نسبة الى حدياب. فكانت قبل الميلاد تمتد من الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى اذربيجان وبعد الميلاد اتسعت فشملت اذربيجان وبقعة نينوى كلها وسماها العرب (حزة).

(٧) تاريخ كلدو واثور ٢: ١٩.

لايهربون من موتاهم ولا يدفنونهم وهم احياء ولا يلقونهم للكلاب لتفترسهم. ومن في حطارا [١] لايرجمون اللصوص. واما الذين في الرها [٢] فلايقتلون زوجاتهم ولا خواتهم الزانيات بل يتجنبونهن مسلمين امرهن لدينونة الله [٣]».

وتجنب المسيحيون العراقيون الاولون خرافات المجوسية فاقروا بخلود النفس واشاروا الى ثوابها اوعقابها يوم الحشر [٤] وتعمقوا في تفاسير الكتب المقدسة ووقفوا على تعاليمها [٥] وفي سنة (١٩٧ م) اجتمع الاساقفة وعينوا يوم الفصح وغيره من الاعياد [٦].

لقد شاهد نصارى العراق تقلبات الدولة البرثية فعاشوا بين الضيق والرخاء والحرب والامن. واذا حدث خلاف بينهم تلافى الامر رؤساؤهم قبل استفحاله. فساسوا شؤونهم واعتنوا بمصالحهم الروحية والاجتماعية يطيعون جاثليق المدائن ويتخذونه رئيس اساقفتهم وقد اضحى كرسيه على تمادي الزمن في مقدمة كراسي المشرق تخضع له كل كنائس السريان الشرقيين التي بنيت في بلاد الجزيرة

(١) حطارا هي مدينة الحضر وكانت مدينة عظيمة عن يمين نهر الثرثار ازاء تكريت في جنوبي الموصل تبعد عنها نحو خمسة وثمانين كيلو متراً. اما في عهد الدول البرثية فكانت امارة ارمية مستقلة (تاريخ الموصل ١: ٣٠)

(٢) الرها [Edesse] مدينة في الجزيرة كانت تسمى في عهد السلوقيين كالروى وتاويلها الينبوع الحسن فاختصر السريان هذا اللفظ وقالوا (اورهاي) واخذه عنهم العرب وقالوا (الرها) وتسمى اليوم اورفة (تاريخ مختصر الدول ص ٧).

(٣) راجع عن برديصان مجلة المشرق ١٨: ٩٧٧. وتاريخ مختصر الدول ص١٢٥. والتاريخ الكنسي ١: ٤٥. والدرر النفيسة ٢٤٨ـ٢٥١ و٤١٥. وتاريخ كلدو واثور ٢: ٢٠ـ٢٢ والاداب السريانية لدوفال ص ٢٣٥ـ٢٤١

Duval : La Litterature Syriaque, P. 235-241

(٤) النصرانية وادابها ٢: ٣٣٨ ـ ٣٤٢

(٥) ذخيرة الاذهان ١: ١٥٠ـ١٥٣. والنصرانية وادابها ٢: ٣٩٣.

(٦) تاريخ كلدو واثور ٢: ٦.

وفارس والعرب وتركستان والهند والصين(١)

الشؤون الاقتصادية والعلمية

احترف نصارى وادي الرافدين الحرف المختلفة ليقوموا باودعيشهم فتعاطوا الاعمال الحرة واشتغلوا نظير آبائهم الاشوريين والكلدانيين بفلاحة الارض وتربية الحيوانات الداجنة وتفننوا مثل جدودهم الارميين في التجارة والاداب فربحوا الاموال الطائلة وفي الوقت نفسه زاولوا صناعة التعليم واتقنوا هندسة البناء ومهروا في فنون التصوير والصياغة والحياكة والنجارة والحدادة (٢) وسنرى كل ذلك في الفصول الاتية .

وبنيت المدارس المسيحية الاولى في الكنائس . واول كنيسة عراقية شيدت في المدائن هي كنيسة كوخي العظيمة التي اقام دعائمها مارماري وبنى اخرى في ديرقنى (٣) ثم شاد الاساقفة كافة في كل مدينة او قرية كنيسة او كنائس في داخلها مدرسة يتعلم رعاياهم بين جدرانها اصول الكتابة والقراءة وسائر العلوم المعروفة في تلك الازمنة وعلى الاخص الاداب الدينية والمعارف اللاهوتية

بنى النصارى في مطاوي القرون الثلاثة الاولى للميلاد كنائس عديدة(٤) في حدياب واربل وكرخ سلوخ (٥) وفرات ميشان(٦) وغيرها . كما بنوا في جوارها

(١) راجع عن نفوذ كرسي المدائن: اخبار فطاركة كرسي المشرق ص٨-٤٦. والمجدل ص ١٣-١٦. وتاريخ كلدو واثور ٢:٧. ومجلة النجم ١:٦٨-٧٠. وذخيرة الاذهان ١:٣٧-٤٠. والنصرانية في مملكة فارس للابور ص ١٥-٢٧

Labourt : Le Christianisme dans L'Empire Perse, P . 15-27

(٢) تاريخ الموصل ٢:٨ .

(٣) المجدل ص ٨. واخبار فطاركة كرسي المشرق ٤-٥. وكتاب التنبيه والاشراف ص١٤٩. ومجلة سومر ٣ : ١٠٠و١٠٧. ومجلة النجم ٦:٥٤-٥٨ ومجلة المشرق ٣٧:١٨٠-١٩٨.

(٤) تاريخ كلدو واثور ٣ : ٥ .

(٥) كرخ سلوخ مدينة كركوك اليوم .

(٦) فرات ميشان اوبرات ميشان اوميشان اوميسان او دستميسان مدينة البصرة اليوم (الديورة في مملكتي الفرس والعرب ص١و٣. واخبار فطاركة كرمي الشرق ص ٤) .

مدارس(١) غير ان احوال الزمان واهوال الاضطهادات حالت دون تعيين مواقعها وبلوغ اسمائها الينا ولا سيما في العصور المتاخرة حينما تناوبت ديارنا دول متعددة وانتابتها غارات شديدة ذهبت بمعالمها وقضت على اثار مجدها . وقد ظهر في غضون القرن الثاني والثالث علماء عديدون فلاريب انهم تثقفوا في معاهد البيع وتهذبوا في غرف المعابد . وقد اهتم شحلوفا جاثليق المدائن (المتوفى سنة ٢٤٤ م) وغيره بالمدارس اهتماما لامزيد عليه(٢) .

هذا وتفقه نصارى العراق في مطاوي هذه الاونة في اساليب لغتهم الارمية الانشائية وكانت لغة سكان مابين النهرين واقطار الشام وتغلغلت في بلاد فارس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها . ثم امتدت الى وادي النيل واسية الصغرى وشمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت دهوراً طوالا اللغة الرسمية والتجارية للامم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد في بابل واشور وفارس ومصر وفلسطين (٣)

ومن اشهر علماء النصارى العراقيين الذين ظهروا في تلك الازمنة ططيانس الحديابي المعروف بالاشوري (المتوفى سنة ١٨٠م) . ولد في ولاية اشور عام (١١٠ م) وقرأ على مشاهير عصره آداب اللغة الارمية واليونانية فوضع مؤلفات

(١) تاريخ كلدو واثور ٢:١١ وذخيرة الاذهان ١ : ٤١ و ٥٦ ومقدمة شهداء المشرق ص د والحيرة ص ٥٥ والاداب السريانية لدوفال ص ٤ .

(٢) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص٧ . والمجدل ص١٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٥٦. والتاريخ الكنيسي ٢ : ٢٥—٢٧ . وعصر السريان الذهبي ص ٦ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٨

(٣) اللؤلؤ المنثور ص١٦, واللمعة الشهية ص١٩٢-١٩٣ .والعرب قبل الاسلام ص٨٠. وتاريخ اللغات السامية ص ١٢٥ و١٤٤-١٤٩ .والعصور القديمة ص ١٠٩-١٠٠ و ١٢٤-١٢٥ و ١٤٠. وتاريخ كلدو واثور ١ : ١٦٠-١٦٢ والاداب السريانية لدوفال ص ٤ . والتاريخ القديم لشعوب الشرق تأليف مسبروص ٧٧٥-٧٧٦.والاشوريون ومن جاورهم لونغرام ص ٢٧-٢٩ .

Maspero : Histoire Ancienne des Peuples de l' Orient, P.775-776

W. Wigram : The Assyrians and their Neighbours, P. 27-29

يونانية كثيرة لم يصلنا منها سوى خطابه الذي وجهه الى اليونان وبين فيه فضائل النصرانية اي صلاح المسيحيين وصدقهم وحشمة المسيحيات وعفافهن وندد بالوثنية تنديداً شديداً وعذلها عذلا اليماً . بيد انه ادعى بالهين الله مطلق واله خالق وانكر جسد المسيح . وفي نحو سنه (١٧٣ م) حبر بالارمية كتابه المشهور الذي اسماه دياطسرون بلفظ يوناني مركب معناه (من خلال الاربعة) وقد جمع فيه الاناجيل الاربعة في مجلد واحد يتضمن خمسة وخمسين فصلا سبكها سبكاً متقناً محكماً . وكان لسهولته وجودة اسلوبه وترتيبه التاريخي يقرأ في اقليم الفرات وفي كنائس الرها حتى ابطل استعماله اسقفها مار رابولا (المتوفى سنة ٤٣٥ م) حرصاً على سلامة الكتاب المنزل(١) .

(١) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٩ . الدرر النفيسة ص ٢٤٤ـ٢٤٧ . واللؤلؤ المنثور ص ٥٢١ـ٥٢٢ . وتاريخ مختصر الدول ص ١٢٤ . ومجلة المشرق ٤ : ١٠٠ـ١٠٢ . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٨ـ٥٤ . والدياطسرون لمرمرجي ص ٨ـ١١ .
A. - S. Marmardgi : Diatessaron de Tatien, P. V11I-X1,

الفصل الثاني

نصارى العراق في عهد الساسانيين

الحكم الساساني

هوت مملكة البرثيين عام (٢٢٦ م) وانتقلت بلادها الى مملكة الساسانيين او الاكاسرة وقد اسسها اردشير بن بابك (٢٢٦ـ٢٤١م) واتسعت رقعة ملكه ايام خلفائه فشملت اقطار ايران والبختيارية والولايات الصغرى في اواسط اسية الى حدود الصين والهند كما بسطت سلطانها على العراق والجزيرة(١) . واقاموا مقامهم في كل بلدة والياً يدبر شؤونها بعدما اتخذوا مدينة طيسفون عاصمة لهم .

توغل الساسانيون في البلاد والحروب الطاحنة اذ ذاك متواصلة بينهم وبين الرومان . وقد راينا في الفصل السابق(٢) ان هولاء اثاروا على النصارى ايام زحفهم الى وادي الرافدين امر الاضطهادات فأوقد نارها ثانية الملك داقيوس فأمر سنة (٢٥٠ م) ولاته بتقتيلهم فابادوا منهم جماعات جماعات . واما الملك ديوقلتيانوس فراقبهم واراق عام (٣٠٢ م) دماء مئات منهم(٣) .

اضطهد ملوك الروم النصارى كما كانوا يضطهدونهم في بلادهم بينما ملوك الفرس في اوائل عهدهم لم يتعرضوا لهم .فعاشوا معهم في وفاق ووئام دائبين مواظبين على اعمالهم الدينية والدنيوية . الا انهم اضرموا مثلهم نيران الاضطهادات عليهم وقتما وافتهم الانباء بتنصر الملك قسطنطين الروماني سنة (٣١٢ م) ظانين انهم متحزبون لنصارى المغرب ميالون الي قياصرتهم(٤) .

(١) مختصر تاريخ العرب ص ٢٥
(٢) انظر ص ٤
(٣) ذخيرة الاذهان ١ : ٥٩ـ٦٠ . وشهداء المشرق ١ : ٧٤ـ١٤٢ .
(٤) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٨ و٦٠ .

ان اول الملوك الساسانيين الذين اضطهدوا نصارى العراق سابور الثاني الملقب بذي الاكتاف (٣٠٩—٣٧٩ م) وقد أثار حيناً بعد حين اربعة اضطهادات[١] قاسوا في خلالها انواع الظلم والقتل والقساوة . وكان الاضطهاد الرابع الاخير اطولها واقساها وقد دام زهاء اربعين سنة فدعاه المؤرخون الاضطهاد الاربعيني ٣٣٩—٣٧٩م. لقد جار سابور على النصارى ووضع السيف فيهم فمزق شملهم واستاصل شافة معاهدهم الدينية والعلمية واباد منهم عدداً عديداً . قال المؤرخ ماري بن سليمان : « وقتل سابور من المؤمنين بالدير الاحمر وباجرمي[٢] وغيرهما نحو مائة وستين الف رجل وفي بلدان الفرات نحو ثلاثين الف رجل »[٣] وقال المسعودي : « ان سابور ملك فارس قتل منهم نحواً من مائتي الف » [٤] .

ازدهار النصرانية

مات الملك سابور الثاني فتحسنت احوال النصارى ولاسيما في ايام سابور الثالث (٣٨٣—٣٨٨) وبهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩ م) . وفي فاتحة المائة الخامسة عم السلام واستتب النظام بين المسيحيين على اثر الصلح الذي تم بين الروم وبين الملك يزدجرد الاول (٣٩٩ — ٤٢٠) بمساعي مار ماروثا اسقف ميافارقين[٥] (المتوفى في اوائل القرن الخامس) ومار اسحق جاثليق المدائن (المتوفى سنة ٤١٠ م) . فاستأنف المسيحيون اعمالهم واعادوا انتخاب رؤسائهم

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٧٦ .

(٢) باجرمي : البقعة الواقعة بين دجلة والزاب الصغير وجبال حمرين ونهر ديالة .

(٣) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١٣ . والمجدل ص ١٨ .

[٤) كتاب التنبيه والاشراف ص ١٤٩ .

«٥» ميافارقين اشهر مدن دياربكر وسميت مدينة الشهداء لما حوته من ذخائر القديسين الذين استشهدوا في حكم سابور الثاني «٣٠٩—٣٧٩م» كان قد نقلها مار ماروثا اليها .

وأسسوا مجامعهم ورفعوا دعائم كنائسهم ووسعوا غرف مدارسهم وجددوا بناء ديرهم [١] .

ازداد عدد نصارى العراق اذ ذاك وبلغت فتوحاتهم الدينية اوج مجدها [٢] وانضوى الي لوائها جمهور من المجوس ذوي المناصب العالية في الدولة[٣] ثم ازدحمت مكاتب معابدهم بالمصنفات واكتظت حلقات مدارسهم بالطلاب . هذا فضلا عن الهمم التى بذلها الرهبان والاساقفة في تثقيف الشعب العلمي والادبي . فدربوا رعيتهم على الفضائل العالية والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة . وشرحوا لهم اسرار الديانة واصولها وآدابها وشرائعها وكتبها المقدسة غير ان يزدجرد في اواخر ايامه سنة (٤٢٠م) امر باضطهاد النصارى واقتفى اثره ابنه بهرام الخامس جور (٤٢٠—٤٣٨م) ويزدجرد الثاني (٤٣٨—٤٥٧م) ولم تخمد نيران هذه الاضطهادات إلا بعد وفاة الملك هرمزد الثالث فيروز (٤٥٧—٤٨٤م) [٤]

ثارت على نصارى ديارنا الاضطهادات الهائلة وحلت بهم الضربات الأليمة ورغماً عن ذلك فلم تستطع ان تزعزع ايمانهم ولا ان تتغلب على اعتقاداتهم بل زادتهم نشاطاً وقوة[٥] فكان رؤساؤهم يقيمون المجامع ليتباحثوا

«١» اخبار فطاركة كرسي المشرق ٢٩—٣١. والمجدل ص ٢٢—٢٤ . والتاريخ السكنسي ٢ : ٤٧—٤٨ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٤ و ٩٥ و ٩٨—١٠٢. والنصرانية في مملكة فارس للابور ص ٨٧-٩٢.

(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٧٣. وتاريخ كلدو واثور ٢ : و

(٣) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٠٧ و ١١١.

[٤] شهداء المشرق ٢ : ٢٢٤—٢٣٧ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ١٠٦—١٨

[٥] ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٠—١١٠.

في سياسة الكنيسة وينظموا حياة ابنائهم الاجتماعية والعلمية ويوحدوا اعيادهم وصومهم وصلواتهم الطقسية (١). واقر مجمع سلوقية الثاني المنعقد عام (٤١٠ م) ان يجتمع الاساقفة والمطارين فى كل سنتين مرة واحدة لدى الجاثليق في سلوقية لاصلاح الامور البيعية والطائفية. وان تكون الصلوات الطقسية موحدة نظير صلوات بيعة المدائن. وان يكون لكل كرسي اسقف واحد لا غير. وان تعيد جميع الكنائس معاً عيد الميلاد والدنح (٢) والقيامة (٣).

تقدم العلوم

ازدهرت النصرانية فتقدمت العلوم ونبغ فى تلك الازمنة جمهور من العلماء المسيحيين العراقيين وخدموا الآداب على اختلاف انواعها وجدوا في نشرها بحنكة واخلاص وتفان منهم: شحلوفا اسقف اربل (المتوفى نحو سنة ٢٥٣ م). وكان من انحاء بيت ارمايي (٤) فنشأ وتهذب في مدينة كسكر وانبعثت فيها انوار علمه فاضحى من اولي العرفان وجهابذة زمانه الاماثل. وزار المدائن لشؤون النصارى وقد درس وعلم وشاد عدة مدارس في اطراف البلاد تقاطر اليها الطلاب من كل فج وصوب فخرجوا منها ونشروا العلم والحكمة في الآفاق ولم يصلنا من مؤلفاته شيء يذكر (٥).

(١) نسبة الى الطقس: كلمة ارمية معناها ترتيب او نظام وقد اطلقت على مجموع صلوات وتفرعات منسقة ومنظمة لايام السنة كافة.

(٢) يقع عيد الدنح بعد رأس السنة بسبعة ايام وهو عيد الغطاس والكلمة مشتقة من الفعل الارمي دنح بمعنى اشرق او لاح اوظهر.

(٣) تاريخ كلدو واثور ٢: ١٠٢-١٠٣ وذخيرة الاذهان ١: ١٠٦ و١٠٩-١١٠. والمكتبة الشرقية ٣: ١ ص ٣٦٣ و ٣٧٠ — ٣٧٦. والنصرانية فى مملكة فارس للابور ٩٢ — ٩٩. والسنهادوسات اي المجامع النسطورية طبعة شابو
Chabot : Synodes Nestoriens, . P . 17-22.

(٤) بيت ارمايي سميت مع اراضي البصرة بعد فتوحات الاسلام العراق العربي.

(٥) تاريخ كلدو واثور ٢: ١٢.

وعاش في اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع عبد يشوع اسقف كسكر ويعرف عند اليونان باسم مار ارخلاوس. اشتهر بحسن الاخلاق ولين الجانب وكان في ايامه من اكابر أئمة العلم. جادل المبتدع ماني (١) ودحض تعاليمه واعاد كيده في نحره بالبراهين الساطعة والبينات اللامعة ولم يبلغنا من مصنفاته سوى هذه المجادلات التى نقلت منذ المائة الرابعة من الارمية الى اليونانية واللاتينية (٢).

ومن العراقيين الذين عرفوا بالآداب الدينية جاثليق المدائن بربعشمين (٣) كان من باجرمي وترعرع على التقوى والصلاح وتمهر في العلوم اللاهوتية فاصبح من مشاهير عصره. وقد قام بمصالح رعيته احسن قيام وسلك معها مسلك الجد والصدق والامانة حتى نال اكليل الشهداء بعدما اذيق اشد العذاب بامر الملك سابور الثاني عام ٣٤٧ م) (٤).

وفي اواخر القرن الرابع ايام بهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩ م) التمس الراهب العراقى عبدا (وهو عبد يشوع القناني) (٥) من جاثليق المدائن تومرصا (٦) (٣٨٣ — ٣٩٩ م) ان يشيد الديرة فى انحاء العرب (٧) فلبى طلبه

(١) كان مولد ماني سنة (٢٤٠ م) في ششن ولما ترعرع تنصر ثم ادعى انه الروح القدس وانقطع الى الاستغال بالعلوم الفلسفية والتبحر في الاداب الدينية. وادعى بالهين اله خير واله شر. وقد شاعت تعاليمه في الشرق.

(٢) تاريخ كلدو واثور ٢: ٤٣. والمكتبة الشرقية ٢: ٢ ص ٤٣ — ٤٧. وذخيرة الاذهان ١: ٦١. وشهداء المشرق ١: ٨٠ — ٩٦، الدرر النفيسة ص ٤١٧.

(٣) بربعشمين كلمة ارمية مركبة معناها ذ الاسماء الاربعة.

(٤) التاريخ الكنيسي ٢: ٣٩. وشهداء المشرق ١: ٢٨٢ — ٢٩٠ وذخيرة الاذهان ١: ٨٥ — ٨٦.

(٥) القناني نسبة الى ديرقنى.

(٦) كان تومرصا من بلاد كسكر واسمه ان العيرعوزا واشتهر بميله الى بناء الكنائس والديرة (اثر قديم فى العراق ص ٧٨.

(٧) النصرانية وادابها ١: ٧٩.

ثم حسر عن ساعد الجد فبنى باسم مار ماري ديراً كبيراً في ديرقني (١) مسقط راسه والحق به مدرسة جامعة عظم شانها حتى اصبح فيها ستون مدرساً (٢) وخرج منها اساقفة وجثالقة وعلماء عديدون اشهرهم الجاثليق ماراحي (المتوفى سنة ٤١٥ م) والجاثليق مار يابالاها (المتوفى سنة ٤٢٠ م)

تهذب ماراحي في مدرسة استاذه مار عبدا وفوض اليه تدبير تلاميذها ثم اقامه رئيساً على ديره وقد احبه الملك يزدجرد ومال اليه فانفذه سفيراً الى فارس ليحسم الخلاف الذي كان قائماً بينه وبين بيهور بن سابور اخيه . فقام بما عهد اليه احسن قيام وانتهز ماراحي الفرصة في اثناء سفره الى بلاد فارس فبحث عن شهدائها الذين نالوا اكليل الاستشهاد في الاضطهاد الاربعيني (٣٣٩—٣٧٩ م) فوضع سفراً جليلا سطر فيه اخبارهم (٣) .

اما الجاثليق يابالاها فكان من مشاهير زمانه متفقهاً في العلوم . فقد تقلد رئاسة دير مار ماري وصار جاثليقاً بامر الملك يزدجرد وقد ارسله الى ملك القسطنطينية تيودوسيوس الثاني (٤٠٨—٤٥٠ م) لتوثيق روابط الصلح بين الدولتين . ومن اعماله انه جدد بناء بيعة المدائن الكبرى وابتنى ديراً في دسكرة (٤) وديراً اخر على ضفة نهر دجلة فقصده رهبان كثيرون من عدة انحاء حتى بلغوا اكثر من اربعمائة راهب . وكانوا يتكلمون لغات مختلفة فنظمهم اربعاً وعشرين

(١) يؤخذ من اخبار المؤرخين ان ديرقني قد استولى عليه الخراب في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى اطلال عمارات قديمة تعرف عند الاهلين هناك باسم « الدير » ولا تبعد ان تكون تلك الاطلال بقايا ديرقني ودير الماقول ودير مار ماري (مجلة المشرق ٣٧ : ١٩٨ . ومجلة الاعتدال « ٤ » [النجف ١٩٣٧] ص ١٩٥ . ومفصل جغرافية العراق لطه الهاشمي [بغداد ١٩٣٠] ص ٥٢٩ . ومجلة النجم ١٠ : ٥٢) .

(٢) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٣٠ . وذخيرة الاذهان ١ : ٩٥—٩٦ و ١٠٧ .

(٣) وكلدو واثور ٢ : ١٠٤ والمجدل ص ٢٥ واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٣١

(٤) دسكرة قرية كبيرة بنواحي نهر الملك كمدينة صغيرة على ضفة نهر الملك (المراصد ١ : ٤٠٢)

فرقة يتعاقبون في تلاوة الصلاوات ليلا ونهاراً فيتلون الاناشيد الدينية بلغاتهم اي بالارمية واليونانية واللاتينية والقبطية (١)

انتشار تعاليم نسطور واوطاخي

وبينما كان نصارى العراق يعيشون حيناً في سلام واحياناً بين ألم الاضطهاد ظهرت تعاليم نسطور واوطاخي . وانتشرت منذ اواخر القرن الخامس الميلادي (٢) فانقسم سكان الشرق النصارى الى قسمين : قسم عدل الى النسطورية واغلبهم من اهل شرقي الموصل الى خليج فارس دعوا نساطرة او سرياناً شرقيين . وقسم تبع مبادىء اوطاخي ومعظمهم من اهل غربي الموصل الى جهات الرها وحدود حلب وحمص وحماة وسموا يعاقبة اوسرياناً غربيين . وذهب فريق من العلماء الى ان اسم السريان الغربيين كان يطلق على نصارى بلاد الشام فقط (٣) .

بين الضيق والرفاه

راينا (٤) ان ملوك الفرس كانوا يشكون في امانة النصارى الذين في حكمهم ظانين انهم متحالفون مع الروم ميالون اليهم غير ان هذا الشك قد زال عندما تبعوا تعاليم نسطور واوطاخي فاحسنوا اليهم ليقيموا فواصل مذهبية بين نصارى فارس والروم (٥) فالملك قباذ الاول بن فيروز (٤٨٨—٥٣١ م) بالغ

(١) النصرانية وادابها ١ : ٧٩—٨٠ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ١٠٤—١٠٥ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٣٢ . والمجدل ص ٢٦ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٣٧٠ والتاريخ الكنيسي ٢ : ٥٣ . وذخيرة الاذهان ١ : ٩٦ .

(٢) النصرانية وادابها ١ : ٨٦ وتاريخ كلدو واثور ٢ : ١٢٨—١٧١ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٣٢—٢١٦ والتاريخ الكنيسي ١ : ٤٠٤ . والنصرانية في مملكة فارس للابور ص ٢٤٨—٢٦٠ . والاقليات في العالم العربي لحوراني ص ٤—٥

A. H. Hourani : Minorities in the Arab World, P. 4-5

(٣) تعني كلمة السريان باللاتينية واليونانية (اهل الشام) راجع : المعجم اللاتيني والفرنسي تاليف . كيشبرة واداملوي (باريس ١٨٧٢) ٢ : ١٥١ . والمعجم اليوناني الفرنسي تأليف م . ا . بابي (باريس ١٨٩٤) ص ١٨٧٤ .

(٤) انظر ص ١٠

(٥) الحيرة ص ٥

في معاضدتهم ومؤازرتهم ولاسيما عندما ساعدوه [١] في اثناء هروبه لدى الهياطلة. [٢]
تنفس نصارى العراق اذ ذاك الصعداء وشمروا عن ساعد الجد واخذوا يزاولون اعمالهم اليومية يكتنفهم الامن ويخدمهم النجاح . فعاد الفلاح المسيحي الى حقله والعامل الى صناعته والتاجر الى تجارته . ثم شادوا كنائس وديرة . وفتحوا مدارس منظمة واسعة الارجاء رحبة الرده قام باعباء رئاستها مدرسون افاضل وخرج منها علماء اماثل خدموا البلاد واذاعوا العلم في انحائها .

مات قباذ الاول وتبوأ منصة الملك ابنه كسرى الاول الملقب بانو شروان (٥٣١—٥٧٨ م) فلاطف في اوائل عهده النصارى وساعدهم كثيراً غير انه اضطهدهم عام (٥٤١ م) . ولكن هذا الاضطهاد لم يشتد ولم يدم نظير اضطهادات سابور وخلفائه لان النصارى كانوا قد كثروا وانتشروا في اطراف البلاد . وان عدداً منهم كانوا مقربين لدى الملك فخاف ان يقع في المملكة مالا تحمد عقباه فانحصرت الاعتداءات في الاماكن التي قل فيها النصارى . واما في عهد ابنه هرمزد الرابع (٥٧٩—٥٩٠م) فقد عاش المسيحيون في سلام لانه كان يحبهم [٣]
ثم تربع على عرش الساسانيين كسرى الثاني ابرويز (٥٩٠ —٦٢٨ م) ولما استتب له الملك خاف النصارى اذاه فترك المدائن الجاثليق يشوعياب الارزني [٤] الاول (٥٨٢—٥٩٥ م) وفر ملتجئاً الى الحيرة لدى الملك المتنصر النعمان بن المنذر الملقب بابي قابوس (٥٨٥—٦١٣ م) [٥] بيدانه لم يضطهدهم بل

(١) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٥٦ و ١٦١ .
(٢) الهياطلة جيل من الناس كانت ديارهم في شرقي بحر الخزر على شاطئ نهر جيحون (اي ماوراء النهر) وفي جنوبي تركستان اليوم .
(٣) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٦٩ و ١٨٢—١٨٣ و ٢٠١ و ٢٠٥ .
(٤) نسبة الى مدينة ارزن اوازرون . كانت واقعة بين سعرد وميافارقين وترى اخربتها الان في محل يقال له خراب بازار اي المدينة الخربة . وتبعد نحو عشر ساعات عن سعرد .
(٥) تاريخ كلدو واثوار ٢ : ٢٠٧ . النصرانية في بلاد فارس اللابور ص ٢٠٦-٢١٤

احسن اليهم وامر باكرامهم وتجديد بناء كنائسهم . فقد انفذ الطبيب مار آبا الكسكري سفيراً الى موريق لامور خطيرة . وولى يزدين الصراف على اقطار باجرمي . واقام يوحنا الكسكري اميناً لخزانته [١] . هذا فضلا عن انه كان متزوجاً بامراتين مسيحيتين : مريم بنت ملك الروم موريقى وشيرين الارمية من ارض ميشان (البصرة) . فشاد للاولى كنيستين وللثانية كنيسة كبيرة وقصراً فخماً في بلاشبار وهو قصر شيرين اليوم [٢]

بقي كسرى ابرويز يكرم النصارى الى ان قتل موريقى عام (٦٠٢ م) . فاخذ يبغضهم [٣] . وفي اواخر حياته اساء اليهم وتجبر وتكبر وعبث بالرعية . فضاعف الجزية واستحوذ على اموالهم [٤] حتى خلفه ابنه شيرويه سنة (٦٢٨ م) من مريم . فصالح هرقل ملك الروم على اعادة البلاد التي كان قد استولى اباؤه عليها . وكان شيرويه رقيق القلب كريم الخصال فاحسن الى شعبه وسامحهم في تادية الضرائب واكرم النصارى الاكرام كله . بيد انه لم يملك سوى ستة اشهر [٥].

ظهور الاسلام

وفي سنة (٦٣٢ م) وبعد فتن اهلية دامية جلس على سرير الاكاسرة يزدجرد الثالث (٦٣٢—٦٥١ م) . وفي تلك الاثناء اشتد ساعد الاسلام واتحد سكان جزيرة العرب بعد التفرق وترابطوا بعد التقاطع وخضع جميعهم لزعيم واحد

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٤٥ .
(٢) مجلة النجم ٢ : ١٦٦ .
(٣) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢١٢ و ٢٣١ . واخبار فطاركة كرمي المشرق ص ٦٨ .
(٤) ذخيرة الاذهان ١ : ١٩٥-٢٠٠ و ٢٤٥-٢٤٩ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٣٦-٢٣٩ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٤٤٩-٤٥٣ .
(٥) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٤٣-٢٤٦ . ومجلة النجم ١٠ : ٣٠٦-٣٠٧ .

يجمع كلمتهم ويتدبر امورهم . فانصرفت هممهم الى الفتح والتبسط فى الآفاق وانفذ الخليفة ابو بكر الصديق (١٠ — ١٣ هـ — ٦٣٢ — ٦٣٤ م) خالد بن الوليد المخزومي الى ارض العراق . فزحف الى الحيرة وفتحها صلحاً (١) ورحب به النصارى وانزلوا جنوده فى كنائسهم وديرتهم (٢) . وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ — ٢٣هـ — ٦٣٤ — ٦٤٤م) تولى القيادة العامة سعد بن وقاص . فخيم فى القادسية (٣) ثم اشتعلت نار الحرب بينه وبين القائد الفارسي رستم . فدارت الدوائر على الفرس . وفى عام (١٦ هـ — ٦٣٧ م) سارت الجنود العربية الى المدائن وفتحوا ابوابها . وفى سنة (١٩ هـ — ٦٤٠ م) زحفوا الى فارس فاشتبك القتال بينهم وبين الفرس فاستظهروا عليهم . وهكذا انقرضت الدولة الساسانية واستولى المسلمون على املاكها وسكانها وعلى قسم عظيم من مملكة الروم .

العلم ودوره

استمرت مملكة الساسانيين اكثر من اربعة قرون . (٢٢٦ — ٦٥١م) . وقد عاش النصارى فى مطاويها تارة بين حرب وظلم وشقاء واخرى بين سلم وعدل وهناء . واجمع المؤرخون ولاسيما الشرقيون على ان هذه الاونة كانت ميداناً فسيح الجوانب تبارى فيه اعظم ادباء النصرانية . فوسعوا نطاق المعارف وتنافسوا في التصنيف . ثم اقاموا مدارس طارت شهرتها في المعمورة وتصدر للتدريس فيها نخبة من علية الاستاذة . وقرأ عليهم جمهور غفير من العلماء والفلاسفة الذين كشفوا عن مكنونات الحكمة واستطلعوا اسرارها . وتفقهوا فى العلوم

(١) تاريخ مختصر الدول ص ١٦٩ .

(٢) تاريخ الامم والملوك ٤ : ١٢ . وتاريخ الكامل ٢ : ١٤٧ـ ١٥٠ .

(٣) بين القادسية والكوفة خمسة عشر فرسخاً .

اللاهوتية وتعمقوا في تفسير الكتب المقدسة وتبسطوا فى الطب والكيمياء والرياضيات .

ولاعجب فى ذلك . فقد كان فى العراق زهاء خمسين مدرسة مسيحية منظمة تعلم فى صفوفها العلوم الارمية واليونانية . ومنذ المائة الخامسة اخذ نصارى بلادنا يدرسون فلسفة ارسطو وينقلون مصنفاته الى لسانهم . فكانوا ايان تطمئن خواطرهم من مظالم الحكام وفوضى الفاتحين ينصرفوا الى الاشتغال بالعلوم وفنونه (١) هذا فضلا عن ان هرمزد بهرام الاول (٢٧٢ — ٢٧٣ م) انشأ مستعمرات من اسرى الحرب الرومانيين . وكان بينهم من تثقف بالثقافة اليونانية ومنهم من كان يفوق الفرس بالفن والهندسة والطب فاستخدموهم فى شؤونهم المهمة (٢) . ومن هؤلاء الأسرى من نزلوا الحيرة (٣) .

ان دولة العلم كانت يومئذ لدى نصارى الرافدين رفيعة العماد فسيحة الظلال حافلة بمئات من الرهبان والدارسين والباحثين والعلماء وبعدد عديد من الاطباء والشعراء والادباء والمهندسين . وقد اتقنوا العلوم وبرعوا فى الصناعات ونبغ الكثيرون منهم فى فن البناء والنحت والتصوير والتجارة .

واما صناعة التعليم فقد اشتهر بها النصارى . فقسموا بادئ بدء معاهدهم

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٢٨ .

(٢) فجر الاسلام ص ١٨ .

(٣) تقع مدينة الحيرة فى جنوبى الكوفة على بعد ثلاثة اميال منها . ونشاهد اليوم اطلال مبانيها وقصورها وديرتها وبيعها . وقد بدأ خرابها عندما شاد المسلمون الكوفة (١٧هـ ٦٣٨ م) . وانتشرت النصرانية فى ربوعها منذ القرون الاولى للميلاد . وقوي شأنها فى القرن الرابع . وقضت السياسة اذ ذاك على امرائها ان يطيعوا الدولة الساسانية ويحاربوا فى صفوف جنودها ضد ملوك الروم لكى يعفوا من دفع الاتاوة (النصرانية وآدابها ١ : ٨٧ — ٩٢ و ٢ : ٤٥٢ — ٤٥٣ . وفجر الاسلام ص ١٦ . وتاريخ مختصر الدول ص ١٤٨ . والحيرة ص ٩٩ و ١١٥ . والفخري ص ٢٣) .

العلمية الي اولية فابتدائية فعالية . وشادوا منذ اوائل القرن الرابع الميلادي اربع كليات اوجامعات لاهوتية منظمة واسعة الارجاء ممتدة من سورية الى بلاد العجم اي فى مدينة الرها ونصيبين والمدائن والاهواز . فاصبحت هذه المدن كعبة الادب ومحط رواد العلم وهم يشدون الرحال اليها من كل حدب وصوب لير تشفوا من مناهلها الاداب العذبة (١) . وماعدا هذه المراكز العلمية فقد كان في كل مدينة وقرية مدرسة . وذكر توما المرجي والمستشرق لابور ان دور التثقيف انتشرت فى المدن كافة وفى القرى وفي اغلب الاديار (٢) .

ولا حاجة الى ذكر اسماء معلمي العراق النصارى الذين نبغوا حينذاك . لان جميع رؤساء دينهم ورهبانهم كانوا مدرسين ومرشدين . وقد تربعوا على منابر التدريس يهذبون الناس ويثقفونهم ويعلمونهم العلوم الدينية والدنيوية في معابدهم ومكتباتهم ومناسكهم . فابراهيم النتفري (٣) (اواسط القرن السادس الميلاد) شاد عدة مدارس في حدياب ووضع رسائل عديدة بليغة . (٤) وبولس المدرس اسس غيرها وعلم فى مدرسة اربل اكثر من ثلاثين عاماً . وسار سنة (٥٣٢ م) الى بيزنطية على اثر دعوة من الملك يوستنيانوس ليلقي محاضرات فلسفية او شروحاً فى الكتاب المقدس على بعض وزرائه . (٥) هذا عدا مدرسة بيت شاهاق فى

---

(١) تاريخ الموصل ٢ : ١٩ . ومجلة النجم ٤ : ٩ . وتاريخ كاسدو واثور ٢ : ١٦٠-١٦١ .

(٢) كتاب الرؤساء ص ٣٥١ . والنصرانية فى مملكة فارس للابور ص ٢٨٩ .

(٣) النتفري نسبة الى نتفرى احدى مدن حدياب فى جوار اربل .

(٤) ذخيرة الاذهان ١ : ١٨٢ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ١٩١ و ٤٣١ . وتاريخ الموصل ٢ : ٢٠ .

(٥) مشيحزخاص ٧٥ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٩٢٧ . وتاريخ كاسدو واثور ٢ : ٢٨٠ .

كورة نينوى وقد حوت صفوفها نيفاً وثلاثمائة تلميذ . (١) ومدرسة بلد (٢) والرستاق فى مرج الموصل (٣) وكرخ سلوخ (كركوك) ومدارس المدائن (٤) وكسكر (٥) والحيرة . (٦)

الكنائس والديارات

شاعت النصرانية في العراق فشاد اهلها الأغنياء الكنائس والأديار والقصور . ولاريب فقد تولى بناءها مهندسون مسيحيون بذلوا اقصى سعيهم فى اتقان صناعتها . وبقاياها الى اليوم تشهد على عظم شأنها . فكانت الكنائس غالباً هيا كل واسعة عالية القباب ذات اسواق متعددة جامعة بين متانة البناء وحسن الشكل . وقد وصف شعراء العرب قللها ومحاريبها وصلبانها وتماثيلها ونقوشها . ومن اجمل الكنائس واوسعها فى تلك الازمنة كنيسة الباعوثة فى الحيرة (٧) . قال ابو الفداء : « وكانت (الحيرة) منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة » ٨ وبيعة خالد بن عبدالله القسري امير الكوفة . قال ياقوت : « بناها لأمه وكانت نصرانية » . ثم بيعة عدي بن

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٨٧ .

(٢) تقع بلد على دجلة ومنها الى الموصل سبعة فراسخ (تقويم البلدان ص ٢٨٥) .

(٣) الرستاق او الرزداق من اصله الارمي (رستاقا) ومعناه السواد والقرى . جاء في معجم البلدان عن مرج الموصل : مرج الموصل ويعرف بمرج ابي عبيدة عن جانبها الشرق موضع بين الجبال منخفض من الارض شبيه بالغور فيه مروج وقرى . ولاية حسنة واسعة على جبالها قلاع .

(٤) اخبار بطاركة كرمي المشرق ص ٥٠ و ٦٠ . والمجدل ص ٤٠ و ٥١ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٨٨ و ٢٤٤ .

(٥) الديورة ص ٢٨ و ٤٣ — ٤٤ و ٥٢ و ٥٨ و ٦٦ .

(٦) الحيرة ص ٥٤ — ٥٥ .

(٧) النصرانية وآدابها ٢ : ٣٤٦ .

(٨) تقويم البلدان ص ٢٩٩ .

الدميك اللخمي في الكوفة (١) وكنيسة مار دانيال في بابل التي هدمت في الاضطهاد الاربعيني (٣٣٩—٣٧٩ م) (٢) والكنيسة الفخمة التي شادها في تكريت (٣) المفريان (٤) ماروثا (المتوفى سنة ٦٣٩ م) (٥) وغيرها . وقد بالغ نصارى العراق في تمميقها وعنوا كثيراً بزخارفها واهتموا اكثر بتصاويرها (٦) .

ومن القصور العديدة التي بناها النصارى ديارات الاساقف (٧) والقصر الابيض الذي اقام دعائمه جابر بن شمعون اسقف الحيرة احد بني الأوس بن قلام وقد اتاه الملك النعمان وعدي بن زيد وطلب منه النعمان مالا يستعين به على امره عند كسرى . فاضافهما ثلاثة ايام واعطاهما ثمانين الف درهم (٨).

واما الديارات فكانت كحصون محصنة مبثوثة في انحاء البلاد وفي داخلها بيع بديعة شيدت بين الحدائق والرياض وفي قمم الجبال والروابي المطلة على الاودية

(١) معجم البلدان ١ : ٧٩٦ .
(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٢ .

(٣) كان للنصاري في تكريت حي باسمهم (معجم البلدان ١ : ٨٦٢) . وقد وردت اخبارهم في رحلة تافرنييه (ص ٧٤) . واشتهرت هذه المدينة بكرسي مفارنة المشرق من سنة (٦٢٨ م) حتى منسلخ المائة الثانية عشرة (اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٦) . ووجد فيها رقيم يرتقي عهده الى القرن الثالث عشر . وقد سطر عليه باللغة الارمية ما تعريبه : توفي بموجب التاريخ اليوناني في ٢٢ آب سنة ١٥٢٨ (١٢١٧ م) . غفر الله لابي ناصر الشماس « مجلة لغة العرب ٣ : ٤٢ » .

(٤) المفريان كلمة ارمية تعني المثمر . وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاثليق . فهو دون البطريرك وفوق الاسقف (اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٢ .
(٥) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٢٦ .

(٦) النصرانية وآدابها ١ : ٨٥-٨٦ و ٢٠١-٢١٠ و ٢ : ٤٤٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٤٤ . وعصر السريان الذهبي ص ٤٨-٥٠ و ٥٣ و ٥٩-٦١ .

(٧) كانت ديارات الاساقف بالنجف ظاهر الكوفة وهو اول الحيرة . وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير . عن يمينه قصر ابي الخصيب وعن شماله السدير (معجم البلدان ٢ : ٦٤٢) .

(٨) الاغاني ٢ : ٢٤-٢٥ . والحيرة ص ٢٥ و ٥٢ .

النضرة والسهول الفسيحة وفي مواضع منقطعة عن الناس . (١) وقد سعى البناؤون الى اتقان هندستها . ولا بدع في ذلك لان الملوك واعيان الدول واهل الثراء اقاموا اسسها . فالنعمان بن المنذر ابو قابوس (٥٨٥—٦١٣ م) بنى دير اللج في الحيرة (٢) وهند بنت الحارث بن عمرو بن حجر (٣) شادت دير هند الكبرى في الحيرة . (٤) وهكذا نقول عن دير الاعور بظاهر الكوفة وقد بناه رجل من اياد يقال له الاعور من بني حذاقة بن زهر بن اياد . (٥) ودير الجرعة في الحيرة وهو دير عبدالمسيح بن بقيلة (٦) .ودير حنظلة في الحيرة وينسب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نمارة بن لخم (٧) . هذا عدا دير الدهدار بنواحي البصرة . قال ياقوت « انه دير قديم ازلي كثير الرهبان معظم عند النصارى وبناؤه من قبل الاسلام» (٨) . وقلاية العمر (٩) . اوعمر نصر وكان من متنزهات آل المنذر في الحيرة (١٠). ودير مارسرجس وهو بين الكوفة والقادسية (١١) . ودير السوسي في نواحي سر من راى (١٢) .ودير العذارى وهو بين ارض الموصل وبين ارض باجرمي . قال الخالدي : « وشاهدته وبه نسوة عذارى » (١٣) . ودير مار متى

(١) معجم البلدان ٢ : ٦٣٩ .
(٢) كذلك ٢ : ٦٩٣ .
(٣) يقال لها هند الكبرى تمييزا لها من هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة .
(٤) معجم البلدان ٢ : ٧٠٩ .
(٥) كذلك ٢ : ٦٤٤ .
(٦) مراصد الاطلاع ١ : ٤٢٧ . ومعجم البلدان ٢ : ٦٥١ و ٦٧٧ .
(٧) معجم البلدان ٢ : ٦٥٦ .
(٨) مراصد الاطلاع ١ : ٤٢٩ . ومعجم البلدان ٢ : ٦٦٠
(٩) العمر كلمة ارمية تعني البيت او المنزل او الدير .
(١٠) مجلة لغة العرب ١ : ٨٢ .
(١١) معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ .
(١٢) كذلك ٢: ٦٧٢ .
(١٣) كذلك ٢: ٦٧٨—٦٨١ .

في شرقي الموصل على جبل شامخ يقال له جبل متى (١) . ودير الجب في شرقي الموصل (٢). ودير القيارة وهو على اربعة فراسخ من الموصل الى الجانب الغربي من اعمـــال الحديثة (٣) . وقد روى مؤرخو العرب هذه الديارات وذكروا اخبارها وكتبوا عن حفلاتها (٤) .

كان نصارى بلادنا يتفاخرون ببناء المعابد والمناسك وانفقوا الاموال الطائلة في سبيل تجميلها وهندستهـا . قال الحموي : » وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربها اهل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران . وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران . ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور . وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام » . وقال عن ديرقنى : « هو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار . وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً وفي وسطه نهر جار »(٥).

وقد عثر الاثاريون والسياح في الاونة الاخيرة على كنائس قديمة وجدوها

(١) معجم البلدان ٢ . ٦٩٤ .

[٢] كذلك ٢ : ٦٥١ .

[٣] كذلك ٢ : ٦٨٩ .

[٤] طالع عن الديرة واسمائها وعن انتشار الرهبانيات في الشرق « معجم ما استعجم ص ٣٥٨ — ٣٨١ . ومعجم البلدان ٢ : ٦٣٩ — ٧١٠ . وعصر السريان الذهبي ص ٥٨ — ٥٩ . والحيرة ص ٤١ — ٤٩ . ومراصد الاطلاع ١ : ٤٢٦ — ٤٤٠ ء ومسالك الابصار ١ : ٢٥٤ — ٢٧٣ . والنصرانية في فارس الابور ص ٣٠٢ — ٣٢٤ . وكلدو واثور ٢ : ٣٢-٣٩ و ٢٥٦-٢٧٠ . واثر قديم في العراق ص ٥٩-٦٧ . ومجلة المشرق ٢ : ٢٦٢-٢٦٥ .

[٥] معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ و ٧٠٣

مطمورة في ارض العراق يرتقي عهد بعضها الى القرون الثلاثة قبل الاسلام . وقد صور على جدرانهـــا صور تنبىء عن براعة مصوريها . والآنسة الانكليزية بل ([illegible]) وضعت كتابا وصفت فيه كنائس ما بين النهرين ونشرت بين دفتيه صور اكثرهـا . وقد شادها النصارى في القرن الرابع والخامس والسادس للميلاد .(١)

ووقف الحفارون في طيسفون (سلمـان باك) سنة (١٩٢٨ م) وفي الحيرة عام (١٩٣١ م) على بقايا كنائس عديدة شيدت جدرانها باللبن وعمدها بالآجر . وقد طلي داخلها كله بجص ابيض واما سقف معظمهـا فمعقود . ووجدوا بين انقاضها صلبانًا ونقوشًا وقناديل مختلفة الشكل ملونة بالوان جذابة تعرب عن تقدم الصناعات المسيحية العراقية القديمة .(٢)

هذا وكانت مكتبات تلك البيع والاديار مكتظة بالاسفار النفيسة والمصاحف الثمينة . وقدحبر اكثرها الرهبان بخط جميل رائق تخاله سبائك من الفضة او سلاسل من العقيان . واحصى منها الاب شابو المستشرق الفرنسي نيفاً وثلاثة الاف في سبع خزائن من مكتبات اوربة .(٣) واشتهرت هذه المخطوطات ولاسيا مخطوطات الكتب المقدسة بنقوشها المحبرة وزخارفها الملونة التي تتباهى بها المتاحف والمكاتب شرقا وغربا اذ نمق المصورون في صحائفها احلى الصور واودع الخطاطون في اوراقها ابدع الأقلام (٤)

(١) النصرانية وآدابها ٢ : ٣٤٦ و ٣٥٧ . ومجلة النجم ٤ : ٢٥٨-٢٦٢ . والحيرة ٤٩-٥٣ . والتصوير عند العرب ص ٣٥ .
Bell, Gertrude L., Amurath to Amurath (London, 1924).

(٢) الحيرة ص ٤٩-٥٣ .

(٣) عصر السريان الذهبي ص ٩٢-١٠٨ . ومجلة المشرق ٢٢ : ٤٢٣ و ٥٥٠ و ٥٢٣ . ومجلة النجم ٨ : ١٦٥-١٧٠ .

(٤) كتاب الرؤســاء ص ٣٦-٣٧ . ومجلة المشرق ١٠ : ٨٤٥ و ١٥ : ٧٠٨ و ١٦ : ٨٤٠ . واللؤلؤ المنثور ص ٤١١ . ومجلة النجم ٨ : ١٧١ و ١٠ : ٢-٤ و ٣٤١ . وعصر السريان الذهبي ص ٥٦-٥٧ و ٨٠-٩٢ .

واشتهر نصارى وادي الرافدين بالموسيقى الكنسية واستعملوا آلات الطرب في ألحانهم . فقد وضع ادباؤهم اناشيد بيعية وسطروا أدعية خشوعية ونظموا موشحات تقوية محكمة الوزن مضبوطة القياس . هذا فضلا عما وشت اقلامهم من الليتورجيات او النافورات [1] والحسايات .[2] وذهب اغلبهم في ذلك كل مذهب وافاضوا في معانيها كل الافاضة . ولا يزال معظمها مدونا في كتب طقوسهم وتتلى صباح مساء في كنائسهم بانغام شجية تهفو اليها الاسماع لعذوبتها وتلهو بها القلوب لانسجامها . وقد تكاملت طقوس النساطرة التي تسلموها من رسلهم وملافنتهم في اوائل المائة الخامسة الى اواخر المائة السابعة على ايدي الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحزي (المتوفى سنة ٦٦٠ م) والراهب الموسيقي عنا نيشوع (القرن السابع).[3] وبوشر جمع طقوس اليعاقبة في صدر القرن السابع حتى اواسط القرن الثاني عشر . وممن عني بها الربان [4] سبروي (المتوفى سنة ٦٣٠ م) وولداه راميشوع وجبرائيل والراهب داود بن بولس (المتوفى نحو سنة ٧٨٠ م) ورنحا الثالث الحراني مفريان المشرق (المتوفى

(١) الليتورجيات او النافورات مفردها الليتورجية او النافورة (آنا فورا) كلمتان يونانيتان معناهما خدمة او صلوات القداس .

(٢) الحسايات مفردها الحساية كلمة ارمية النجار يراد بها صلاة الاستغفار او الدعاء .

(٣) كتاب الرؤساء ص ١٧ . وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢٨٦ . ومدرسة نصيبين ص ٤٦-٤٧ و ٥٣ و ٧٠ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٢ و ٧٤-٧٥ و ١٠٦-١٠٧ و ٢٦٥ . ومجلة النجم ١ : ٣٠١ و ٢ : ١٧١-١٢٣ و ٩ : ٣٦٩-٣٧٠ .

(٤) الربان كلمة ارمية بمعنى الاستاذ ونريد بها اصطلاحا الراهب القسيس (اللؤلؤ المنثور ص ٤٩٩) .

سنة ٩٣٢ م) وباسيليوس الرابع بن قباذ التكريتي (المتوفى سنة ١٠٦٩م) .[1] ونقحت هذه الطقوس عند الكلدان والسريان بعدما تبعوا الكنيسة الكاثوليكية . قال الابشيهي : « لاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الاخرة » .[2]

اما الموسيقى المدنية فقد برعوا فيها ولاسيما اهل الحيرة النصارى . فاستعملوا في مآدبهم واعراسهم ومجالسهم الكنارات والطبول والدفوف والصنوج والجلاجل والابواق والنواقيس . واستعاروا من الروم الارغن والبربط [3] والسنطور والقانون والقيثار . واخذوا من الموسيقيين الحجازيين المزهر والمعزف والقصبة .

وكان فن الموسيقى يدرس في مدارس الحيرة . فقد ارسل بهرام الخامس جور (٤٢٠—٤٣٨ م) اليها وبرع في العلوم العربية والموسيقى . وتعلم في الحيرة النادر بن الحارث الموسيقى واجاد الضرب على العود . [4] اما الغناء الحيري فقد طارت شهرته في الافاق والقيان اللواتي تتقن غناء الحيرة يبعثن الى الملوك والامراء . وكان لجبلة بن الايهم الغساني عشر قيان « خمس منهن يغنين بالعيدان بالرومية . وخمس يغنين غناء اهل الحيرة » .[5] وكتب ابو الفرج

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٣١-٢٣٣ و ٣٦٨ و ٢ : ٢٧٧-٢٧٩ . وعصر السريان الذهبي ص ٦٢-٦٩ . ومجلة النجم ٩ : ٣٦٨-٣٧٤ . واللؤلؤ المنثور ص ٥٣ و ٧١ و ٢٨٧-٢٨٨ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (مصر ١٢٨٥ هـ) ٢ : ١٣١ .

(٣) البربط آلة تشبه العود والمزهر .

(٤) الاخبار الطوال ص ٥٣ . ومجلة النجم ٤ : ٣٥٤ و ٣٥٧ .

(٥) الاغاني ١٤ : ٥ . والديارات النصرانية ص ٩٠ .

الاصبهاني في كتابه الاغاني عن المغنين الحيريين المسيحيين الذين ظهروا في صدر الاسلام وعرفوا باغانيهم الرخيمة وضربهم على الاوتار اخصهم برصوما الزمر وعون العبادي الحيري وحنين بن بلوع الحيري الشاعر المغني وغيرهم (١) .

الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وكان نصارى العراق يتعاطون البيع والشراء . فيفدون الى الأسواق المنتشرة اذ ذاك في جهات الجزيرة العربية للمقايضات وضروب المبايعات وهم يبيعون محصولات اوطانهم ويتاجرون بالبز والعطر والألطاف ماعـــدا الجوهر والحجارة الكريمة كالجزع والياقوت واللالئ (٢) .

واشتهر اهل الحيرة بالتجارة فكانت لطيمتهم (٣) تخرج من العراق ويرسلونها الى اليمن (٤) . وكتب الاصبهاني عن سوقهم التي كان يجتمع فيها الناس كل سنة . وقد قصدها الحكم بن ابي العاص يحمل عطراً وهو يريد بيعه ووافاها حاتم الطائي (٥) وكانت تقام في بقة (من ارباض الحيرة) سوق وهنالك اجتمع في احدى السنين مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء اللغة الارمية (٦). هذا فضلا عن ان التجارة مع الفرس كانت بيد الحيريين . وكانوا هم الصلة بينهم وبين عرب

(١) الاغاني ٢ : ١١٦-١٢٤ و ٥ : ٣٤ و ٤٦ و ١٠ : ١٢٨ و ١٣٥ . وعصر السريان الذهبي ص ٧٠-٧٣ . والنصرانية وآدابها ٢ : ٣٦٠-٣٦٣ . والحيرة ص ٨٩-٩١

(٢) النصرانية وآدابها ٢ : ٣٨١ .

(٣) اللطيمة هي العير التى تحمل الطيب وبز التجارة (تاج العروس ٩ : ٦٠) .

(٤) الاغاني ١٩-٧٥ .

(٥) كذلك ١٦ : ٩٥ .

(٦) مجلة لغة العرب ٢ : ٤٢٧-٤٢٩ . ومجلة المشرق ١٦ : ٦٨ . وفتوح البلدان ص ٤٧١ .

الجزيرة يحملون اليهم البضائع الفارسية ويبيعونها في اسواقهم (١) .

ومن الصيارفة والمثرين المسيحيين العراقيين الذين جاء ذكرهم في الأخبار عيسى بن براء الصراف (٢) . وكان ابو زيد حنين بن اسحق من ابناء من يتعاطون الصيرفة (٣) . ونزل الملك النعمان وعدي بن زيد العبادي ضيفين على جابر بن شمعون اسقف الحيرة مستقرضين منه مالا . فاكرم مثواهما مدة ثلاثة ايام يذبح لهما ويسقيهما الخمر . فلما كان اليوم الرابع قال لهما : ماذا تريدان : فقال عدي تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امره عند كسرى. فقال لكما عندي ثمانون الفاً ثم اعطاهما اياها . (٤)

واشتغل نصارى وادي الرافدين بالتجارة والحدادة والصياغة والحياكة . فالموا باطراف هذه الصناعات واتقنوا احكامها وتفننوا في اساليبها وتوسعوا في ضروب زخارفها . فقد نحت نجاروهم الرماح والقسي والسهام لسلاحهم والهوادج لظعائنهم والعمد والاوتاد لخيمهم . هذا فضلا عما نجروا من المنابر والمقاصير لكنائسهم واديارهم . وكانت الحدادة رائجة بينهم فبرعوا في صناعة الابواب الحديدية والسيوف والدروع والخوذ والجواشن ونصل الرماح . وعالجوا صياغة الحلى الذهبية والفضية وهم يرصعونها بالجوهر . واما الحياكة فكانت شائعة بين ظرانيهم . فنسجوا القز والكتان والصوف . وحاكوا البرود المصبغة والحلل المخططة . وكان القماش احيانا موشى بالقصب اومطرزاً بخيوط الذهب . (٥) وارتدوا

(١) فجر الاسلام ١٣-١٤ و ١٧ .

(٢) الاغاني ٢٠ : ٨٧ . والديارات النصرانية ص ٨٤ .

(٣) عيون الانباء ١ : ١٨٥ .

(٤) شعراء النصرانية ص ٤٤٩ .

(٥) الاغاني ٨ : ٤٨-٤٩ و ٧٦ و ٢٠ : ١٣٢ . وتاريخ الطبري وديوان المبتدأ والخبر ٢: ٣٠٩٢-٣١٣ . والحيرة ٨٢-٨٤ . والنصرانية وآدابها ٢ : ٣٧٧ .

الساج والطيلسان . وقد ورد ذكرهما فيما فرضه خالد بن الوليد على النصارى العباديين وزعيمهم اذ ذاك عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة .(١) وكان النعمان في اثناء ركوبه الى ديراللج يرتدي ثيابه الملكية ومعه اهل بيته خاصة من آل المنذر من ينادمه . عليهم حلل الديباج المذهبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اواسطهم الزنانير المفضضة بالجوهر وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان من التبر . فاذا قضوا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف .(٢)

هذا وكان نصارى العراق يعقدون مجالس الانس في اعراسهم . ويحيون الليالي بالملاهي والغناء في اثناء افراحهم . ويولمون الولائم استبشاراً بمو اليدهم او زائريهم وهم يزينون تلك الحفلات بالاثاث النفيس والرياش الثمين والاواني الفضية والذهبية والماكل اللذيذة.(٣) وكانوا يحلفون بالله والمسيح والقربان (٤) والمعمودية ويكرمون الصليب ويلثمونه ويعلقونه في اعناقهم ويمسحون ايديهم به .(٥)

اما المراة فكانت تراعي اصول الحشمة والحياء وتميل الى التزين بالاحجار الكريمة واللالئ الغالية.(٦) وكان تعدد الزوجات ممنوعاً لدى النصارى . جاء في تاريخ كلدو واثور : بطل الشقاق من الكنائس بهمة الجاثليق مار آبا

(١) مروج الذهب ١ : ٢٢١ .

(٢) معجم ما استعجم ١ : ٣٦٦ .

(٣) الاغانى ٢ : ١٢١ و ٩ : ١٦٥ . وشعراء النصرانية ص ٤٧٨ . والحيرة ص ١٠٣ .

(٤) سمي العرب المسيحيون القربان الشبر (النصرانية وآدابها ١ : ٢٠٩-٢١٠) .

(٥) الاغانى ٢ : ٢٤ و ٣١ و١١٢ و١٢١-١٢٢ و ٨ : ٨١-٨٢ و١٧ : ١٢٩. والنصرانية وآدابها ٢ : ٤٦٧ . وشعراء النصرانية ٢ : ٤٥٢-٤٥٣ .

(٦) شعراء النصرانية ص٤٦٩ و ٤٤٥ و ٦٤٣ و ٧١٣ . والاغانى ٢ : ٣٨ و ١١٨ و ٥ : ١٨٥ و ٩ : ١٥٧ و ١٩ : ١٣١ .

(المتوفى سنة ٥٥٢ م) . غير ان الشرور الناجمة منه لا تزال باقية . فان كثيراً من المسيحيين قد ضعف ايمانهم فاقتدوا بالمجوس والوثنيين وتزوجوا نظيرهم امرأتين اوامرأة الاب او عمتهم اوخالتهم او ابنتهم اوامراة اخيهم وهلم جراً .فاصدر مار آبا منشوراً عنوانه « تدبير الافعال الصالحة » حرم فيه هذه الاعمال .(١)

واتى فى كتاب التاريخ السعردي : « كان هذا جبرائيل رئيس اطباء الملك ويعرف بجبرائيل السنجاري . وقد اتخذ امرأة على امرأته فحرمه مر سبر يشوع وشفع الملك (كسرى الثاني ابرويز ٥٩٠—٦٢٨ م) فى حله من حرمه فلم يشفعه » .(٢)

الاطباء

كان لنصارى اقطارنا اطباء كثيرون ومدارس طبية ومستشفيات عديدة(٣) فتقلد زمامها اساتذة افاضل ودرس فيها اطباء نطس من اقطاب العلم والعرفان . وتتلمذ لهم قوم رفعوا شأن الطب وبرعوا فيه . ومن الاطباء العراقيين الذين بلغتنا اسماؤهم قبل الاسلام سرابيون من اهل باجرمي وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما يوحنا وداود . وقد صنفوا كتباً وكناشات(٤) فى فن صناعتهم ونالوا بالحذق والمهارة اعلى مقام .(٥) وكان من رجال الدين اطباء فى بلاد فارس ومنهم

(١) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٧٩-١٨٠ . والسنهادوسات لشابو ص ٨٠-٨٥ .

(٢) التاريخ السعردي طبعة ادي شير ٢ : ٤٩٨ و ٥١٠ و ٥٢٥ .

A. Scher, Histoire Nestorienne (Chronique de Seert) Vol.ll,p .498.510. 525.

(٣) مدرسة نصيبين ص ٥٧ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٦٩ .

(٤) كناشات مفردها كناشة : اوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط (تاج العروس ٤ : ٣٤٧) . وهي كلمة ارمية الاصل من فعل كنش اي جمع وضم .

(٥) اخبار الحكماء ص ٥٧ . وعيون الانباء ١ : ١٠٩ و ١٦٣ . وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ٣٦٤ .

كثيرون انتشروا في الحيرة .[1] وكانت فى الدير الذي بناه ياباالاها على شاطىء دجلة فرقتان من الرهبان تلازمان خدمة المرضى والغرباء .[2]

ومن الاطباء المشهورين قاميشوع الباهدري[3] وقد وضع رسالة فى الطب . وجبرائيل السنجاري وآبا الكسكري . فاكرم كسرى الثاني ابرويز (٥٩٠—٦٢٨ م) جبرائيل وقربه منه لانه كان رئيس اطبائه وعالج اسرته خير معالجة كما انه اكرم آبا لانه قام بخدمته احسن قيام وفى الوقت نفسه كان عالماً متضلعاً من الفلسفة والفلك والطب (٤).

الشعراء والادباء

ومن اشهر شعراء النصارى العراقيين الذين عرفوا فى مطاوي هذه الازمان نرسي (المتوفى سنة ٥٠٧ م) ولد فى معلثايا[5] وهو من فحول الشعراء وقد برع منذ صغره في كل علم وفن . فدعي الى نصيبين واعاد تأسيس كليتها الطائرة الصيت[6] وادار دفتهـا زهاء عشرين عاماً فقرأ عليـه ادباء افاضل بثوا العلوم والاداب فى انحاء البلاد ووضع مؤلفات كثيرة لم يبق منها سوى شروح ضافية في الكتب المقدسة تنطق بتقدمه في صناعة الكتابة وخمس وستين وثلاثمائة قصيدة .

(١) فجر الاسلام ص ٢٨ .

(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٩٦ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٨٦٩—٨٧١ .

(٣) الباهدري نسبة الى باهدرا . كانت تشمل قضاء زاخو وقسما من قضاء دهوك اذ امتدت من نهر الخابور الى نهر دجلة .

(٤) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٢٦—٢٣٢ و ٢٩١—٢٩٣ . وذخيرة الاذهان ١ : ٢٤٥—٢٤٦ . والتاريخ السعردي ٢: ٥٢٢و٥٢٤_٥٢٥

(٥) معلثايا قرية صغيرة تعرف اليوم بهذا الاسم فى جوار دهوك

(٦) كان مؤسس هذه الكلية مار يعقوب اسقف نصيبين (المتوفى سنة ٣٨٨ م) . وقد انتقلت الى الرها على يد الملفان مار افرام (المتوفى سنة ٣٧٣ م) ومدرسيها بعدما استولى الملك سابور على نصيبين عرفت يومئذ بمدرسة الفرس .

في اثني عشر مجلداً خلدت شهرته في العالم اجمع لرشاقة الفاظها ورقة تعابيرها وروعة تشابيهها . فاطلق العنان لقريحته الفياضة فى معانيها الفلسفية وذهب كل مذهب فى اساليبها الشعرية فجاءت تحفة لا نظير لها في الفصاحة والبلاغة ومتانة السبك والخيال الرائع . وقد دعاه ادباء الارمية : لسان المشرق وشاعر النصرانية (١)

ومن ابرز الادباء الذين ظهروا فى تلك الغضون مار فيلكسين اسقف منبج (المتوفى نحو سنة ٥٢٣ م) . ولد فى تحل (٢) وبعد ماتلقى العلوم في دير قرتمين فى طور عبدين انتقل الى مدرسة الرها ثم الى مدرسة دير تلعدا .[3] فخرج من وجوه علماء عصره متبحراً فى العلوم ومتضلعاً من الاداب وبارعاً فى الارمية واليونانية . وقد الف مجاميع ودواوين تشهد ببعد غوره في مسائل الفلسفة وتبسطه فى اصول كل علم واحاطته بفروع كل فن . فصنف فى علم اللاهوت مؤلفين بحث فيهما عن اسرار الدين وكشف عن حقائقه وغاص على دقائقه . وشرح اسفار العهد القديم والجديد شرح خبير بمحاسنها عليم بصحيحها بصير بجيدها . ووضع مقالات جدلية متينة الحجة حاضرة الدليل . وحبر اثنتين وعشرين رسالة جامعة ضمنها فوائد لاهوتية وتاريخية ونسكية . والف خطباً دينية تدل على رجاحة العقل وسمو الفكر . وانفس مؤلفاته واشهرها كتاب « السيرة النسكية » طبعه المسيو بودج سنة (١٨٩٤ م) وقد سرد فيه فضائل الرهبان من عبادة وزهد وتوبة . فجاءت عباراته فصيحة ومقاصده صحيحة[4] .

(١) تاريخ الموصل ٢ : ٢٠ . واخبار بطاركة كرمي المشرق ص ٤٤ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٥٥ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٧٤—٢٧٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٤٤—١٥٤ . واداب اللغة السريانية لدوفال ص ٣٤٤—٣٤٥ .

(٢) تقع تحل فى جنوب غربي كركوك .

(٣) دير تلعدا او الدير الكبير فى كورة انطاكية .

(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٢٧ . وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ١٣٥ و١٥٥ و ١٦٤-١٦٥ و٣٠١ . والمكتبة الشرقية ٢ : ١٠-٤٦ . وآداب اللغة السريانية لدوفال ص ٣٥٤-٣٥٨ وذخيرة الاذهان ١ : ٢١٠-٢١١ .

ونبغ في اواخر المائة السادسة واوائل المائة السابعة حنانا الحديابي وتلميذه سهدونا الهلموني وعرفا بتعاليمهما الكاثوليكية . وناضل حنانا فيها نضالا عنيفاً واثنى المؤرخون على مصنفاته الثناء كله . بيدانه لم يصلنا منها سوى قصائد دينية قليلة وتفاسير فى الكتب المنزلة . واما سهدونا فقد ولد في قرية هلمون من صقع بانهدرا ومنذ حداثته جد فى الدرس والمطالعة فاصبح من مشاهير ائمة زمانه فى المعارف والعلوم . ثم اقيم اسقفاً على ماحوز اربون من ولاية باجرمي . فكان لين الجانب غزير الفضل وافر الادب . وسطر كتباً ورسائل انيقة الوشي مهذبة العبادة تتجلى الفصاحة فى كل فقرة من فقرها . واشهر هذه الكتب سفره الموسوم باسم « كمال السيرة » طبعه بيجان سنة (١٩٠٢ م) وضمنه خطباً ومواعظ في العيشة النسكية وقد جمعت بين المتانة والرقة والعذوبة مايسبي العقول ويسحر الالباب . واما رسائله فى تعداد مناقب الرهبان فتعد كنز حكمة للقاصي والداني .(١)

ومن الرهبان العراقيين المشهورين يومئذ ابراهيم الكبير الكسكري (المتوفى سنة ٥٨٨ م) . تضلع من علم الكتاب المقدس وقصد الحيرة ثم مصر وتعلم هناك انظمة الرهبان الزهاد فرجع قافلا الى نصيبين وبنى ديراً فخماً فى جبل الازل . ومن مصنفاته سفره في قوانين الحياة النسكية طبعه المستشرق شابو فى رومة سنة (١٨٩٨ م) . ومن معاصريه داديشوع (المتوفى سنة ٦٠٤ م) . كان مسقط راسه بيت ارماي ودرس فى مدرسة نصيبين ثم توجه الى اربل ومن هناك الى جبال حدياب وقد وضع قوانين لرهبانه . (٢)

---

(١) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٣٠ و ٢٨٢ـ٤٢٨ . وتاريخ الموصل ٢ : ٢٠ـ٢١ . وكتاب الرؤساء ص ٥٣ـ٥٤ و ٦٤ـ٦٦ . ومدرسة نصيبين ص ٤٢ـ٤٥ . ومجلة المشرق ٥ : ٨٤٨ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٨٥ .

(٢) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٥٧ـ٢٥٨ وذخيرة الاذهان ١٧٥ـ١٨١ . والديورة ص ٢٨ .

هذا واشتهر فى تلك الاثناء ماعدا هولاء الادباء جمهور غفير من العلماء والادباء والشعراء نالوا شهرة واسعة فى نشر المعارف. ويضيق بنا نطاق هذه الفصول اذا احببنا ذكرهم واحداً فواحداً . وقبل ان نكتب عن نصارى العراق فى عهد الدولة العربية يحق علينا ان نتكلم عن اللغة الارمية واقلامها وآدابها ولاسيما شعرها .



الفصل الثالث

تاريخ اللغة الارمية

اللغة الارمية

اللغة الارمية احدى اللغات السامية (١) . واما اللغة السامية الاولى فقد اضمحلت بتطور لهجات الشعوب الناطقة بها حتى اضحت هذه اللغات كلها مغايرة لأصلها . بيد ان فى هذه اللهجات مفردات ورثتها عن اللغة الاولى واشتركت اغلب الامم السامية في استعمالها بفروق قليلة لا تتجاوز الظواهر . فالساميون عند تفرقهم كانوا يتكلمون لغة واحدة ثم تغيرت تلك اللغة وتفرعت منها عدة فروع انطبع كل منها بطابع المكان والبيئة على مقتضى ناموس الارتقاء . ان كل طائفة من اللغات مهما تبدلت هيئاتها وتعددت فروعها فى الظاهر فالاصل متحقق فى كل واحد من تلك الفروع مستصحب في جميعها على السواء وما اعتور ذلك الاصل من التباين وتفرق اللهجة انما عرض بسبب تفرق المنتحلين له وطول انقطاع بينهم (٢) . فقد تباعدت ألفاظ اللغات السامية وهي لأصل واحد مشترك وتشعبت تراكيبها وتمايزت لهجاتها وهي لا تزال اجزاء سلسلة واحدة [٣] .

---

(١) المراد باللغات السامية اللهجة التى كانت ألسنة ابناء سام بن نوح ومن اخذ اخذهم وهم سكان القسم الجنوبى من غرب آسيا من حدود الارمن شمالا الى البحر العربى جنوبا ومن خليج العجم شرقا الى البحر الاحمر غربا (مجلة الضياء ٤ : ٤٨٦) .

(٢) مجلة الضياء ٤ : ٤٩١ .

(٣) راجع فى هذا الصدد :

C. Brockelmann - Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitichen Sprachen (Berlin, 1908-1913)

وتاريخ اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفنسون (مصر ١٩٢٩) .

ويؤيد ذلك ما ورد فى التوراة (١) عن ابراهيم الخليل فانه قد نزح عن أور الكلدان واجتاز سورية وفنيقية وغيرها من الاقطار وخالط اهلها وهو يفهم لسانهم . وبنو اسرائيل قضوا فى تيههم اعواماً وتوغلوا في بلاد عديدة وامتزجوا بشعوب كثيرة وهم يفهمون لغاتهم ولهجاتهم [٢] .

والارميون بعدما تغلغلوا في اطراف البلاد وانتشرت لغتهم انتشاراً عظيما ولاسيما عندما انصرفوا الى المتاجر وقبضوا ازمة الوظائف فى عهد الدولة الآشورية فاصبح الناس في بلاد بابل يتعلمونها لسهولتها وبساطتها وطفقوا يستعملونها في شؤونهم ويختزلون بها كتاباتهم المسمارية (٣) فاضطر كل كاتب الى اتقان الكتابتين معاً . ثم شاعت وذاعت في آسية الصغرى وسورية وفلسطين وبلاد العرب الشمالية وبلغت اوج اتساعها من ايام سبي بابل (٥٨٦ ق . م) الى ظهور الاسلام . فقد كلم بها الكلدانيون الملك بختنصر (٦٠٤—٥٦١ ق . م) . وخاطب بها ربشاقة رسول سنحاريب ملك آشور (٧٠٥—٦٨١ ق . م) وزراء الملك حزقيا . وكتب بها سكان السامرة عريضة الى ارتحشتا ملك الفرس (٤) .

واننا لا نجوؤ ان نعين العهد الذي ظهرت فيه الكتابة الارمية ويؤيد المؤرخون ان الملوك الآشوريين قلدوا الارميين مناصب الكتابة فى دواوين مملكتهم فكانوا كتبتهم ومسجلي وقائعهم وحافظي اخبارهم . فلا ريب ان زمناً مديداً سبق هذا العهد تدرجت فيه الكتابة شيئاً فشيئاً حتى بلغت أشدها فبرزت

---

(١) سفر التكوين ١٢ : ١—١١ .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ١ : ١٣ .

(٣) تاريخ العصور القديمة ص ١٠٩ .

(٤) سفر اشعيا ٢٦ : ١١ . وسفر دانيال ٢ : ٤ . وسفر اخبار الملوك الثاني ١٨ : ٢٦ . وسفر عزرا ٤ : ٧ .

بتلك الصورة الحية الراقية . ومن آثارها رقم عديدة وقف عليها المنقبون في انحاء البلاد ومن اقدمها رقيم كلمو في ايام شلمناصر الثاني (٨٥٩—٨٢٩ ق.م) ورقيم بنمو (٧٤٠ ق.م) ورقيم ملك حماة ورقيم هدد يرجع تاريخهما الى اوائل المائة الثامنة ق.م . هذا عدا ما وجد من الكتابات الارمية في شبه جزيرة سينا وعلى اجداث الملوك الاباجرة (١) في مدينة الرها وغيرها من المدارج البردية والكتابات الارمية (٢) . ومن اقدم الآثار النصرانية الكتابية رسالة ابجر الخامس (٣)

لقد كانت الارمية لغة سكان ما بين النهرين واقطار الشام وتغلغلت في بلاد الفرس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها ثم امتدت الى وادي النيل وآسية الصغرى وشمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت دهوراً طوالا اللغة الرسمية والتجارية للامم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين .

لقد بقيت اللغة الارمية من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي اللغة السامية الوحيدة — ان استثنينا اللغة العربية — ترجماناً للاعراب عن آراء الساميين والتعبير عن افكارهم في غضون اثني عشر قرناً . وبقيت بعد استيلاء الفرس على بابل لغة رسمية وكان ملوكهم يصدرون مراسيمهم بها (٤) .

(١) تاريخ العصور القديمة ص ١٦٣ . واللمعة الشهية ص ١٦—٢٠ و ٤٦ و ٥٩—٦٠ وتاريخ اللغات السامية ١١٨ و ١٢٠ و ١٢٢—١٢٣ و ١٢٩—١٣٣ . واللؤلؤ المنثور ص ١٧ . ومجلة المشرق ٦ : ٧٠٥—٧٠٦ . ومجلة الاعتدال (٤ [النجف ١٩٣٧] ص ٢٥٢) .

(٢) مجلة المشرق ١٠ : ٦٧٣ و ١١ : ٥١—٦٠ و ١١٨—١٢٦ و ٣٠٢—٣١٠ .

(٣) عصر السريان الذهبي ص ٣٠ .

(٤) راجع سفر عزرا ٤١ : ٧ .

وتعلم اليهود هذه اللغة في منفاهم في ارض بابل وكتبوا بها كتاباتهم الدينية والادبية . وكانت احدى اللغات الثلاث في بلاط الاكاسرة (١) .

* * *

لا مرية ان لهجة اللغة الارمية خضعت لتطورات كثيرة شأن كل لهجات العالم ونشأ منها لغة واحدة في الادب بمفرداتها وقواعدها وتراكيبها واساليبها ونجهل زمن هذه التطورات ولكن المحققين يؤيدون بان اللغة الارمية الرهوية كانت ثابتة بكتابتها الاملائية وباسلوبها الانشائي كما ايدت الآثار والكتابات الحجرية (٢)

ظلت اللغة الارمية زاهرة زاهية حتى اواخر القرن السابع الميلادي وامتدت الى القرن الثامن ثم تقدمت في القرن الثاني عشر والثالث عشر (٣) . بيد انه في اوائل القرن الثامن اخذ يتقلص ظلها لدى تمازجها باللغة العربية ثم دب الضعف في جسمها وغادرت على تعاقب الزمن اكثر المدن واعتصمت بالقرى والجبال فلابستها الألفاظ الغريبة مما نراه في اللغة العامية الدارجة المعروفة بالسورث (٤) . ويتكلم بها الآن بعض الشعوب القاطنة في العراق وكردستان وسورية وبلاد

(١) مجلة لغة العرب ٤ : ٢٦٥ .

(٢) تاريخ الموصل ٢ : ١٢—١٤ واللمعة الشهية ١ : ٥٠—٩٨ . وتاريخ مختصر الدول ص ١٨ . ومجلة النجم ٨ : ٣٦٧—٣٧٥ .

(٣) آداب اللغة السريانية لدوفال ص ٣٣٧ . واللؤلؤ المنثور ص ١٨٧ . واللمعة الشهية ١ : ٢٠١—٢٠٣ . والنصرانية في مملكة فارس للابور ص ٦٥٠ . والاقليات في العالم العربي لحوراني ص ١١ .

(٤) كلمة السورث مختزلة من الكلمة الارمية (سور يائيث) اي بحسب اللغة السريانية وهذه الصيغة مستعملة عند المتكلمين بهذه اللغة فيقولون : قردث وتركث ومغلث اي بحسب اللغة الكردية والتركية والمغولية .

العجم . واما اللغة الارمية الفصحى فلم تجد مأوى يحدب عليها غير الكنائس وغرف المدارس الطائفية ولولا انها لغة طقسية لخمس طوائف شرقية لاضمحلت من الوجود .

واللغة الارمية الكتابية الفصحى الشائعة اليوم على لهجتين او لغتين : اللغة الارمية الشرقية (الكلدانية) وهى لغة طقس الكلدان الكاثوليك والنساطرة واللغة الارمية الغربية (السريانية) وهى لغة طقس السريان الكاثوليك واليعاقبة والموارنة . والفصل الاعظم المميز لكل منهما اختلافهما باللفظ . فان الكلدان والنساطرة يلفظون الزقاف [١] بالفتح ويشددون الحرف المتحرك اذا سبقه متحرك آخر . واما غيرهم فيلفظون الزقاف بالضم المرفوع وينفون كل تشديد. وتمتاز احداهما عن الاخرى بفرق زهيد فى صورة الحروف. واما القواعد فهي واحدة مع اختلاف طفيف لا اهمية له [٢] .

ان اللغة الارمية اقرب الى العربية والعبرانية وذلك ان فيها اسماء مؤنثة بدون علامة التأنيث واسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث . وتزاد النون فى افعالها بعد واو الجمع وياء الواحدة زيادة مطردة في المضارع . ويدل على التأنيث فى ماضي الغائبة بالتاء . وتفتتح مزيدات افعالها بالهمزة دون الهاء فيهما . ويأتي فيها المصدر ميمياً . وتبنى الصفة مما فوق الثلاثي بناء مطرداً بزيادة ميم موضع حرف المضارعة مكسوراً ما قبل آخرها للفاعل ومفتوحاً للمفعول الى غير ذلك .

---

(١) الزقاف حركة من حركات اللغة الارمية (الاصول الجلية ص ٨) .

(٢) راجع عن اللغة الكلدانية والسريانية : اللمعة الشهية ١ : ٦٠-٦٦ ومعجم دليل الراغبين ص ١٢-١٣ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣١ . وتاريخ اللغات السامية ص ١٤٦ . ومجلة المشرق ١ : ١٠١-١٠٣ . ومجلة النجم ٢ : ٢٣ .

فهي فى هذه كلها ادنى الى العربية [١]. والحروف فى هذه اللغة هي عين الحروف العبرانية باعدادها ومقاطعها . واذا سكنت النون فيها تدغم فيما بعدها او تحذف وتشبع حركة ما قبلها . ولا تثنية فيها الا فى اسماء محفوظة لا تتجاوز فيما نقلوا اربعة . وليس فيها من الصيغ المختصة بالجمع الا الجمعان السالمان . وكل لفظة بدئت فى العربية بالواو فهي فيها بالياء . والسين والشين متعاقبتان بين ألفاظها وألفاظ العربية إلا فى النادر . فهي في هذه كلها اقرب الى العبرانية . وفيما بقي من احكامها فهي تارة تطابق اللغتين جميعاً وتارة تخالفهما جميعاً وكذلك حالها فى الاوضاع والمعاني فهي على الجملة بين بين [٢].

٣ ـ القلم الارمي

اقتبس الارميون الحروف الابجدية من الفنيقيين وهم امة شامية [٣] وكانت لغتهم ارمية محضة او ادنى اليها من سائر اللغات السامية [٤]. بيد ان العلماء لم يقفوا على القلم الاول الذي استنبطوه ولا على حروفه واحداً واحداً . ولا مراء ان القلم القديم تغير شيئاً فشيئاً وتولد منه اقلام عديدة متشابهة تختلف باختلاف ازمانها واماكنها . والمعروف الآن من هذه الاقلام القلم السامري [٥] والتدمري والنبطي [٦] ومن الاخير نشأ القلم الحميري العربي الذي منه تولد القلم الكوفي ومن هذا نتج القلم النسخي [٧].

ان اقدم الاقلام الارمية ذكراً قلم اهل الجهات الشرقية من اقطار بابل

---

(١) الاصول الجلية فى نحو اللغة الارمية ص ١١-١٧ و ١٦١-١٩٩ واللمعة الشهية ٢ : ١٣-٥٥ .

(٢) مجلة الضياء ٤ : ٥٨٣ .

(٣) انجيل مرقس ٧ : ٢٦ .

(٤) اللمعة الشهية ١ : ٩٩ . وعصر السريان الذهبي ص ٦ .

(٥) كان اليهود يكتبون بهذا القلم قبل جلائهم الى بابل في عهد بختنصر ٦٠٤-٥٦١ ق.م

(٦) العرب قبل الاسلام ١ : ٨٠-٨١ و ٢١٩-٢٢٠ .

(٧) مجلة لغة العرب ٢ : ٤٢٥-٤٣٤ .

وهو قلم مقطع الحروف مربعها على الاغلب قد تعلمه اليهود الذين جلاهم بختنصر (٦٠٤ — ٥٦١ ق . م) من سكان بابل وحفظوه الى يومنا ويسمى الآن الخط الآشوري المربع . وتعلم هذا الخط نفسه او اصله اليونان . ومما يؤيد ذلك ان حروف اللغة اليونانية مرتبة ترتيب الحروف الارمية اصلا وان اسماءها فى كلتيهما واحدة الا انهم وضعوا فى اواخرها الف الاطلاق وغيروا بعضها تغييراً يسيراً هذا فضلا عن ان صور الحروف اليونانية فى اوائلها تشبه كثيراً الحروف الارمية القديمة التي بقي أثرها فى القلم التدمري والقلم الآشوري المربع (١)

هذا وان الفرس كانوا يكتبون بالقلم الارمي فملكهم دارا اقام أعمدة على حدود بلاد اليونان مسطورة باليونانية والارمية . وهكذا الارمن كانوا يكتبون بهذا القلم الى القرن الخامس للميلاد ثم اخترعوا قلمهم الارمني (٢)

ان القلم الارمي القديم قدتغير لكثرة استعماله من قرن الى قرن ومن مكان الى مكان كما حدث لاقلام سائر الامم . فاصبح في غضون القرن السابع قبل الميلاد في بلاد بابل على الهيئة التي نراها الآن عند اليهود . ثم لم يزل هذا القلم يتغير حتى تولد منه فى مطاوي المائة الاولى للميلاد القلم الاسطرنجيلي او المربع وهو من الاقلام القديمة المشهورة اليوم لدى ادباء الارمية ويقرب من القلم الاشوري المربع والتدمري وبقوا دهورا لا يكتبون الا به . ثم على تعاقب الزمن تولد منه قلم آخر اسهل وألين عريكة يحق لنا ان نسميه القلم المتوسط . فخصص حينئذ النساخ القلم الاسطرنجيلي لتسطير الانجيل ثم لكتابة الكتاب المقدس على العموم والمصاحف الثمينة والكتابات الرسمية ومبادىء الفصول وعناوينها (٣) وخصصوا القلم المتوسط لبقية المصنفات.

(١) كتاب التمرنة ٢ : ٢٩ - ٣٢ . ورحلة بنيامين ص ٩٧ و ١٨٩ .
(٢) كتاب التمرنة ٢ : ٣٢ .
(٣) اشهر من اجاد صناعة الخط الاسطرنجيلي بولس بن عرقا الرهوي (اوائل القرن الثالث الميلادي) . قال الحسن بن بهلول فى معجمه نقلا عن حنا نيشوع بن سروشون اسقف الحيرة (القرن التاسع الميلادي) « ان الله خول بولس احكام هذا القلم اجلالا للانجيل لكي يتبسط الفكر فيجد فى قراءته بهذه الخطوط الفسيحة الجميلة (١ : عمود ٢٢٥ـ٢٢٦) .

وفي اثناء المائة الحادية عشرة للميلاد تغير الخط المتوسط شيئاً فشيئاً وتولد منه ثلاثة اقلام اختص احدها بالنساطرة وهو المعروف اليوم بالخط الكلداني وانه اقربها من القلم الاسطرنجيلي . واختص الثاني باليعاقبة وهو الخط السرياني . واما الخط الثالث فاختص بالملكيين وقد استعملوه قبل ان يتخذوا الخط العربي بدله (١) .

بقي ادباء الارمية يكتبون بالخط الارمي بدون علامات على الرغم من كثرة تطوراته . وكانت اول علامة اصطلحوا عليها نقطة يرسمونها فوق الريش لتتميز عن الدلث (٢) . وتؤيد المصادر التاريخية ان السريان الشرقيين والغربيين لم يستعملوا علامات للحركات قبل المائة الثامنة للميلاد ٣ .

آداب اللغة الارمية

لقد اصبح من الثابت ان كل علم او فن يبتدىء ناقصاً . ثم يترقى ويكمل على تمادي السنين جرياً على سنن التقدم . والآداب الارمية التي تلقيناها كاملة محكمة قبل الميلاد فلاشك أنها قد نمت وتدرجت وتكاملت رويداً رويداً على اختلاف العصور وتقلب الحدثان الى ان تهذبت اساليبها وتشعبت مناحيها . او ربما تلك النهضة سبقتها نهضات ادبية اقتبست منها آدابها وورثت ثروة جهدها فظهرت باسلوبها الرائع الناصع الذي يتجلى في سفر حيقار (٤) وقصائد وفا ٥

(١) اول من نقل الكتب الطقسية الملكية من اللغة الارمية الى العربية البطريرك افتيموس الثاني (المتوفى سنة ١٦٣٧) . راجع (السلاسل التاريخية ص ٨٩) .
(٢) الربش والدلث من الحروف الابجدية الارمية .
(٣) اللؤلؤ المنثور ٢٦ـ٣١ . واللمعة الشهية ١ : ٩٨ـ١٧٣ . وتاريخ اللغات السامية ص ١٤٤ـ١٦٠ . وعصر السريان الذهبي ص ٧٧ـ٩٢ .
(٤) تاريخ كلدو واشور ١ : ١١٣ ـ ١١٤ واللؤلؤ المنثور ص ١٧ .
(٥) اللؤلؤ المنثور ص ١٩٠ـ١٩١ .

ورسالة مارا بر سرابيون (١) واضرابهم من العلماء والمؤلفين وما زالت مثالا لأدباء الارمية طوال العصور الى اليوم .

قال جماعة من علماء الغرب ان آداب اللغة الارمية نشأت وتدرجت وتكاملت في القرن الثاني الميلادي عند نصارى ما بين النهرين ، ثم انتشرت فى الاصقاع الشرقية انتشار الدين المسيحي . غير ان هذا القول زعم باطل ورأي فائل . لأنه حينما ظهرت النصرانية كانت اللغة الارمية قد بلغت كمالها بقواعدها واساليب انشائها ويتكلم بها الخواص والعوام . ومن المحال ان تكون هذه اللغة الكاملة فى بدء التاريخ المسيحي قد تثقفت وتهذبت واصطبغت بالصبغة الفنية الرائعة فى مدة وجيزة .

ثم لو طالعنا مصنفات اشهر ادباء الارمية القدامى والاحداث فلا نرى فيها اختلافا بين مفردات اللغة ولا فى تركيب جملها بل لم يطرأ عليها تبديل منذ استقرارها . فما بقي من نثر الحكيم حيقار ونظم الشاعر وفا يطابق كل المطابقة حالتها القديمة . فانشاء حيقار هو انشاء وفا ومارا بر سرابيون وهو انشاء ططيانس (٢) (المتوفى سنة ١٨٠ م) وبرديصان (٣) (المتوفى سنة ٢٢٢م) وافرهاط الحكيم الفارسي (٤) (المتوفى سنة ٣٤٦م) وغيرهم من ادباء الارمية النصارى . فان حيقار وضع سفره فى بابل فى القرن السابع ق . م . ووفا نظم ابياته بزمن بعيد

(١) تاريخ الموصل ٢ : ١٧ . وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ٤٠ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٤١-٢٤٢ . واللؤلؤ المنثور ص ١٥٤ .
(٢) انظر ص ٨ .
(٣) مجلة المشرق ١٨ : ٩٨٠ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٣٥-٢٤١] . وتاريخ مختصر الدول ص ١٢٥ . والتاريخ للكنمي ١ : ٤٥ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٠-٢٣ . والدرر النفيسة ص ٤١٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ٥٧ .
(٤) المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٨٥ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٤٥ واللؤلؤ المنثور ص ١٩٥ . والدرر النفيسة ص ٤٦٨ . والاداب السريانية لدوفال ص ١٢٣-١٢٥ . ومجلة النجم ٨ : ٢٩٩-٣٠٤ .

قبل الميلاد . ومارا بر سرابيون حبر الرسالة لابنه في اواخر المائة الاولى او اوائل المائة الثانية بعد الميلاد . وططيانس برع في الآداب الارمية عند الوثنيين بعدما بلغ عنفوان شبابه . وبرديصان قرأ العلوم على الوثنيين كما ذكر فى كتابه (شرائع البلدان) . اما افرهاط فقد صنف مؤلفه في القرن الرابع للميلاد . (١)

لا ننكر ان اللغة الارمية تأثرت من اللغة اليونانية كما تأثرت بعض التأثير من اللغة العبرية والفارسية والعربية (٢) بيد ان هذه التأثيرات لم تتجاوز اوضاع اللغة وضروب انشائها . وفى القرن الخامس قضى رابولا اسقف الرها (المتوفى سنة ٤٧٥ م) . قضاء مبرماً على البرديصانيين واتباع ططيانس الذين ابتغوا ان يوحدوا الآداب الوثنية والآداب النصرانية . فشتت شملهم واوصد ابواب مدارسهم واستأصل شأفة معاهدهم العلمية (٣)

اتسعت آداب الارمية اتساعا عظيما فى اغراضها وألفاظها ومعانيها واساليبها مع ترسل فى فنون الكلام وضروب البلاغة . فاصبحت سمة آداب القرون الأولى للميلاد الصدق فى الاقوال والوضوح فى الاراء والابتعاد عن التكلف والغلو والاكثار من الحكم السديدة والتبحر في اسرار الفلسفة الدينية . هذا فضلا عن انسجام العبارة وسلاستها ومتانة الاساليب وسهولتها . وعلى تمادي الايام راجت في سوقها الالفاظ الجديدة لحاجتها اليها . ثم حلى ادباء الارمية كلامهم بروائع الاستعارات وطرائف التشبيهات ونوادر المواعظ . وتغلبت على ذلك كله انواع البديع وبراعة الانشاء وجزالة الالفاظ .

(١) تاريخ كلدو واثور ١ : ١١٣-١١٤ و ٢ : ٣٩-٤١ . وتاريخ الموصل ٢ : ١٦-١٨ . واللؤلؤ المنثور ص ١٧ .
(٢) اللمعة الشهية ١ : ١٧٢ ٢٩٢ . وتاريخ الموصل ٢ : ١٤-١٦ . وتاريخ اللغات السامية ص ١٤٨ .
(٣) الدرر النفيسة ص ٢٥١ . ومجلة المشرق ١٨ : ٩٨٠ .

لقد اهتم نصارى العراق اذ ذاك بآداب لسانهم وسعوا وراء العلم وجدوا . وسهروا الليالي واجتهدوا . ونبغ منهم كتبة افاضل ومنشئون جهابذة وعلماء اعلام وفلاسفة اجلاء . فكانت مدينة حران كعبة الادب الارمي ومدينة الرها مهد معاهده الادبية (١) وبلاد العراق مباءة علومه ومعارفه .

هذا وتقدمت صناعة التأليف لدى ادباء الارمية تقدما عجيباً حتى ان عدد المصنفين الذين ظهروا منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن الثالث عشر جاوز الاربعمائة واسفار هؤلاء اربت على العشرين والثلاثين والاربعين في كل فن وعلم (٢) . لا بل جاوز المؤلف الواحد عندهم العشرة والعشرين مجلداً . فمصنفات يعقوب اسقف نصيبين (٣) (المتوفى سنة ٣٣٨ م) . ومار فيلكسين اسقف منبج (٤) (المتوفى نحو سنة ٥٢٣ م) . ومار يعقوب الرهوي (٥) (المتوفى سنة ٧٠٨ م) ومارموسى بن كيفا (٦)(المتوفى سنة ٩٠٣ م) وابن العبري (٧) (المتوفى سنة ١٢٨٦ م) وغيرهم فاقت الثلاثين والاربعين مجلداً . وقصائد الملفان

---

(١) كان في الرها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصاري (تقويم البلدان ص ٢٧٧) .

(٢) تاريخ كلدو واثور (المقدمة ص ٨) . وعصر السريان الذهبي ص ١٠ .

(٣) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٤١-٤٣ . واعمال القديسين والشهداء ٤ : ٢٦٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٨٧-٨٩ . والمكتبة الشرقية ١ : ١٧-٢٤ . ومجلة النجم ٤ : ١٠ و ١٠ : ١٧٨-١٧٩ . والدرر النفيسة ص ٤٥٧ .

(٤) انظر ص ٣٤.

(٥) الاداب السريانية لدوفال ص ٤٧٤-٤٧٦ . والتاريخ الكنسي ١ : ٢٨٩ . والمكتبة الشرقية ١ : ٤٧٦-٤٩٤ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٣٠٣-٣٠٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٥١ و ٣٦٦-٣٧١ . ومجلة النجم ٩ : ١٢ .

(٦) اللؤلؤ المنثور ص ٣٥٠ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤١٩-٤٢٠ والمكتبة الشرقية ٢ : ١٢٧-١٣١ و ٥٠٨ . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٩١-٣٩٢ .

(٧) ذخيرة الاذهان ٢ : ٦١-٧١ . واللؤلؤ المنثور ص وعصر السريان الذهبي ص ٥ .

مارافرام (١) (المتوفى سنة ٣٧٣ م) لا تحصى . ومنظومات نرسي (٢) (المتوفى سنة ٥٠٢ م) ويعقوب السروجي (٣) (المتوفى سنة ٥٢١ م) ٤ ما عدا كتبهما تعد بالمئات . ولبابأي الكبير (٥) (المتوفى سنة ٦٢٧ م) اربعة وثمانون كتابا . ولجبرائيل اسقف هرمزد اردشير (٦) (اواخر القرن السادس الميلادي) ثلاثمائة رسالة . وليوسف الاهوازي المعروف بحزايا اي الناظر (المتوفى ٥٨٠ م) الف وتسعمائة رسالة . فقد وضع زهاء عشرين سفراً في التاريخ ومثلها في علم اللاهوت والفلسفة والطبيعيات واكثر من هذه وتلك في تفسير الكتاب المقدس (٧) .

لم تصل الينا هذه المؤلفات لأن اكثرها قد اغتالتها يد الضياع وعبثت بها كوارث الحروب والغزوات . بل ان تعصب الفرق المسيحية في دينهم حملهم على ان يجعلوا كل رسالة وصلت من جدودهم فريسة النيران كما حذا حذوهم المتاخرون

---

(١) الاداب السريانية لدوفال ص ٣٢٩-٣٣٣ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٤٦-٥٠ . واللؤلؤ المنثور ص ٢٠١ . والدرر النفيسة ص ٥٢٣ . وذخيرة الاذهان ١ : ٩٧-١٠٠ . والتاريخ السعردي ١ : ٢٩٣-٢٩٥ . ومجلة المشرق ١٨ : ٧٢١-٧٣٢ . ومقالنا في نشرة الاحد ١ : ٣٩٣ .

(٢) راجع ص ٣٣ .

(٣) السروجي نسبة الى السروج : مدينة بنواحي حران من بلاد الجزيرة وبينها وبين حران نحو مسيرة يوم (تقويم البلدان ص ٢٧٧) .

(٤) تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٦٤ و ٣٠٠ . والمكتبة الشرقية ١ : ٢٨٣ : ٣٤٠ والاداب السريانية لدوفال ص ٣٥٣-٣٥٥ واللؤلؤ المنثور ص ٢٢١ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٣١ .

(٥) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٧٨-٢٧٩ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٧٧ .

(٦) هرمزد اردشير اوهرمشير وتدعى اليوم الاهواز او سوق اهواز تقع على نهر كارون وسماها اليونان ديوسبوليس (تاريخ كلدو واثور ٢ : يج) .

(٧) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٧٩ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ح . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٤٨ . وكتاب الرؤساء ص ٤٢ .

ايام انضوائهم الى الكنيسة الكاثوليكية فحبهم المفرط للكثلكة ساقهم الى ان يتلفوا اسفاراً نفيسة عديدة لاشتمالها على تعاليم نسطور او اوطاخي .

ان ادباء الارمية تبسطوا في العلوم المختلفة واستنفذوا اسرارها وغوامضها فخلدوا من الآثار ما يبقى على توالي الاحقاب . فقد الفوا الكتب اللغوية ووضعوا المصنفات التاريخية والجغرافية والفلكية . وتنافسوا في تحبير الاسفار الطبيعية والطبية والفلسفية واللاهوتية .

كان ادباء الارمية تلاميذ اليونان لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم . ثم اقتبسها الفرس منهم وهكذا اتقنها المسلمون بعدهم (١).

الشعر الارمي

الشعر من اقدم الفنون الجميلة عهداً . فقد نما وترعرع وبلغ اوج الكمال على تراخي الايام والاعوام . اما تاريخ ظهور الشعر الارمي فمتعذر تعيينه لأن النصارى اتلفوا كل أثر ديني غير مسيحي . والمظنون انه كان وافراً . فكل الاقوام القديمة تمسكوا بعباداتهم ومن عادة كهانهم ان يرتلوا المزامير والاناشيد في معابدهم . وكانت اكثر هذه المزامير شعرية لتفعل فى النفوس مفعولها . فلا نشك فى ان الارميين ومن تكلم بلسانهم نظموا نظير هذه الاناشيدالدينية . وانشدوا غيرها في الاعراس والمآتم او في الغزل والمدح والهجاء والحماسة والحكم . وقد ارتأى بعض المعاصرين ان الشعر الارمي ظهر في اوائل القرن الثاني للميلاد وان برديصان (المتوفى سنة ٢٢٢ م) اول من وضع مقاطعه . غير ان العلامة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٢٨–١٣٢ .

الراهب انطون التكريتي (اواسط القرن التاسع الميلادي) فى كتابه (معرفة الفصاحة) ايد خلاف ذلك . فالشاعر وفا نبغ قبل المسيح بزمن بعيد وحبك قصائد حكمية حماسية غزلية (١) .

كان الشعر الارمي فى اول امره تقاطيع قسمت الى ادوار يشتمل كل دور منها على ابيات معلومة . ولكل بيت عدد من المقاطع يلزمها الشاعر بحسب الانغام وفنون الغناء بدون التقفية غالباً . ثم اصطبغت هذه الادوار بالصفات الفنية وتكيفت بالاغراض التي يتطلبها الزمن حتى برزت بتلك الصورة الحية الرائعة التي برزت فى عهد برديصان وتلاميذه في اوائل القرن الثاني للميلاد . فهذه النهضة الاخيرة ولا مراء قد سبقتها نهضات عديدة اختلفت باختلاف الايام والاحوال السياسية والأدبية واستمدت منها قوتها وجنت ثمار تفكيرها .

وفى القرن الثالث الميلادي استطارت شعلة الشعر الارمي الى انحاء البلاد واتسعت رقعته . فانبرى الشعراء ينظمون القصائد وهم يميزون بين الميامر (القصائد) والمداريش (المناظرات) والسوغيثات (الاغاني) . فكان لكل منها ادوارها الخاصة تختلف طولا وعدداً فى المقاطع والاوزان (٢) . فمن الابيات ذات خمسة مقاطع . ومنها ذات سبعة مقاطع . ومنها ذات اثني عشر مقطعاً . وما لبثوا ان ابدعوا فيها وكسوها من زخرف البيان ابهى حلة حتى اصبحت معدناً للمعاني البليغة ومنهلا للحكم الغالية . ولما بزغت شمس القرن الرابع الميلادي تنبهت الفطن ونشطت الهمم فارتقت فى غضونه الآداب أي ارتقاء وشاع الشعر اي شيوع . فقد تلألأ فى سمائه كواكب من الاعلام الاماثل الذين اشتهروا بالعلم ونبغوا فى الشعر وفازوا بالسهم المعلى فى التصنيف والتأليف . بيد ان كوكب

(١) اللؤلؤ المنثور ص ١٩٠–١٩١ . والدرر النفيسة ص ٢٥ . وعصر السريان الذهبي ص ٦٢–٦٣ .

(٢) مجلة المشرق ١٨ : ٧٣٠ .

ذلك القرن الزاهر امام الشعر الارمي الملفان مار افرام (المتوفى سنة ٣٧٣م) . فانه ابتكر الوزن الشعري السباعي وابدع في اسلوبه أي ابداع . فتشاهده يتدفق فيه تدفقاً كأنه الودق الركام وبحبكه حبكاً كأنه الدر المرصوف واصفاً اغمض العقائد المسيحية وصف اعظم اللاهوتيين مؤيداً ادق الحقائق الدينية بلا تكلف ولا مشقة . والحق يقال : ان من يطالع شعر هذا العلامة لرأى من بنات الافكار وسحر البيان وسلاسة التعبير ما يشده العقول ويذهل البلغاء الفحول . فقد لقب بملفان الملافنة وافرام الكبير وعمود الكنيسة وكنارة الروح . وروى بعض المؤرخين انه نظم اثني عشر الف قصيدة اكثرها من عيون الشعر الارمي [1] .

ومن الشعراء الذين اقتفوا آثار زعيمهم مار افرام وتصرفوا نظيره في فنون الشعر بالاي بن آبا [2] (اواخر القرن الرابع الميلادي) صاحب الوزن الشعر الخماسي . ونرسي (المتوفى سنة ٥٠٧م) . وقد ابتدع الوزن الشعري المركب من اثني عشر مقطعاً . ومار يعقوب السروجي (المتوفى سنة ٥٢١م) وغيرهم [3] .

لقد بلغ الشعر الارمي بعد القرن الثالث ذروة الكمال . ومن خصائصه التلاعب بالالفاظ والاغراق في الاختراع والتفنن في الاستنباط واصطباغ معظمه بالمعاني الدينية . هذا فضلا عن التصرف في فنون الفصاحة مع متانة الاسلوب ولطف التخيل وشدة الاسر . وسنقف في الفصول الآتية على تراجم اشهر الشعراء العراقيين الذين نبغوا في عهد الدولة العباسية من هذبوا الشعر ورفعوا لواءه في الآفاق واكتسبوا بقصائدهم ودواوينهم صيتاً ذائعاً يبقى مدى الدهور .

---

(١) اطلب حاشية ١ ص ٤٨

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٢٠٩ـ٢١٠ . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٣٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٢٨ .

(٣) راجع ص ٣٣ـ٣٤ و ٤٨

الفصل الرابع

نصارى العراق في عهد الخلفاء الراشدين والامويين

النصرانية بين القبائل العربية

انتشرت النصرانية في اليمن وحضرموت وعمان وفي غيرها من البلاد العربية منذ القرون الأولى للميلاد [1] وعاش من دان بها بين مواطنيهم في وئام وسلام . فكان ابناء القبائل العربية يختلفون الى صوامع وديارات الرهبان والى كنائس وبيع الكهنة ليتعلموا القراءة والكتابة . وممن وافتنا اسماؤهم ابو نصر البراق بن روحان وورقة بن نوفل والمرقش الاكبر وهو ابو عمرو الشيباني واخوه حرملة [2] وغيرهم . فكانوا يواظبون على الدرس . ويترددون الى المعلمين الذين في الجهات المجاورة لمساكن مضاربهم [3] .

قال الفيروزاباذي : « العباد قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة [4]

وقال اليعقوبي في تاريخه : « واما من تنصر من احياء العرب فقوم من قريش من بني اسد بن عبد العزى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن اسد . ومن بني تميم امرؤ القيس بن زيد مناة . ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم وتزندق حجر بن عمرو الكندي » [5] وقال ابن قتيبة : كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض

---

(١) النصرانية وآدابها ١ : ٢٧ـ١٢٣ .

(٢) شعراء النصرانية ص ١٤١ . والاغاني ٣ : ١٤ و ٥ : ١٧٩ـ١٨٥ .

(٣) راجع عن المعلمين : المعارف ص ١٨٥ . والاعلاق النفيسة ص ٢١٦ـ٢١٧ . والاغاني ١٨ : ٧٨ . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (مصر ١٣٥١ ه) ١ : ٢٠٨ـ٢١١ .

(٤) القاموس المحيط للفيروزباذي « مصر ١٣٥٣ ه » ١ : ٣١١ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٨ـ٢٩٩ .

قضاعة »[١] . وتكلمت الاخبـار عن انتشار النصرانية في غيرها من القبائل العربية منها : بكر واياد وكندة وضبيعة والاوس وحمير ويشكر وجذام ...[٢] وكانت هذه القبائل كلها منتشرة فى الجزيرة والشام والعراق . وممتزجة اخلاقا ومدنية بالنصارى وقد سادتها القومية الواحدة اعني القومية السامية . واما القبائل المتنقلة المتنصرة فلم تترك وشأنها بل كان يتدبر شؤونها اسقف او اكثر يدعون (اساقفة المضارب) وهم يرافقونها اينما حلت او رحلت ويقومون بالفروض الدينية تحت الخيم[٣] .

الهجرات العربية الى العراق

لم تنقطع فى يوم من الأيام الهجرة من جزيرة العرب الى الاقطار العراقية منذ عصور متوغلة فى القدم . غير ان انباء هذه الهجرات حتى مطاوي المائة الاولى للميلاد مكتومة في صدر الزمان . وقد ذكر الطبري ان تجار العرب كانوا يفدون الى بابل في عهد بختنصر (٦٠٤—٥٦١ ق . م) وهم يحملون البضائع والسلع ثم يمتارون منها الحب والتمر والثياب وغيرها[٤] .

ان اهم الهجرات العربية الى وادي الرافدين حدثت بعـــد بثق سد مأرب[٥] فى اواخر القرن الاول او اوائل القرن الثاني للميلاد . فقد نزل مالك بن فهم بقبائله اطراف الحيرة والانبار واسس بعدئذ سلالة التنوخيين في تلك

[١] المعارف ص ٢٦٦ .

[٢] الاعلاق النفيسة ص ٢١٧ . والمعارف ٢٤٩ و ٢٧٨ . ومجلة النجم ٢ : ٢٣٤. ومجلة لغة العرب ٣ : ١٤١—١٤٣ . ومعجم ما استعجم ص ٤٨ . والنصرانية وادابها ١ : ١٢٤—١٤٢ و٢ : ٤٥٢—٤٥٦ .

[٣] التاريخ السكنسي ٢ : ٣٤ . والمكتبة الشرقية ١ : ٢٦٥. وعصر السريان الذهبي ص ١٦ . والنصرانية وادابها ١ : ٢٦و٢ : ٤١٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٠٣ و ٣٢٥ .

[٤] تاريخ الامم والملوك ١ : ٢٩١.

[٥] تاريخ سني الملوك ص ٦٧ . وتاريخ الامم والملوك ٢ : ٢٨—٢٩.

الديار التي اتخذت الحيرة عاصمة لملكها فى عهد جذيمة الابرش (٢٠٨—٢٦٨م)[١]

وورد عن تبع وهو اسعد ابو كرب (٢٠٠—٢٣٦ م) انه انحدر الى العراق ومر بالحيرة وخلف قوماً من الازد وجذام وقضاعة فبقوا فيها . ثم انضم بعد ذلك لفيف من طيء وكلب، وسكون وبلحرث بن كعب واياد[٢] هذا فضلا عن القبائل والبطون والافخاذ من العرب الذين كانوا مبثوثين فى بقاع وادي الرافدين وقد خافهم البرثيون والساسانيون فعملوا على تمزيق سوادهم وتفريق كلمتهم . بل ابادوا منهم خلقاً جماً وافنوا قبائل عديدة[٣] .

قال ياقوت : « فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم . ونزل كثير من تنوخ الانبار والحيرة الى طف الفرات وغربيه ... فكره من تنوخ المقام بالعراق وان يدينوا لاردشير فلحقوا بالشام وانضموا الى من هناك من قضاعة ... فاهل الحيرة ثلاثة اصناف: فثلث تنوخ وهم كانوا اصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبـار فما فوقها . والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها . وهم قبائل شتى تعبدوا لملوكها واقاموا هناك . وثلث الاحلاف وهم الذين لحقوا بالحيرة ونزلوا فيها »[٤]

الفتوحات الاسلامية العراقية

ظهر الاسلام واتحد العرب وخضعوا لزعيم واحد لم شعثهم وجمع كلمتهم . ولما صار الأمر الى الخلفاء انساحت جحافلهم الجرارة فى ارجاء المعمورة فاوتوا

«١» الحيرة ص ١٠ .

«٢» تاريخ الكامل ١ : ١١٨ . وضحى الاسلام ١ : ١٧٤ .

«٣» الاغانى ٢ : ٣٥ . وتاريخ الامم والملوك ٢ : ٦٢ و ٦٧ . وتاريخ الكامل ١ : ١٣٩ . وتاريخ العراق بين احتلالين ١ : ١٩٠—١٩١ . وتاريخ الموصل ١ : ٢٨—٣٠ و ٥١—٥٢ . والاخبار الطوال ص ٥٦ .

«٤» معجم البلدان ٢ : ٣٧٨—٣٧٩ .

نصراً مبيناً وفتحاً جليلا غب معارك خاضوا غمراتها خوض الابطال الشداد . ففتحوا العراق وفارس والشام ومصر وافريقية الشمالية وارمنية والقوقاز وجزيرة قبرص في البحر الابيض . ثم اجتاحوا السند وبخارى وخوارزم وسمرقند الى كاشغر ادنى مدن الصين . كما بلغت جيوشهم اوربة من مضيق طارق فاستولت على الأندلس . لقد اتسعت رقعة ملك العرب من ضفاف الكنج الهندي الى شواطيء اللوار الفرنسي .

وكان المسلمون اذا ارادوا ان يفتحوا بلداً وجب عليهم ان يدعوا اهله الى الدخول في الاسلام فان اسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء . وان لم يسلموا دعوهم الى ان يسلموا بلادهم للمسلمين ويبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية [١] فان قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ولهذا يسمون (اهل الذمة) . وان لم يقبلوا الاسلام ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية اعلنت عليهم الحرب وقوتلوا . وفي اثناء القتال يحل للمسلمين ان يقتلوا المحاربين او من يعين على الحرب [٢]

دخل العرب الفاتحون العراق فرحب بهم النصارى ترحيباً لا مزيد عليه وانزلوا جنودهم في البيع والديارات [٣] ولا عجب في ذلك اذ لم تكن للنصارى

«١» كانت الجزية او ضريبة الاعناق معروفة لدى الروم والساسانيين . وكان النصارى في المشرق يؤدون الجزية الى ملوك الفرس (التاريخ السعردي ٢ : ٦٠٩) . وقد وضع لها المسلمون نظاما عادلا مراعين طبقات الناس وغناهم يدفعها الرجال فقط لا النساء . وتدفع نقداً او متاعا كثياب ونحوه . ومن لا يدفع الجزية يحبس . اما الضريبة على الارض فقد تسمى الخراج . وكان اول من دفع الجزية من اهل الكتاب اهل نجران مختصر (تاريخ العراق ص ٥٥ . ومجلة لغة العرب ٣ : ١١٠ وفتوح البلدان ص ٦٨ . وفجر الاسلام ص ٣٦. و ١٨٠ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٩٢) .

«٢» فجر الاسلام ص ٨٦ .

«٣» تاريخ الامم والملوك ٤ : ١٢ . وتاريخ الكامل ٢ : ١٤٧-١٥٠ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٥٢ . والتاريخ السعردي ٢ : ٦٢٧ .

مطامع سياسية وعرفوا ان عدداً عديداً من الجنود المسلمين كانوا من القبائل المتنصرة . وفي الوقت نفسه علموا ان المسلمين انفسهم يؤمنون بيوم الحشر ويعتقدون بالثواب والعقاب ويودون النصارى ورؤساء دينهم (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [١].

ومما لا ريب فيه ان سكان العراق ولاسيما الحيريين كانوا ينزعون الى ابناء عنصرهم . واتخذ الفاتحون مدينة الحيرة قاعدة لحركاتهم . وتركوا فيها عيالات اهل الايام . وارسلوا اليهم دقيقاً وغنما وبقراً . وجاء ان انس بن هلال النمري قدم ممداً للمثنى في اناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلا . وقدم ابن مردى الفهر التغلبي في اناس من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلا وهو عبدالله بن كليب بن خالد . وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا . وكذلك قالت فتية من بني تغلب في يوم البويب لما جلبوا خيلا للعرب . والذي قتل مهران غلام من التغلبيين نصراني [٢]

وبقيت النصرانية بين قبائل عرب العراق زمنا بعد الفتح في الحيرة والكوفة والانبار وما جاورها من الاصقاع . واشتهر في الكوفة الاسقف جرجس (المتوفى سنة ٧٢٥م) . فقد اقيم لبني طيء وعقيل وتنوخ وعرف باسقف العرب او اسقف عرب الجزيرة المؤمنين . وكان كرسي ابرشيته [٣] في عاقولاء . وهو من علماء عصره ومن الاحبار المتضلعين من الفلسفة . فوضع شروحا في بعض

(١) القرآن الكريم (سورة المائدة : ٨٢) .

(٢) التاريخ السعردي ٢ : ٦٢٧ . وتاريخ الامم والملوك ٤ : ٧٣-٧٤ و ٧٦ . والحيرة ص ٢٣٤

(٣) الابرشية كلمة يونانية يراد بها ولاية الاسقف الكنسية .

الاسفار المقدسة واسرار الكنيسة . ونظم قصائد وحبر رسائل وترجم كتاب الاورغانون لأرسطو [١] وذكر عن مار آبا الثاني (المتوفى سنة ٧٥٢ م) انه رحل الى الكوفة والحيرة ليتفقد ابناء طائفته [٢] .

وورد فى الاخبار الطوال ان عبدالرحمن بن ملجم خرج ذات يوم الى السوق فى الكوفة متقلداً سيفه . فمرت به جنازة يشيعها اشراف العرب ومعها القسيسون يتلون الانجيل . فقال : « ويحكم ما هذا ؟. فقالوا هذا ابجر بن جابر العجلي مات نصرانياً وابنه حجار بن ابجر سيد بكر بن وائل فاتبعها أشراف الناس لسؤدد ابنه واتبعها النصارى لدينه » [٣] وفى قصائد الاخطل واخبار قومه معزفر بن الحارث وقبائله القيسية ادلة وافية تؤيد بقاء النصرانية بين عرب العراق زمناً مديداً بعد الاسلام في عهد بني امية [٤] .

المسلمون ورؤساء النصرانية

ان النصارى ولاسيا رؤساؤهم عضدوا المسلمين فى الفتوحات العراقية وارسلوا المدد الى جيوشهم الباسلة . قال مؤلف التاريخ السعردي عن الجاثليق يشوعياب جدلايا اي الجدالي [٥] (المتوفى سنة ٦٤٧ م) : «وكان يشوعيب الجاثليق قد انفذ هدايا الى النبي عليه السلام . وفى جملتها الف استار فضة مع جبرائيل اسقف ميشان . وكان فاضلا عالما . وكاتبه وسأله الاحسان الى النصارى [٦] وأتى فى كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق : « وبره صاحب الشريعة عليه السلام

(١) النصرانية وادابها ١ : ١٠١ و ٢ : ٣٢٨ . واللؤلؤ المنثور ص ٣٠٩—٣١٣

(٢) المجدل ص ٦٢ .وذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٦ .

(٣) الاخبار الطوال ص ٢٢٨ .

(٤) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ١٧٥— ١٧٦ . والاغاني ٧ : ١٦١ .

(٥) الجدالي نسبة الى جدال احدي قرى بلد الموصل .

(٦) التاريخ السعردي ٢ : ٦١٨—٦١٩.

بعير كان فيه عدة من الابل وثياب عدنيـــة » [١] . ويقال انه مثل بين يدي عمر بن الخطاب وكلمه عن شؤون النصارى فكتب له ولطائفته عهداً وذماماً وسطر المؤرخ توما المرجي (المتوفى سنة ٨٥٠م) في كتابه الرؤساء : ان الجاثليق الجدالي بعث رسالة الى احد اساقفة الفرس يقول فيها : « العرب الذين وهبهم الله الملك يحترمون الديانة المسيحية ويودون القسوس والرهبان ويكرمون أولياء الله ويحسنون الى الكنائس والاديار » [٢] . والمفريان ماروثا (المتوفى سنة ٦٣٩ م) فتح لجيوش المسلمين قلعة تكريت فنجا اهل المدينة من كل اذى ونائبة [٣] . ومار امه الارزني [٤] (المتوفى سنة ٦٥٠ م) قد حمل الميرة والارزاق الي جنود المسلمين يوم نزولهم الى الموصل وساعد رئيسهم عبدالله بن المعتم على الفتح . قال المؤرخ ماري بن سليمان ما نصه : « وكتب له علي بن ابي طالب عليه السلام كتابا بالوصاة عليه بالنصارى ورعاية ذمتهم وكان يظهره لكل من يتولى من رؤساء الجيوش وامرائهم فيمتثلونه » [٥] .

لاقى الجثالقة والاساقفة ورعاياهم عند الخلفاء والامراء وعمال البلاد من

(١) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٢ .

(٢) راجع عن يشوعياب الجدالي : المجدل ص ٥٤ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦١ — ٦٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٢٤٩—٢٥٣ . ومجلة النجم ١ : ٥١—٥٨ و ٢٤٩—٢٥٣ و ١٠ : ٣١٠—٣١١ . واثر قديم فى العراق ص ٧٧ . والتاريخ السعردي ٢ : ٥٥٤ و ٦٢٥ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٥١—٢٥٥ و٢٨٥ . وتاريخ الموصل ٢ : ٢٠—٢١ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٥٠١ . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٦٩ — ٣٧٠ . والتاريخ الكنسي ٢ : ١١٣ و ١٤٥ .

(٣) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٣١ .

(٤) كان مار امه من بلد ارزن وتلقى علومه فى مدرسة نصيبين فى عهد رئاسة حنانا الحديابي (٥٧٢ — ٦١٢ م) . وترهب فى دير مار ابراهام الكبير ثم سقف على نينوى . وفى سنة (٦٤٦ م) اختير جاثليقا . (التاريخ السعردي ٢ : ٦٢٩) .

(٥) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٢٥٩—٢٦٠ . ومجلة النجم ١ : ١١٧—١١٨ و ٦ : ٢٤٤ و ١٠ : ٣٠٨—٣١١ .

الثقة والحظوة والكرامة والحفاوة ما لم يلاقه غيرهم من الشعوب . فقد كتبوا لهم المناشير والرسائل بحماية دياراتهم واموالهم وصيانة حقوقهم فى الاصقاع كافة . فالجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحزي (المتوفى سنة ٦٦٠ م) نال عهداً من الخلفاء بان لا يتعرض له احد فى كرسيه ومركزه واجيز له ان يحضر كل يوم جمعة ليسأل حوائجه وما تصلح معه امور النصارى [١] . والجاثليق مار فثيون (المتوفى سنة ٧٤١ م) حظي بمنزلة كبرى عند خالد بن عبد الله القسري عامل العراق . وكان اذا دخل اليه بالكوفة يجلسه على كرسي ويخلع عليه ويسأله الدعاء ووافقه علي شيء يسير يؤديه عن الخراج بالمدائن . وكتب له كتابا وتقدم الى طارق خليفته بصيانته [٢] . وهكذا نقول عن الحفاوة العالية التي كان يلاقيها الجاثليق مار آبا الثاني (المتوفى سنة ٧٥٢ م) من لدن عامل الكوفة يوسف بن عمر [٣] . وعن منزلة من كانوا يتعاطون الكتابة فى دواوين الحكومة اذ كانت حسابات الدولة قبل عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ــ٨٦هـ ــ ٦٨٤ــ٧٠٥ م) تمسك بالفارسية او اليونانية او الارمية [٤]

ونجد بين الآثار القديمة وفى كتب الاخبار نسخ عهود اعطيت للنصارى توصية بهم منها : «نسخة عهد وسجل من محمد بن عبدالله عليه السلام لأهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في اقطار الارض» . وسجل آخر للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملته ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الارض

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٦٢ــ٢٦٥ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٢ . ومجلة النجم ١ : ٢٦٤ــ٢٦٨ و ٢٩٧ و ٣٠٣ و ١٠ : ٣١١ .

(٢) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٥ . ومجلة النجم ١٠ : ٣٣٨ .

(٣) مجلة النجم ٦ : ٢٤٤ــ١٤٥ و ١٠ : ٣٨٣ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٦ .

(٤) مختصر تاريخ العرب ص ١٦٥ .

وغربها قريبها وبعيدها . ومن ذلك معاهدة خالد بن الوليد التي ارسلها الى اهل الحيرة وهذا مطلعها : هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح واياس بن قبيصة وحيرى بن اكال . ومنها عهد عمر بن الخطاب لنصارى المدائن وقد سطر في اوله : هذا كتاب عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين لأهل المدائن ونهرسير والجاثليق بها وقسانها وشمامستها جعله عهداً مرعياً وسجلا منشوراً وسنة ماضية فيهم وذمة محفوظة لهم ... ومما جاء فيه : « ولا يغير لكم اسقف من اساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم ولا بيعة من بيعكم . ولا يدخل شيء من بنائكم الى بناء المساجد ولا منازل المسلمين . ولا يعرض لعابر سبيل منكم فى اقطار الارض . ولا تكلفوا الخروج مع المسلمين الى عدوهم لملاقاة الحرب . ولا يجبر احد ممن كان على ملة النصارى على الاسلام كرهاً» [١] .

ووافى في معجم ما استعجم عن هند الصغرى بنت النعمان [٢] ما يأتي : « دخلت علي خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة . فقال لها : اسلمي حتى ازوجك رجلا شريفاً من المسلمين . قالت : اما الدين فلا رغبة بي عن ديني ولا ابتغي به بدلا . واما التزويج فلو كانت في بقية لما رغبت فيه فكيف وانا عجوز هامة اليوم او غد . فقال لها : سليني حاجة . فقالت : هؤلاء النصارى الذين فى ايديكم تحفظونهم . فقال : هذا فرض علينا وقد وصانا به نبينا . فقالت : ما لي حاجة غير هذه . انا ساكنة فى دير بنيته ملاصق هذه الاعظم البالية من اهلي حتى ألحق بهم [٣]

الجزية

تمتع نصارى وادي الرافدين فى عهد الخلفاء الراشدين والامويين بعيش

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٥١ . ومجموعة الوثائق السياسية ص ٨٤ــ٩٦ و ١٠١ و ١٠٣ و ٢١٨ــ٢٢٠ و ٢٩٠ــ٢٩٣ . والتاريخ السعردي ٢ : ٦٠١ ــ ٦١٨ و ٦٢٠ــ٦٣٤ .

(٢) انظر ص ٢٤ حاشية ٣ .

(٣) معجم ما استعجم ص ٣٦٢ .

طيب لا يريدون منهم سوى ضريبة الاعناق او الجزية (١) وكان عمر بن الخطاب قـد قسم اهل الذمة ثلاثة اصناف : العلية والاوساط والسواد ويتقاضى من كل نفر من علية القوم جزية قدرها (٤٨) درهما . ومن الاوساط (٢٨) درهما ومن السواد (١٢) درهما فى السنة (٢) . وورد فى كتاب الحوادث الجامعة : « لا يجوز ان ينقص احد من اهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير اقتـداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه . فانه جعل اهل السواد ثلاث طبقات على ما تقدم شرحه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه لما بعث معاذاً الى اليمن قاضياً امره ان يأخذ من كل حالم ديناراً . وفي رواية ومن الغني اربعة دنانير ومن المتوسط دينارين ... » (٣)

دفع نصارى العراق الجزية ايام الخلفاء الراشدين كما دفعوها ايام الخلفاء الامويين . ولا غرابة فى ذلك لأن نبيهم ورسلهم يأمرونهم بان يطيعوا الملوك والولاةوان يدفعوا الجزية والخراج (٤) «فاكرم المسلمون النصارى اكثر من سائر الاديان» (٥) وعاملهم العمال احسن معاملة وقد اكتنفتهم الحماية وظللهم التسامح وبقيت مدارسهم مفتوحة كما كانت ولم يكن الخلفـــاء والأمراء يتدخلون فى

(١) راجع عن شروط جزية اهل الكتاب : سفر الاحكام السلطانية لابى الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (مصر ١٣٢٧ هـ) ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) نزهة المشتاق ص ١٠٢ . ولفجر الاسلام ص ٨٦-٨٧ . وضحى الاسلام ١ : ٢٩٣ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٧-٨ .

(٤) انجيل مرقس ١٢ : ١٣ . وانجيل متى ١٧ : ٢٣ . ورسالة مار بطرس الاولى ٤ : ١٣ . فرسالة قولساين ٤ : ٥ . ورسالة افسس ٥ : ١٦ ...

(٥) التاريخ السعردي ٢ : ٦٢٨ .

(٦) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٦٥ و ٣٢٦ و ٣٦١ . و حضارة الاسلام ص ٣٤ وعصر المأمون ١ : ٢١ .

شؤونهم إلا عنـــدما يحتدم النزاع الدينى بينهم . فيلجأ بعضهم الى الولاة يستنصرهم (١) .

قال الكاتب المشهور يوحنا برفنكايي (اواخر القرن السابع الميلادي) مامفاده : « ازدهرت العدالة فى ايام معاوية (٤١—٦٠هـ—٦٦٢—٦٨٠ م) . وعم السلام فى كل البلاد الخاضعة لحــكمه وتمتع الناس بحرية مطلقة . فان المسلمين قاموا بحق النصارى والرهبان فكانوا يطالبونهم بالجزية ويطلقون لهم الحرية التامة في امور دينهم » (٢) . وكتب المستشرق الفرنسي دوفال في سفره تاريخ الرها ما معناه : ان عمر بن الخطاب (١٣—٢٣ هـ — ٦٣٤—٦٤٤ م) وعثمان بن عفان (٢٣—٣٥هـ ـ ٦٤٤ — ٦٥٦م) وعلي بن ابي طالب (٣٥—٤٠هـ ـ ٦٥٦—٦٦١م) احسنوا الى النصارى وقربوهم منهم وولوا بعضهم على البـلاد التي كان معظم سكانها مسيحيين واكتفوا بطلب الجزية منهم (٣) . وقال صاحب التاريخ السعردي : « فطالبوا اهل الذمة بالجزية فأدوها واحسنوا اليهم وتقررت الامور بفضل الله تعالى وطابت قلوب النصارى فى مملكتهم نمّاها الله ونصرها » (٤)

العلم ورجاله

لم تكن العلوم فى اوائل الدولة الاموية رائجة نظير القرون السابقة لكثرة الغزوات وزهد الادباء فى التأليف . غير ان هذا الفتور لم يدم طويلا وما عتّم علماء النصارى أن عادوا الى التدريس والتعليم والتحبير والتصنيف . فشمروا عن ساعد الجد ونزلوا في ميدان المعارف جنباً الى جنب مع اخوانهم العرب وذلك سعياً الى

(١) فجر الاسلام ص ١٣٢ .

(٢) مجلة النجم ١ : ٤٤٢ .

(٣) كذلك ١ : ٥٧ .

(٤) التاريخ السعردي ٢ : ٥٨٢ .

تعظيم الوطن واعلاء منار النهضة العلمية والاجتماعية والفنية « فكانوا يزينون الدولة بما عندهم من الادب والصناعة (١).

جد النصارى العراقيون في نشر العلوم على اختلاف انواعها وبنوا زهاء خمسين مدرسة من ارقى المدارس فى تلك الآونة . ثم ألحقوا بها المكتبات الواسعة فكانوا نقلة الثقافة اليونانية الى الامبراطورية الفارسية ايام الساسانيين واخذت هذه البذرة اليونانية فى الازدهار حتى ايام العباسيين (٢). واما المكاتب فقد اقاموها فى كل مدينة وقرية فى داخل او في جوار الكنائس والديرة . وجاء عن خالد بن الوليد انه فى مسيره من عين التمر (٣) وجد فى بيعة قرية من قراها اسمها النقيرة صبياناً يتعلمون الكتابة وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفان (٤) .

وعرف من المنشئين العراقيين فى تلك الازمنة الراهب عنانيشوع الحديابي وقد وضع مصنفات مطرزة الفصول فريدة في فنها واحسنها سفره المعروف بفردوس الاباء طبعة بيجان سنة (١٨٩٧ م) (٥).

واشهر الجاثليق يشوعياب الجدالي (المتوفى سنة ٦٤٧ م) . فكان يسكن المدائن حينما فتح العرب ابوابها فابدى تبصراً في الامور وساس رعيته بروية على الرغم من تقلب المملكة الساسانية فى ايامه . واهتم بترقية العلوم وفتح المدارس المغلقة . وخدم الآداب ووضع كتباً عديدة منقحة العبارة تدل على تضلعه من العلوم اللاهوتية (٦)

ونبغ الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحزي (المتوفى سنة ٦٦٠ م) .

---

(١) حضارة الاسلام ص ٣٦ .

(٢) ضحى الاسلام ٢ : ٥٩ــ٦٠ . وعصر المأمون ١ : ٤٥ .

(٣) عين التمر بلدة قريبة من الانبار غربى الكوفة .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٨٠٧ــ٨٠٨ . وتاريخ الامم والملوك ٢ : ١٥١ .

(٥) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٦١ . وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٨٦ .

(٦) راجع ص ٥٧ــ٥٨

فدرس في نصيبين وترهب فى دير بيث عابي (١) . ورافق وهو اسقف نينوى الجاثليق الجدالي في اثناء سفره الى هرقل ملك الروم لعقد الصلح بينه وبين الفرس ايام الملكة بوران اخت شيرويه . وكان هرقل يومئذ فى حلب فاكرم مثواها وقضى حاجتهما وخلع عليهما . وقد جاوزت مؤلفاته العشرين مجلداً لخصت فيها مسائل الدين ابلغ تلخيص . ومن اعظم مآثره ترتيبه الصلوات القانونية التي لا يزال يتلوها الكلدان والنساطرة في كنائسهم (٢) .

وظهر الشاعر اسحق النينوي (اواخر المائة السابعة للميلاد) . وقد نقلت اكثر مصنفاته الى اللغات الغربية وطبع بيجان ديوانه المعروف باسمه (٣) . وعرف وقتئذ يوحنا الملقب بذي دالياثا . فكان اصله من با نهدرا وصنف كتباً عديدة في الطريقة الرهبانية وثماني واربعين رسالة فى مواضيع روحية (٤) .

وممن جدوا فى نشر العلوم فى البلاد العراقية الجاثليق مار فثيون (المتوفى سنة ٧٤١م). فكان من اهل باجرمي واقام مدارس فى كل مكان ولاسيما في المدائن . قال ماري بن سليمان : (نصب فى كرسيه اسكولا (٥) . فتشبه به الاساقفة فى عمارة البيع و الاسكولات) (٦)

ومنهم باباي من مدينة جبيلة (٧) . (اوائل المائة الثامنة للميلاد) وقد ارصد ايام حياته كلها لبناء المدارس وتنظيمها . وتعظيما لمآثره دعا ادباء الارمية عصره باسمه (عصر الاستاذ باباي جبلتايا) . فبنى في حدياب وحدها اكثر من ستين مدرسة

---

(١) اسس دير بيث عابى يعقوب اللاشومي فى اواخر القرن السادس . ولا تزال آثاره وانقاضه باقية الى اليوم وراء جبل العقر على مسافة ساعات قليلة .

(٢) التاريخ السعردي ١ : ٢٩٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ٢٥٠ و ٢٦٢ــ٢٦٥ . ومجلة النجم ١ : ٢٦٤ــ٢٦٨ و ٢٩٧ و ٣٠٣ . وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢٤٧ .

(٣) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٧٩ . وتاريخ الموصل ٢ : ٢١ .

(٤) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٨٠ .

(٥) الاسكول : كلمة دخيلة استعارها ادباء الارمية من اليونان بمعنى المدرسة .

(٦) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٦ . والمجدل ص ٦١ .

(٧) تقع مدينة جبيلة فى الجانب الشرقى من دجلة على مسافة نحو ثمانية عشر ميلا من سامراء في الطريق الى الموصل .

متفاوتة الصغر والكبر . ودر عليهـا الاموال الطائلة وانبط لهـا عيون خيرات لا تعرف النضوب . وكان في كل ستة اشهر يتعهد بعض هذه المدارس ويتفقد احوالها ليطمئن على سيرها . واقام في جوار بغداد (١) قبل ان تكون عاصمة المملكة العربيـة مدرسة كليليشوع او مدرسة الجاثليق (٢) قال توما المرجي : « برز باباي واقبل على العمل وزاد في عدد المدارس في كل مدينة وقرية واقام لادارتها مدرسين لأكثرهم قدم راسخة في العلوم » (٣) .

---

(١) مدينة بغداد قديمة جداً وربما يرتقي عهد بنائها الى حورابي (مجلة لغة العرب ٢ : ٥٥١) جاء في الاعلاق النفيسة ص ٢٣٥ : [: « ولم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة اعني في ايام الاكاسرة والاعاجم وانما كانت قرية من قرى طسوج (ناحية) بادوريا » وقال ياقوت عن بادوريا (١ : ٤٤٦) طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي منها النحاسية والحارثية ونهر ارما . وفي طرفه بنيت بعض بغداد . وذكر ايضا (١ : ٦٨١-٦٩٣) ان راهبا دل الخليفة على موقعها فاستحسنه وبنى فيه المدينة . وروى الطبري (تاريخ الامم والملوك ٩ : ٢٣٩-٢٤٠) : « ان البطريق صاحب الارحاء وصف للخليفة حسن موضع المدينة كما وصفه غيره من الناس » . وورد في كتاب مناقب بغداد لابن الجوزي (بغداد ١٣٤٢ هـ) ص ١٢ : وكان موضع الخلد (قصر الخلد) قديما ديرا فيه راهب . طالع في هذا الصدد المقدمة الخطية لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي . وكلمة بغداد في دائرة المعارف للبستاني ، وقد ذكر القرى السبع الخمس التي ادخلها المنصور في بناء الزوراء . وبغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٩-٢١ و ٩٤-٩٥ و ١٢٨ . ومجلة لغة العرب ٢ : ٥٤٩-٥٥٤ . ومجلة المشرق ٤ : ٦٦-٦٩ . والفخري ١٣٨-١٤٠ . والعراق في القرن السابع عشر لتافرنيه ص ٧٨ . ورحلة بنيامين ص ١٣١ .

(٢) شيدت مدرسة كليليشوع في دير بهذا الاسم وعرف ايضا بدير الجاثليق او بالدير الجديد لان الجاثليق طيمثاوس الاول (المتوفى سنة ٨٢٣ م) قد جدد بناءه ودفن فيه المجدل ص ٦٦ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٧٣-٧٤ و ٧٦ . ووافق في معجم البلدان (٢ : ٦٥٠) : دير الجاثليق دير قديم البناء رحب الفناء من طسوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة . وورد في معجم ما استعجم (ص ٣٦٧) : دير الجاثليق دير قديم البناء من طسوج مسكن في غربي دجلة بين آخر السواد واول ارض تكريت وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير » .

(٣) كتاب الرؤساء ص ١٤٦ . وتاريخ الموصل ٢ : ٩٠ وذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٤-٣٣٥ . ومجلة النجم ٨ : ١٢٩ .

الفصل الخامس

نصارى العراق في عهد الخلفاء العباسيين

اتحاد النصارى والمسلمين

انتقلت الخلافة الى بني العباس فازداد حب النصارى للمسلمين كما ان المسلمين غالوا في ملاطفتهم ووثقوا بهم ثقة بلغت اقصاها . فمنحهم ابو العباس السفاح (١٣٢—١٣٦ هـ — ٧٥٠—٧٥٤ م) ومن عقبه من الخلفاء تواً الحرية في احكامهم البيعية . وخولوا رؤساءهم النفوذ الواسع على ابناء قومهم ولاسيما بعدما نزل بغداد ابو جعفر المنصور سنة (١٤٩هـ — ٧٦٦ م) (١) .

ارتفع شأن بغداد فاصبحت على تراخي الايام أم المدائن وكعب الادب ومحط رحال العلماء على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم . كما كانت قلب الاسلام النابض وعين العراق ومركز الثقافة ومثابة الدعوة الاماميـة القرشية (٢) . فأم العلماء دار السلام من كل صقع وقطر ليعيشوا في ظل الخلفاء . بل ان اكثرهم استوطنوها لتوفر اسباب المعاش فيها . ولم يمر ردح من الزمن حتى راجت في انحائها اسواق العلوم وكثر عدد الادباء والأطباء والفقهاء والشعراء . فكان من جراء ذلك امتزاج في الثقافات وتبادل في الآراء .

توالى الخلفاء على عاصمة الرشيد فبلغت ذروة المجـد والحضارة (٣) . فعم

---

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٧—٣٣٨ . وعصر السريان الذهبي ص ١٨—٢١ . والاشوريون ومن جاورهم لونغرام ص ٧٩-٨٠ .

(٢) تاريخ الكامل ٥ : ٢٢٥ . وتاريخ العبر وديوان المبتدا والخبر ٣ : ١٩٧ . وحضارة الاسلام ص ٤٤ . ومراصد الاطلاع ١ : ١٦٣ . ورحلة بنيامين ص ١٣١ .

(٣) راجع عن مجد الخلفاء في بغداد : مجلة النجم ٢ : ٢٤-٢٨ . وحضارة الاسلام ص ١١٦-١٢٩ . وظهر الاسلام ص ٩٨-١٠٢ وما بين النهرين الوبد ص ١٦١ . وعصر المأمون ٣ : ٣٠٥ .

الأمن واتسعت ابواب الرزق واخذ القوم يتمتعون بما فاض لديهم من النعم وهم يرتعون فى بحبوحة العيش ويتأنقون فى انواع الترف . فنال من ذلك الذميون ولاسيما النصارى ماناله المسلمون . فالخلفاء محمد المهدي (١٥٨ — ١٦٩ هـ — ٧٥٧ — ٧٨٥ م) وموسى الهادي (١٦٩ — ١٧٠ هـ — ٧٨٥ — ٧٨٦ م) وهرون الرشيد (١٧٠—١٩٣ هـ — ٧٨٦ — ٨٠٩ م) وغيرهم ساعدوا نصارى العراق ووهبوا رؤساء دينهم سلطة واسعة . فالجاثليق الجديد بعد تنصيبه يسير بحفاوة الى دار الخليفة . وهناك يحظى بالاذن الشريف او بكتاب العهد الحاوي على حقوقه (١) . ثم تلقى عليه ثياب الجاثليق الثمينة . وبعد ذلك ينحدر الى المدائن مدينة كرسيه (٢). تصحبه ثلة من الجنود وجماعة من المطارنة والاساقفة وعظماء الدولة . فيزور ضريح مار ماري فى ديره (٣) . وغب هذه المراسيم يرجع قافلا الى كرسيه فى عاصمة الرشيد (٤) . اما كتاب العهد او المنشور العالي او البراءة الامامية فكان يشتمل على الحقوق والامتيازات التي تمنحها السلطة المدنية الجاثليق وتخوله الحق فى مراجعة السلطات فى الشؤون المتعلقة بالطائفة المسيحية . فالجاثليق طيمثاوس الاول (٧٨٠—٨٢٣ م) حظي بالمثول لدى الخلفاء الخمسة الذين عاش فى عهدهم ولقي من لدنهم كل لطف . وبعد انتقال دار الخلافة الى بغداد سكن

(١) اخبار فطاركة كرمي المشرق ص ١٢٩ .

(٢) الجدل ص ٨١ و ٩٦ و ١٠٣ و ١١٦ — كان كرسي الجاثليق فى المدائن . فلما هدمت رحل الجاثليق الى كرخ جدان من مدن باجرمي فى جنوب كركوك ومكث فيها مدة من الزمن الى ان هدأت الاحوال . فرجع اليها واقام حينا في دير مار ماري وحينا آخر في دير مار ميخائيل . ثم انتقل الكرسي الى بغداد سنة ٧٧٩ م وبقي الى سنة ١٢٩٥ م راجع [السلاسل التاريخية ص ١١ و ١٣ و ١١٤ و ١٦٢] .

[٣] الجدل ص ١١٦ . واخبار فطاركة كرمي المشرق ص ١٥٢ و١٥٤—١٥٥ .

[٤] مجلة النجم ٦ : ٢٤٥—٢٤٨ و ١٠ : ٣٤٣—٣٤٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ١٥٦—١٦١ و ٢ : ١٣—١٤ .

كنيسة دار الروم (١) . وكان الخليفة موسى الهادي (١٦٩—١٧٠ هـ — ٧٨٥—٧٨٦ م) يستدعيه ويحاوره فى مسائل الدين وهو يجيبه باجوبة قاطعة (٢) .

كان الجاثليق وشعبه يتلقون هذه الحقوق والامتيازات بصدور رحبة وينزلونها منزلتها فى قلوبهم . فقاموا بحق الوفاء خير قيام . فخدموا المسلمين باخلاص وسعوا جنباً الى جنب لتعزيز دعائم الوطن واعلاء مناره . فشادوا المدارس . وعلموا ابناء الوزراء . ودرسوا سادة الدولة . ثم وسعوا نطاق المعارف وبثوا الحضارة والعمران فى البلاد (٣) .

بعد فتنة الامين والمأمون

توفي الخليفة هرون الرشيد (١٩٣ هـ—٨٠٩ م) وبويع بالخلافة ابنه الامين (١٩٣—١٩٨ هـ — ٨٠٩—٨١٣ م) . وكان اخوه المأمون (١٩٨—٢١٨ هـ) ٨١٣—٨٣٣ م) اذ ذاك والياً على بلاد خراسان من قبل أبيه وكانت امه فارسية فحرض وزير الامين الفضل بن الربيع على خلع المأمون لأن اخواله عجم . فاستجاب طلبه وخطب بولاية العهد لابنه موسى . واما المأمون فحثه الفضل بن سهل واخوه الحسن على الاباء فعزله الامين من ولايته . ثم ارسل اليه جيشاً كبيراً فاشتد

[١] كانت دار الروم محلة للنصارى في بغداد وبقيت الى سنة (١٣٠٠م) . وقد عين ابن سرابيون في جغرافيته موضعها على وجه التقريب وذلك على الجزء الاسفل من نهر المهدي او نهر الفضل اي شرقي الصليخ اليوم . والاصل في هذا الاسم ان اسري من الروم قدم بهم الى الخليفة المهدي واسكنوا دارا فى هذا الموضع فسميت بهم وبنيت البيعة هنالك وبقي الاسم عليها . راجع (الفصل الخامس عشر من كتاب بغداد في عهد الخلافة العباسية ص١٧٩—١٨٠. وظهر الاسلام ص ٦٦ . ومعجم البلدان ٢ : ٦٦٢ و ٧٨٣ و ٣ : ٣١٧) .

[٢] ذخيرة الاذهان ١ : ٣٤٣—٣٤٤ . والمكتبة الشرقية ٢ : ٤٣٣ . والتاريخ الكنسي ٢ : ١٦٥ . واخبار فطاركة كرمي المشرق ص ٧١—٧٥ .

[٣] النصرانية في مملكة فارس للابور ص ٣٤٩—٣٥١ .

القتال وانهزمت عساكر الامين ونودي بخلافة المأمون . ثم زحفت كتائبه بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين الى بغداد وطوقتها بضعة اشهر قاسى الامين في خلالها الشدائد . فتفرق عنه اصحابه وحوصر في قصره معامه واولاده . فلما اعياه الحصار طلب الأمان فاسر ثم قتل وحمل رأسه الى اخيه المأمون في خراسان [1] .

ان فتنة الامين والمأمون سببت الفوضى في البلاد ونشرت الاضطرابات في كل ناحية ولاسيما في دار السلام مقر الخلافة . فتهدمت الدور والمنازل وكثر القتل والسلب وساءت الأحوال [2] . فلحق بالنصارى الضيق والأذى اذ احرقت اكثر ديرتهم ودمرت اغلب كنائسهم واغلقت اعظم مدارسهم . ولكن بعدما استتب الامر للمأمون هدأت الخواطر واطمأنت النفوس اليه . فاطلق لرعاياه الحرية الواسعة في الفكر والقول [3] واكرم العلماء والاطباء والفلاسفة واهتم باستحضار الكتب العلمية وانشأ ديوانًا لتعريبها لأنه كان يتبحر في علوم الفلسفة ويحسن الى اربابها ويعقد مجالس المناظرة للبحث فيها [4] . وقد منح العلماء حريتهم في ابداء الرأي فاقبل اليه الفلاسفة والنقلة المسيحيون اقبالا . ولم يدعوا كتابا في الحكمة الا عربوه ولاسيما مؤلفات اللغة اليونانية لأنهم كانوا قد تعلموها واتقنوها غاية الاتقان من القرن الرابع للميلاد وادخلوا تدريسها في مدارسهم . فلخصوا وهذبوا وزادوا وبوبوا واصلحوا والفوا وهكذا امتزجت فلسفة اليونان بفلسفة الاسلام [5] .

(١) الفخري ص ١٩١ . وعصر المأمون ١ : ٢٥٥ .
(٢) تاريخ الامم والملوك ١٠ : ١٧٠-٢٠٣ . ومختصر تاريخ العرب ص ٢٢٣ . وبغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٣٣ و ٢٦١-٢٦٤ .
(٣) نزهة المشتاق ص ١٠٨-١٠٩ . ومجلة المقتطف (٢٤ [مصر ١٩٠٠] ص٣٨٨) ومختصر تاريخ العرب ص ٢٣٩-٢٤٠ . وضحى الاسلام ١ : ٤٧-٤٨ .
(٤) ضحى الاسلام ١ : ٥٧ . وعصر المأمون ١ : ٣٥٣-٣٥٩ .
(٥) فجر الاسلام ص ١٣٢-١٦٢ . وظهر الاسلام ١ : ٨٨-٨٩ .

ومن رؤساء النصارى الذين نالوا الجاه والكرامة واللطف لدى الخليفة المأمون طيمثاوس الاول (المتوفى سنة ٨٢٣ م) والجاثليق يشوع بر نون (المتوفى سنة ٨٢٨ م) والجاثليق جيورجيس الثاني (المتوفى سنة ٨٣٤ م) والبطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري (المتوفى سنة ٨٤٥ م) [1] .

جاء في كتاب مختصر تاريخ العرب : « ومنذ سقوط الجمهورية الاسلامية وتأسيس الحكومة الاوتوقراطية كان الوزراء هم المستشارون الوحيدون للخلفاء غير ان المأمون انشأ مجلساً استشاريا للدولة يتألف من ممثلي جميع الطوائف . واصبح هذا الديوان يضم المسلمين واليهود والمسيحيين والصابئيين والزرادشتيين على حد سواء . وكانت حرية الاعتقاد والعبادة مضمونة للجميع واضحت مضرب الأمثال في التساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت في عهده (١١٠٠٠) كنيسة علاوة على مئات الهياكل اليهودية ومعابد النار » [2] .

طغيان الجيش التركي

توفي المأمون فيلسوف الخلفاء وعقبه اخوه المعتصم بالله (٢١٨—٢٢٧ هـ — ٨٣٣—٨٤٢م) فبنى مدينة سامراء واقام فيها قصوراً شامخة ومباني سامقة وقلاعاً منيعة . ونزلها سنة (٢٢١ هـ — ٨٣٦ م) . ثم جاء الخلفاء العباسيون وكل منهم يشيد له قصراً او صرحا [3] . حتى غدت غادة مدن العراق . واخذ يقصدها القاصي والداني من اهل النزهة والأنس . وبقيت نصف قرن عرشاً لهم وذلك

(١) اخبار فطاركة المشرق ص ٧١—٧٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٤٣—٣٤٤ و ٣٨٧—٣٨٩ و ٤٠٣—٤١٠ . والتاريخ السكنذي ١ : ٣٤٢—٣٨٥ و ٢ : ١٦٥ و ١٨١—١٨٣ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٨٨—٣٨١ . والمكتبة الشرقية ٢ : ١٠١ .
(٢) مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٦ .
(٣) مجلة لغة العرب ١ : ٨١—٩٤ و ١٣٤—١٤٦ و ١٦١—١٧٠ و ٣٣٩—٣٤٨ . وخلاصة تاريخ العراق ص ١٣٧ . ومابين النهرين للويد ص ١٦٤ .

القتال وانهزمت عساكر الامين ونودي بخلافة المأمون . ثم زحفت كتائبه بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين الى بغداد وطوقتها بضعة اشهر قاسى الامين في خلالها الشدائد . فتفرق عنه اصحابه وحوصر في قصره معامه واولاده . فلما اعياه الحصار طلب الأمان فاسر ثم قتل وحمل رأسه الى اخيه المأمون في خراسان (١) .

ان فتنة الامين والمأمون سببت الفوضى في البلاد ونشرت الاضطرابات في كل ناحية ولاسيما في دار السلام مقر الخلافة . فتهدمت الدور والمنازل وكثر القتل والسلب وساءت الأحوال (٢) . فلحق بالنصارى الضيق والأذى اذ احرقت اكثر ديرتهم ودمرت اغلب كنائسهم واغلقت اعظم مدارسهم . ولكن بعدما استتب الامر للمأمون هدأت الخواطر واطمأنت النفوس اليه . فاطلق لرعاياه الحرية الواسعة في الفكر والقول (٣) واكرم العلماء والاطباء والفلاسفة واهتم باستحضار الكتب العلمية وانشأ ديوانا لتعريبها لأنه كان يتبحر في علوم الفلسفة ويحسن الى اربابها ويعقد مجالس المناظرة للبحث فيها (٤) . وقد منح العلماء حريتهم في ابداء الرأي فاقبل اليه الفلاسفة والنقلة المسيحيون اقبالا . ولم يدعوا كتابا في الحكمة الا عربوه ولاسيما مؤلفات اللغة اليونانية لأنهم كانوا قد تعلموها واتقنوها غاية الاتقان من القرن الرابع للميلاد وادخلوا تدريسها في مدارسهم . فلخصوا وهذبوا وزادوا وبوبوا واصلحوا والفوا وهكذا امتزجت فلسفة اليونان بفلسفة الاسلام (٥) .

(١) الفخري ص ١٩١ . وعصر المأمون ١ : ٢٥٥ .
(٢) تاريخ الامم والملوك ١٠ : ١٧٠-٢٠٣ . ومختصر تاريخ العرب ص ٢٢٣ . وبغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٣٢ و ٢٦١-٢٦٤ .
(٣) نزهة المشتاق ص ١٠٨-١٠٩ . ومجلة المقتطف (٢٤ [مصر ١٩٠٠] ص ٣٨٨) ومختصر تاريخ العرب ص ٢٣٩-٢٤٠ . وضحى الاسلام ١ : ٤٧-٤٨ .
(٤) ضحى الاسلام ١ : ٥٧ . وعصر المأمون ١ : ٣٥٣-٣٥٩ .
(٥) فجر الاسلام ص ١٣٢-١٦٢ . وظهر الاسلام ١ : ٨٨-٨٩ .

ومن رؤساء النصارى الذين نالوا الجاه والكرامة واللطف لدى الخليفة المأمون طيمثاوس الاول (المتوفى سنة ٨٢٣ م) والجاثليق يشوع بر نون (المتوفى سنة ٨٢٨ م) والجاثليق جيورجيس الثاني (المتوفى سنة ٨٣٤ م والبطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري (المتوفى سنة ٨٤٥ م) (١).

جاء في كتاب مختصر تاريخ العرب : « ومنذ سقوط الجمهورية الاسلامية وتأسيس الحكومة الاوتوقراطية كان الوزراء هم المستشارون الوحيدون للخلفاء غير ان المأمون انشأ مجلسا استشاريا للدولة يتألف من ممثلي جميع الطوائف . واصبح هذا الديوان يضم المسلمين واليهود والمسيحيين والصابئين والزرادشتيين على حد سواء . وكانت حرية الاعتقاد والعبادة مضمونة للجميع واضحت مضرب الأمثال في التساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت في عهده (١١٠٠٠) كنيسة علاوة على مئات الهياكل اليهودية ومعابد النار » (٢) .

طغيان الجيش التركي

توفي المأمون فيلسوف الخلفاء وعقبه اخوه المعتصم بالله (٢١٨—٢٢٧ هـ — ٨٣٣—٨٤٢م) فبنى مدينة سامراء واقام فيها قصوراً شامخة ومباني سامقة وقلاعاً منيعة . ونزلها سنة (٢٢١ هـ — ٨٣٦ م) . ثم جاء الخلفاء العباسيون وكل منهم يشيد له قصراً او صرحا (٣) . حتى غدت غادة مدن العراق . واخذ يقصدها القاصي والداني من اهل النزهة والأنس . وبقيت نصف قرن عرشاً لهم وذلك

(١) اخبار فطاركة المشرق ص ٧١—٧٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٤٣—٣٤٤ و ٣٨٧—٣٨٩ و ٤٠٣—٤١٠ . والتاريخ السكندي ١ ٣٤٢—٣٨٥ و ٢ : ١٦٥ و ١٨١—١٨٣ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٨٨—٣٨١ . والمكتبة الشرقية ٢ : ١٠١ .
(٢) مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٦ .
(٣) مجلة لغة العرب ١ : ٨١-٩٤ و ١٣٤-١٤٦ و ١٦١-١٧٠ و ٣٣٩-٣٤٨ . وخلاصة تاريخ العراق ص ١٣٧ . ومابين النهرين للويد ص ١٦٤ .

من سنة (٢٢١ هـ — ٨٣٦م) الى سنة (٢٦٢ هـ—٨٧٦ م) . وقد عظم يومئذ نفوذ الجيش التركي حتى اصبح خطراً على كيان الدولة ومثاراً للفتن والدسائس ففرضت على الذميين الضرائب الفادحة لنفقاتهم الباهظة واسرافهم فى الصرف . ثم ازداد سلطانهم فى عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧—٢٣٢ هـ—٨٤٢—٨٤٧م) وتسنم امراؤهم المناصب العالية . وبعد موته اتفق رجال الدولة على مبايعة اخيه المتوكل على الله (٢٣٢—٢٤٧ هـ — ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) . ثم عقبه ابنه المنتصر بالله (٢٤٧ — ٢٤٨ هـ — ٨٦١ — ٨٦٢ م) .

ان النصارى في ربوع الرافدين منذ قيام الدولة العربية حتى اواخر عهد الخليفة المأمون عاشوا فى ظل الحماية والتسامح وحسن المعاملة . بيد انه بعد وفاته اخذت حالهم تتقلب وتتغير بتغير الحكام والولاة والعمال . فاذا راعى هؤلاء العدل والحق قضى المسيحيون ايامهم فى راحة وسلام وإلا عاشوا في ضنك وشقاء . ولا يبعد عن البال ان الخلافات وما كان يعقبها من الاعتداءات الموقتة لم تكن إلا نتيجة من نتائج اخلاق بعض الحكام المحليين وسوء ادارتهم . فكانت ارادتهم فى بعض الاوقات العامل الوحيد فى تدبير شؤون البلاد (١).

ازداد طغيان الجيش التركي في تلك الاثناء واستفحل شره فطفق جنوده يتداخلون فى امور الدولة ويتطاولون على الخلفاء والوزراء وينهبون الرعية ولا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس . فاستصفوا اموال النصارى الأغنياء وصادروا متاعهم . فقد وثبوا على عيسى بن فرخنشاه احد كتاب ديوان الخليفة المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) وتناولوه بالضرب واخذوا دوابه (٢).

(١) نزهة المشتاق ص ١١٣ و ١١٧ و ١٢٠ . ومختصر تاريخ العرب ص ٢٣٦ .

(٢) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٦٤ .

وغضبوا على بختيشوع بن يحيى المتطبب واستحوذوا على مقتناه . وضربوا ابراهيم بن الجنيد حتى اقر بسبعين الف دينار فاخذوها منه . وصادروا اموال ابي علي بن زرعة الوافرة واوقعوه في محن حتى اصيب بالفالج (١) . ثم بدأ العمال المحليون يشاركونهم فى ظلم الناس فانتشرت الاضطرابات الداخلية في البلاد حتى لقي النصارى فى غضونها الأمرين ولاسيما فى عهد الجاثليق يوحنا بن نازوك (المتوفى سنة ١٠٢٢ م) فقد اغلقت المدارس ونهبت الديارات وسلبت الكنائس (٢) .

وفي سنة (٤٢٣ هـ ـ ١٠٣١ م) . شبت نار فتنة فى بغداد فعاث السفلة فى ازقتها فساداً وسلبوا فى اثنائها دار الروم والقلاية . وفى ايام الجاثليق يوحنا الخامس بن ترجل (المتوفى سنة ١٠٥٧م) وردت عساكر خراسان ونهبت الجانب الشرقي من بغداد باسره وعلى الأخص دار الروم فاضطر اذ ذاك الجاثليق الى ان ينحدر الى دار الخليفة ثم الى دير قنى ومكث فيه مدة من الزمن . ثم عاد الى دار السلام (٣) . وهكذا كانت تتوالى على النصارى المحن والكوارث تارة من سلطان الاقليم واخرى من العمال المحليين ولاسيما في اخريات الدولة العباسية ايام كثرت الانقلابات الداخلية وفشت الفتن بين الاهلين وقوي شأن اللصوص والعيارين (٤) .

ومما جاء عن سوء معاملة الذميين عند تأدية الضرائب : « فى غرة المحرم (٦٢٧ هـ ـ ١٢٥٩ م) جلس محيي الدين ابو عبد الله بن فضلان في ديوان

(١) ظهر الاسلام ١ : ١٠ و ٢٣ و ٣٤ و ٦٢ و ١٢٠ و ٢٣٢ .

(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٤٥٣ . والتاريخ الكنيسي ٢ : ٢٨٣-٢٨٥ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١١٤-١١٦ .

(٣) المكتبة الشرقية ٢ : ٤٤٧ و ٣ : ١ ص ٢٩٣-٢٦٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٥٥ و ٤٥٨ . والتاريخ الكنسي ٢ : ٢٨٥ و ٢٩٩ .

(٤) الحوادث الجامعة ١٧٥-١٧٧ و ٢١٣ و ٢٧٦-٢٧٨ و ٣٠٤ و ٣١٤-٣١٥

الجوالي (١) . واستوفى الجزية من اهل الذمة . فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته ويكتب له زور وهو صاغر . فلقوا من ذلك شدة . وكان ابو علي ابن المسيحي رئيس الطب له اختصاص ودخول الى دار الخليفة فاظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيته من يد ولده . فلم تقبل منه . فحضر واداها» (٢) وفي اوائل القرن الثالث عشر للميلاد طولب المفريان اغناطيوس الثالث (المتوفى سنة ١٢٢٢ م) بعشرين الف دينار . فالقي مع وجوه شعبه التكريتيين في السجن ليكونوا رهائن او يسلموا الغرامة فأدوها اقساطاً (٣).

التسامح التام

كانت الدولة الاسلامية في العصر العباسي اكثر الأمم تسامحاً مع النصارى على الرغم مما كان يصيبهم بعض الأحيان من الاعتداء . وقد اصاب نظير هذا الاعتداء المسلمين نفوسهم كما اصاب غيرهم (٤) . وكان اول مظهر لهذا الاعتداء في ايام الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ ـ ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) ايام استولى الجيش التركي على امور الدولة . ثم ازداد نفوذه حتى اصبحت البلاد محكومة بالخلفاء اسماً وبسلطته فعلا . فاختلفت المناصب الحكومية وفسد نظام جباية الخراج وسائر الضرائب . وانقسم الجيش الى فرق مختلفة كل فرقة تتعصب لجنسها . هذا فضلا عن تدخل الحكام المحليين وانتشار الرشوة وانفاق الأموال على صنوف الترف .

استشرى فساد الجيش التركي في البلاد بيد ان نصارى العراق ورؤساءهم

(١) قال في مختار الصحاح : واستعمل فلان على (الجالية) اي على جزية اهل الذمة والجمع الجوالي .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٣ .

(٣) ذخيرة الاذهان ٢ : ٥٣ . والتاريخ السكنسي ٢ : ٣٨٩ ـ ٤٠١ .

(٤) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٨٣ .

كانوا يحترمون الخلفاء ويتخذونهم قضاة في سياسة شؤونهم ولا سيما في اثناء انتخاب الجثالقة . فاذا حدث نزاع او خصام بينهم التجأوا اليهم (١) فساعدوهم واخذوا بيدهم . فالخليفة المعتضد بالله بن الموفق (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ ـ ٨٩٢ ـ ٩٠٢م) بعد ما قطع دابر المشاغبات القائمة اذ ذاك بينهم خرج امره بتنصيب الجاثليق يوحنا بن عيسى المعروف بالاعرج (المتوفي سنة ٩٠٥م) (٢) وانعم عليه بثوب ديباج وعكاز . واقتدى به غيره من الخلفاء (٣).

وكان بعض الخلفاء العباسيين لمعرفتهم بما استقر في نفوس بعض العمال من حب الظلم والعسف والضراوة على ارهاق اهل الذمة يشددون في اختيار اهل العفة والنزاهة منهم . ويوصونهم بالقسط في جباية الجزية والا يأخذوها من النساء والولدان والعجزة والزمنى والفقراء والرهبان . كما جاء في العهد الذي كتبه ابو اسحق الصابيء من الخليفة الطائع لله (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ ـ ٩٧٤ ـ ٩٩١ م) الى فخر الدولة بن بويه في جمادى الاولى سنة (٣٦٦هـ ـ ٩٧٦م) قال : « وامره بان يتخير عماله على الاعشار والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي من اهل الظلف والنزاهة ... وان يعزوا الى جباة جماجم اهل الذمة ان يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات ايديهم في الاموال . وعلى الطبقات المطبقة فيها . والحدود المحدودة المعهودة لها . وان لا يأخذوها من

(١) التاريخ السكنسي ٢ : ١٨١ ـ ١٩٦ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٥٠٥ ـ ٥١٣ وذخيرة الاذهان ١ : ٣٨٧ ـ ٤٣٠ .

(٢) كان الجاثليق يوحنا بن عيسى من افضل الجثالقة وقد تربى في بغداد . ومن مآثره الجليلة تطبيقه على ابناء طائفته احكام وقوانين الميراث بحسب شريعة المسلمين الحنيفة . وكان عنوان هذه القوانين العربية (جوامع مواريث الاسلام لبعض محبي الشعب) .

(٣) التاريخ السكنسي ٢ : ٢٢٩ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٢١ ـ ٤٢٣ و ٤٦٠ ـ ٤٦١ و ٤٩٤ .

النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال . ولا من ذي سن عالية . ولا ذي علة بادية . ولا فقير معدم . ولا مترهب متبتل (١) .

وفي أوائل القرن الثالث الهجري كان ما يجبى من الجزية من اهل بغداد مائة وثلاثين الف درهم . وفي اوائل القرن الرابع ستة عشر الف دينار . والعددان يدلان على من كان يدفع اذ ذاك الجزية من غير المسلمين فكانوا زهاء خمسة عشر الفا . وعدد النصارى في بغداد وحدها زهاء خمسين الفا (٢) .

راعى المسلمون حقوق النصارى العراقيين فاستخدموها في دواوينهم وولوهم على مدنهم وقراهم وخزائنهم المالية . هذا عدا من ادنوا منهم من الصيادلة والاطباء والمهندسين (٣) . وفي الوقت نفسه اكرم النصارى المسلمين وخضعوا لرؤسائهم وقاموا باعباء وظائفهم . فعالج اطباؤهم الخلفاء والامراء احسن معالجة . وشاد مهندسوهم مبانيهم وقصورهم يزينونها بنقوش جميلة بديعة . فالمنقبون الالمان في سامراء وجدوا بين انقاضها صوراً وتماثيل اشخاص ملونة ورسوماً هندسية متنوعة وصلباناً عديدة موقعة باسم شماس نسطوري بارع بفن التصوير (٤) . قال المستشرق الفرنسي لابور ما تعريبه : « ان جماً غفيراً من المسيحيين تسنموا اعلى المناصب والمراتب ابان الدولة العباسية . وقرأ عليهم ساداتها ووزراؤها فلسفة اليونان وعلم الفلك والطبيعيات والطب . وعربوا مصنفات ارسطو وبقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة اليونانيين » (٥) .

---

(١) الديارات النصرانية في الاسلام ص ١١٥ . وصبح الاعشى ١٠ : ٢٧-٢٨ .

(٢) ضحى الاسلام ١ : ٣٢٥ . وظهر الاسلام ص ٨٢ .

(٣) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٧٧ وذخيرة الاذهان ١ : ٣٨٩-٣٩٠ و ٣٩٥ . والتاريخ الكلفي ٢ : ١٨٧-١٨٩ . والمكتبة الشرقية ٢ : ٤٣٥ - ٤٣٨ . وخلاصة تاريخ العراق ص ٧٨ . وتاريخ مختصر العرب ص ٣٥٢ .

(٤) النصرانية وآدابها ٢ : ٣٥٢ . ومجلة لغة العرب ١ : ١٦٧ و ٢ : ٥١٨ . والتصوير عند العرب ص ١٤٢-١٤٥ .

(٥) النصرانية في مملكة فارس ا لأبير ص ٣٤٩-٣٥١ .

لقد عاش المسلمون ونصارى بلادنا في وئام واخاء تامين لا يكدر صفاءهما تباين ولا تفاوت في المناصب والمراتب . ففي القرن الثالث الهجري ولي في بعض الاحيان ديوان الجيش نصراني (١) . وكان لعضد الدولة البويهي في بغداد وزير نصراني اسمه نصر بن هرون . وقد اذن له في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقراء النصارى (٢) . بل ان عادات مسيحية تسربت الى المسلمين في العصر العباسي . واشترك بعضهم في اعياد النصارى . فيوم السعانين او (يوم السباسب) (٣) عرف في ذلك العصر وما بعده وانشد فيه الشعراء قصائد كثيرة (٤) .

عدل الخلفاء العباسيون بين نصارى العراق وعفوهم عن المال الذي يتركه النصراني من غير وارث وردوه الى اهل ملته (٥) . واكرموا جثالقتهم ولقبوهم باجمل الالقاب ومنحوهم البراءات (٦) . وقلدوا اطباءهم اعلى المناصب ووهبوهم الحرية في اعمالهم واشغالهم ومكاسبهم . وكان اغلبهم اطباء قصور الخلفاء في بغداد (٧) . واتخذ بعض الخلفاء جواري من المسيحيات مراعين شعائرهن الدينية . وقد تكون الجارية نصرانية تلبس الصليب والزنار وترتدي رداءها القومي وتتكلم بلغتها ولا تحسن العربية . وكان للمهدي جارية نصرانية تعلق في صدرها صليباً من ذهب (٨) .

---

(١) تاريخ الوزراء ص ٩٥ .

(٢) تاريخ الكامل ٨ : ٢٣٤ .

(٣) يوم السعانين عيد للنصارى قبل عيد القيامة باسبوع . جاء في المخصص لابن سيده (مصر ١٣٢٠ هـ : ١٣ : ١٠٢) : « السباسب والسعانين من اعياد النصارى » . والسباسب ايام الشعانين [معجم البستان لعبدالله البستاني - بيروت ١٩٢٧] ١ : ١٠٤٣

(٤) ضحى الاسلام ١ : ٣٥١-٣٥٣ .

(٥) تاريخ الوزراء ص ٢٤٨ .

(٦) صبح الاعشى ٥ : ٤٧٢ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١٣٣-١٣٧ و ١٤٧ .

(٧) الحوادث الجامعة ص ١٣ . واخبار الحكماء ص ٧٣ و ١٠٢-١٠٣

(٨) تاريخ الامم والملوك ١٠ : ٢٠ وظهر الاسلام ص ٦٥-٦٦ . و ٨١ . والاعلاق النفيسة ص ٢١٣ . والمعارف ص ١٢٨ .

وكان لنصارى العراق النفوذ في دواوين الحكومة والجاه الواسع بين الاعيان والمتوجهين والاموال الطائلة والارباح الكثيرة بين اصحاب الحرف والملاكين والتجار (١). قال الجاحظ : « ان النصارى اتخذوا البراذين الشهرية والخيل العتاق . واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحذقوا المديني ولبسوا الملحم والمطبقة . واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي (٢) » .

قال المستشرق الانكليزي لسترنج ما خلاصته : « يبدو للباحث ان النصارى في حكم الخلفاء كانوا يتمتعون بتسامح تام . ويملكون ديرة عديدة فيها كنائس حسنة البناء . فكان في محلة الروم دير كبير شيد في عهد الخليفة محمد المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ – ٧٧٥ – ٧٨٥م) وفي الكرخ على الجانب الغربي من دجلة دير العذارى ودير درتا ودير القباب . وفي شمالي المدينة دير شموني باسم مؤسسته المدفونة فيه . وفي غربيها ديران احدهما دير مديان الواقع على ضفة نهر كرخايا وكان يعرف بدير سرجيوس وثانيهما دير الثعالب . وفي شرقيها ما عدا دير الروم خمسة اديار منها ديران في خارج باب الشماسية وهما دير درمالس ودير سمالو نسبة الى احدى مدن الحدود الارمنية التي افتتحها هرون الرشيد في حملة سنة (١٦٣هـ – ٧٨٠ م) . وفي شمال هذا الموضع دير سابور . وعلى مسافة اربعة فراسخ عن بغداد دير مار جرجس . وتحت المحلات الجنوبية التي تحت قصور الخلفاء الدير القديم او دير الزندورد . ويبدو ان معظم هذه المباني قد تهدم نحو سنة (٦٢٣ هـ – ١٢٢٦ م) . كما ان رهبان هذه الديارات قضوا نحبهم او تفرقوا او تشتتوا . غير ان اغلب البساتين بقي يانعاً يقصده اهالي بغداد في ايام الاعياد . وبعد الحصار المغولي لم يبق اثر لأي دير . فقد زال عن آخره (٣) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٦٤ – ٦٦ .
(٢) ثلاث رسائل للجاحظ (مصر ١٣٤٤ هـ) ص ١٨ .
(٣) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٠٨ و ١٨٠ – ١٨٤ .

ازدهار المدارس

وفي تلك الآونة تقدمت العلوم لدى النصارى العراقيين وازدهرت مدارسهم ازدهاراً لا مثيل له . فكانت في دير مار فثيون مدرسة واسعة وقد تقلد زمام رئاستها ردحاً من الزمن الاديبان الطائرا الصيت علي واخوه عيسى ابنا داود . قال المؤرخ ماري بن سليمان : « ولما بنى المنصور مدينته (في الكرخ) ونزلها الناس هدم سبريشوع (جاثليق النصارى المتوفى سنة ٨٣٩ م) تلك الابنية (ابنية دير مارفثيون) لاجل من تغلب عليها ولم يتعرض للهيكل والمذبح . وجدد بناء بيت الاشهاد والاروقة ونصب اسكولا (مدرسة) وجمع المتعلمين . وكان علي وعيسى ابنا داود يقومان بامرهم . واقام الجاثليق فيه ورسم ان يدفع من دخله الى رهبان عمر صرصر وهو المعروف بعمر (دير) صليبا . وهم النقلة من هذا الدير اربعة دنانير في كل شهر » (١). وقال ابن رسته : « ولم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت . نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية » (٢)

وكانت للنصارى في الكرخ مدرسة اخرى نشأ فيها ابومحفوظ معروف بن الفيرزان المعروف بالكرخي (٣) . وذكر ابن القفطي ان الطبيب المنطقي البغدادي المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان قرأ الطب على علماء زمانه من نصارى الكرخ (٤) . وذكر ابن العبري ان الطبيب البغدادي يحيى بن عيسى بن جزلة درس الطب لدى نصارى الكرخ الذين كانوا في ايامه (٥) .

(١) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٧٦ – ٧٧ .
(٢) الاعلاق النفسية ص ٢٣٥ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ١٥٧ .
(٣) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٤٥ .
(٤) اخبار الحكماء ص ١٩٢ وظهر الاسلام ١ : ٢٣١ .
(٥) تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٩ . واخبار الحكماء ص ٢٢٩ .

وكانت في محلة دار الروم (١) ودرب القراطيس (٢) وبيعة الكرخ المعروفة ببيعة سرجونا (٣) ودرب دينار وسوق الثلاثاء (٤) وغيرهما مكاتب واسعة الارجاء تضم بين جدرانها مئات من الطلاب . غير ان اكبر مدارس هذه الانحاء مدرسة مار ماري المبنية بعيداً عن بغداد في دير قني . وقد نبغ فيها اعظم مشاهير علماء النصارى (٥) .

هذه بعض المدارس المسيحية وتلك نهضة بغداد الادبية في ايام الخلفاء العباسيين . اما في بقية المدن ففي الموصل استفاضت شهرة مدرسة دير مار جبرائيل المعروف بالدير الاعلى الواقع على نهر دجلة في جوار الطابية العليا (باشطابية) (٦) . ومدرسة دير مار ميخائيل الواقع في شمالي الموصل على مسافة ساعة وثلاثين دقيقة . وقد بلغ عدد رهبانه اكثر من الف راهب . ودرس في صفوفه الفلسفة واللاهوت وسائر العلوم . ومدرسة النبي يونس (يونان) في نينوى . ومدرسة مار ايليا الحيري في غربي الموصل (٧) . قال المؤرخ توما المرجي : « كان في مدينة الحدباء ونواحيها

(١) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٩١ .

(٢ كان درب القراطيس داخل بغداد في غربي الكرخ . وكانت للنساطرة فيه مدرسة وكنيسة واسعة الاطراف (المجدل ص ١١٩) . جاء في كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق (ص ٨٥) عن الجاثليق يوحنا بن عيسى المعروف بالاعرج (المتوفي سنة ٩٠٥ م) ما يأتي : « وتعصب على يوحنا قوم من قطيعة النصاري ودرب القراطيس كانوا يعرفون منشاه وتربيته » . وكانت قطيعة النصارى قريبة من درب القراطيس (مجلة المشرق ١٠ : ٤٤٦) .

(٣) المجدل ص ١١٩ .

(٤) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١٣١ . والمجدل ١٠٦ — ١٠٧ و ١١٩ — كان درب دينار في شارع الجسر القديم اي في الطريق المؤدي اليوم الى جسر الملك علي . اما سوق الثلاثاء فكانت تمتد من جامع الحيدرخانة الى جامع مرجان وكانت المركز التجاري يوم قدم ابن بطوطة بغداد سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢١ م) .

(٥) مجلة المشرق ١٠ : ٤٤٥ .

(٦) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٩١ . ومجلة النجم ٥ : ٢٤ — ٢٩ و ٧ : ١٦٦ — ١٧٣ .

(٧) تاريخ الموصل ١ : ٩٣ و ٢ : ٤٤ . ومجلة النجم ١ : ٢١٩ — ٢٢٠ و ٥١٧ — ٥١٩ . و ٧ : ١٣٢ — ١٣٧ و ٢٥٨ — ٢٦٨ . واثر قديم في العراق ص ٨٣ .

في اوائل القرن التاسع الميلادي ستون مدرسة (١) . وقال المستشرق الفرنسي لابور : « ما من امة على وجه المسكونة جارت الامة المسيحية في بناء المدارس والمعاهد العلمية . فانها ما فتئت زهاء احد عشر قرناً تنشر الوية التمدن والتربية بين سكان اسية القديمة والشرق الاقصى » (٢) .

تقدم العلوم الطبية

ومن مزايا هذه العصور انتشار صناعة الطب في البلاد . فقد ظهر اطباء نصارى ماهرون ساسوا المستشفيات وعلموا فيها اصول المعالجة وشخصوا الامراض ودققوا الادوية وعربوا الكتب الطبية العديدة على اختلاف انواعها . فلم يبق ضرب من علوم الطب الا نقلوه الى العربية وانكبوا على شرحها وتبويبها وتنظيمها فخرجت من بين ايديهم كاملة مرصعة بدرر ملاحظاتهم ومطرزة بفرائد اختباراتهم . وقد حثهم الخلفاء على هذه الاعمال الجليلة وجعلوهم اقرب الخاصة بهم . ونالوا من لدنهم الكرامة والحظوة والثقة اكثر من سائر العلماء والادباء بل كانوا يعودونهم في منازلهم في اثناء مرضهم ويجلسون الى موائد طعامهم ويحضرون احياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازتهم (٣) « ولما قدم بختيشوع الاكبر على المنصور من السوس ودخل عليه في قصره بباب الذهب ببغداد قال : شراب . فقيل له : ان الشراب لا يشرب على مائدة امير المؤمنين . فقال : لا آكل طعاماً ليس معه شراب . فاخبر المنصور بذلك . فقال : دعوه » (٤) . « ولما مات

(١) كتاب الرؤساء ص ١٤٦ .

(٢) النصرانية في مملكة فارس ص ٣٥١ . وكلدو واثور ٢ : ز — ح .

(٣) تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦ — ٢٦٥ . وعصر السريان الذهبي ص ٢١ . وعيون الانباء ١ : ١٦٥ . وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٥٧ — ١٦٠ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٨٠ .

(٤) تاريخ الامم والملوك ٩ : ٣٠٩ .

(سلمويه) امتنع المعتصم عن الاكل في ذلك اليوم (لأنه كان طبيبه) وامر باحضار جنازته الى الدار وان يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى . ففعل ذلك وهو يراهم » (١ .

ومن اطباء نصارى العراق الذين فازوا بالمنزلة العالية فى تلك الايام يوحنا (يحيى) بن ماسويه (المتوفى سنة ٨٥٧م) . فولد فى خوز احدى قرى نينوى وكان محباً للعلم مولعاً بالطب ثم تضلع من فنون المعالجة وزرع فى اصول الآداب على يد يشوع بر نون الملفان في اسكول المدائن (٢ . فعلت منزلته وعظم شأنه وقلده الخليفة الرشيد ادارة اكبر مدرسة فى عاصمته كما ولاه تعريب الكتب الطبية القديمة . وكان معظماً جليل القدر يعقد مجلساً للنظر فى العلوم فيحضره جمع كثير ويجادل فيه ويناضل باحسن عبارة وادق معنى . وخدم من الملوك العباسيين ما عدا الرشيد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل واغدقوا عليه الهبات الواسعة الاموال الطائلة اعترافا بامانته وخبرته وفضله . وهو اول من كتب في امراض العين (٣) وعرب عدداً كبيراً من المؤلفات الطبية ووضع عدة مصنفات جليلة اشهرها : كتاب فى اسباب السويداء وكيفية علاجها . وكتاب فى الحمى وهو خلاصة مذاهب الطب لدى اطباء الاسلام والنصارى . وكتاب الجذام وكتاب الجراحة (٤ .

ومنهم الطبيب سابور بن سهل (المتوفى سنة ٨٦٨م) . فكان من خوز وقد تخرج فى المعارف وتبحر فى علوم الطب والمعالجة فاقيم رئيساً على اطباء

(١) اخبار الحكماء ص ١٤١ .

(٢) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٧٥ . والمجدل ص ٦٦ .

(٣) الطب العربي للدكتور امين اسعد خيرالله (بيروت ١٩٤٦) ص ١٧٨ — ١٧٩ . والتصوير عند العرب ص ٣٥ .

(٤) تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٧ و ٢٣٩ و ٢٤٣ واخبار الحكماء ص ٢٤٨ — ٢٥٦ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٧٢ و ٣٨٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٩٩ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٢٥٦ . وعصر السريان الذهبي ص ٦ . وعيون الانباء ١ : ١٧٥ . والفهرست ص ٢٩٥ .

جنديسابور (١ وانفس مصنفاته الاقراباذين وكان المعمول عليه فى البيمارستانات (٢ ودكاكين الصيادلة . (٣

غير ان الدرر اللامعة فى قلادة العصر العباسي آل بختيشوع . فقد نبغ منهم افاضل كانوا من امهر اطباء زمانهم . وخدموا الخلفاء العباسيين زهاء قرنين . فغمروهم بالعطايا السنية والهدايا الجزيلة وقربوهم منهم وجالسوهم ونادموهم وحادثوهم محادثة الاخدان (٤) . فزعيم اطباء هذه الاسرة جورجيس بن بختيشوع المتوفى سنة ٧٧٠ م) . ولما اعتل ابو جعفر المنصور احضر اليه وكان اذ ذاك رئيس اطباء جنديسابور « فانتفع به الخليفة واسنى جوائزه واقام ببغداد سنتين» (٥) . وتلاه ابنه بختيشوع بن جورجيس (المتوفى سنة ٨٩٨ م) طبيب الخليفة هرون الرشيد . فشفي على يده واكرمه وخلع عليه خلعاً وافرة وقال له : « تكون رئيس الاطباء ولك يسمعون ويطيعون » (٦ . وجاء فى الفهرست : « انه كان

(١) بنى مدينة جنديسابور او كونديشابور سابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢ م) . وقد اشتهرت فيها كلية للطب وقد قصدها الكثيرون من الاقطار المختلفة . قال دوفال (الاداب السريانية ص ٢٦٩) : « اتى سابور باطباء يونانيين الى جنديسابور ونشروا علم الطب فى الشرق » . وبقيت هذه الكلية تؤدي اعمالها في الاسلام كما كانت فى عهد الاكاسرة . وازدادت اتصالها بقصور الخلفاء فى العهد العباسي.

٢) البيمارستانات مفردها البيمارستان : قال فى شفاء الغليل : البيمارستان لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لان بيمار معناه المريض وستان هو الموضع . ويقال فيه ايضاً المارستان ذكره فى شفاء الغليل وهو الذي اثبته الجواليقي والمرتضى فى تاج العروس وفسراه بما ذكر . لكن المتعارف اليوم انه موضع المجانين بالخصوص وبهذا المعنى استعمله بديع الزمان فى المقامة المارستانية وابن الجوزي فى كتاب الاذكياء وكانه من باب الغلبة (مجلة الضياء ٢ : ٤٨٣) .

(٣) تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٥ . وتاريخ الموصل ٢ : ٤٦ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٧١ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٩٩ . وعيون الانباء ١ : ١٦١ . والفهرست ص ٣٩٧ .

(٤) الاداب السريانية لدوفال ص ٢٧١ — ٢٧٢ و ٣٨٥ .

(٥) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٧ .

(٦) اخبار الحكماء ص ٧١ — ٧٢ .

مشهوراً ومقدماً عند الملوك » . وخدم جبرائيل بن بختيشوع (المتوفى سنة٨٢٨م) الامين والمأمون وكانت رواتبه سبعمائة الف واربعة ملايين درهم سنوياً واحصي ما ربحه من الخليفة الرشيد فكان ثمانيمائة الف وثمانية وثمانين مليونا من الدراهم . هذا عدا ما ربحه من عقاراته الكثيرة الواسعة . وقد امره الرشيد ان يقيم مستشفى نظير مارستان الكلية الطبية فى جنديسابور .[١] وعالج بختيشوع بن جبرائيل (المتوفى سنة ٨٧٠ م) المامون والمعتصم والواثق والمتوكل . فجالسهم ونادمهم ونال منهم العطايا السنية . وصنف كتباً فى الطب وعلق تعليقات وافية على مؤلفات الاطباء .[٢] وعالج عبدالله بن بختيشوع المقتدر احسن معالجة . وطبب جبرائيل بن عبدالله عدة ملوك ووزراء الدولة والف فى الطب مصنفات جليلة .[٣] هولاء وغيرهم من ائمة الطب من آل بختيشوع كانوا على التدريس والترجمة في مدارس بغداد والتطبيب في دار الشفاء [٤]. فقد علموا وشرحوا وصنفوا وعربوا كتباً جمة فى صناعة المعالجة وفى اساليبها المتنوعة بهمة لاتعرف الونى .[٥]

هـــذا واشتهر عدا اولئك الاطبـاء غيرهم كثيرون كتب اغلبهم باللغة العربية .[٦] وسنقف على مآثرهم فى الفصل الآتي . فبنوا دوراً للمرضى وعززوا صناعة الطب وغالوا فى تدريس اصولها ثم تفننوا في الاستنباط والاختراع وتنافسوا فى التصنيف والتاليف ، فانهم قد اوضحوا مع الاطباء المسلمين تشخيص بعض الحميات

---

(١) ضحى الاسلام ٢٥٥ـ٢٥٦ . واخبار الحكماء ص ٩٩ـ١٠٠

(٢) اخبار الحكماء ص ٧٣ .

(٣) كذلك ص ١٠٢ـ١٠٣ .

(٤) مجلة الضياء ٢ : ٤٨٣ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٧١ .

(٥) راجع مجلة المشرق ٨ : ١٠٩٧ . وتاريخ مختصر الدول ٢١٤ و ٢٢٦ـ٢٢٨ و ٢٣٩ و ٢٤٩ـ٢٥٠ . ومجلة النجم ٤ : ٣٧٦ ـ ٣٧٨ و ٨ : ١٦٩ـ١٧٠ . وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٣٤ـ١٣٥ و ١٣٩ . وعيون الانبـــاء ١ : ١٢٣ـ١٤٨ و ٢٠٢ـ٢٠٣ .

(٦) الاداب السريانية لدوفال ص ٢٧٤ .

النفاطية كالجدري والحصبة والحمى القرمزية . وزادوا فى الصيدلة على ماتلقوه عن كتب اليونان . فهم اول من استقطر الميـــــاه والزيوت . واول من استخدم مركبات الزئبق فى الامراض الجلدية ولا سيما البرص . واول من عالج بالعناب والاهليلج . واول من اشار باستعمال المن والسنا والتمر الهندي والروند والكافور وغير ذلك .[١] هذا فضلا عن ان اسفارهم لاتزال منهلا عذباً يستقي منه الاطباء الفوائد الجمة عصراً بعد عصر الى يومنا هذا .

جاء فى ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحراني (المتوفي سنة ٩٤٣ م) ان عدد الاطباء الذين امتحنهم .[١] فى الجانبين من بغداد بلغ ثمانيمائة ونيفاً وستين رجلا سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم فى الصناعة وسوى من كان في خدمة السلطان .[٣] وذكر بعضهم ان عدد علماء الطب ومدرسيه وطلبته فى مدرسة بغداد ورجال ندوتها العلمية بلغ ستة الاف نفس .[٤]

النقلة

وسع الخليفة هرون الرشيد ديوان التعريب الذي كان قد انشأه جده لنقل العلوم من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية وزاد عدد موظفيها .[٥] فاقام يوحنا بن ماسويه اميناً على تعريب الكتب الطبية القديمة لما وجدها بانقرة وعمورية وسائر

---

(١) مجلة الضياء ٢ : ٤٨٤ . وعيون الانباء ١ : ٢٣٢ . وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٧٦ـ١٧٩ .

(٢) كان سبب هذا الامتحان : ان غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فات الرجل فامر الخليفة بمنع سائر المتطببين من التصرف الا من امتحنه سنان بن ثابت . فصاروا اليه وامتحنهم واطلق الى كل واحد منهم ما يصلح ان يتصرف فيه .

(٣) اخبار الحكماء ص ١٣٠ـ١٣٣ . وتاريخ مختصر الدول ص ٢٨١ . وعيون الانباء ١ : ٢٢٢ .

(٤ مجلة الضياء ٢ : ٤٨٣ .

(٥) مختصر تاريخ العرب ص ٢١٦ـ٢١٧ وعصر المأمون ١ : ٣٧٩

بلاد الروم ورتب له كتاباً حذاقا يكتبون بين يديه (١) . وحذا حذوه المأمون فطلب منه ان يعرب كل مؤلف يقع بيده اويرسل اليه مهما كان نوعه وبذل للنقلة اضعاف مايستحقونه ومتى يزيدوه نقلا يزدهم جزاء وعطاء . واشهر الكتب التي عربوها من فلسفة اليونان : مؤلفات فيثاغورس في الحساب والموسيقى وغيرها من العلوم الرياضية . ومصنفات افلاطون فى النفس والسياسة المدنية . وكتب ارسطو في المنطق والحكمة والعلم الطبيعي والحيوان والنبات . واسفار ابقراط وجالينوس فى الطب ودسقوريدس في الادوية واقليدس فى الهندســة وبطلميوس فى الهيئـة وغير ذلك (٢) .

وممن فاز بالشهرة الواسعة في عالم النقل والتعريب حنين بن اسحق العبادي (المتوفى سنة ٨٧٦ م) . ولد فى الحيرة وكان ابوه صيدلانياً . فلما نشأ احب العلم فدخل دار السلام ولزم الطبيب البارع يوحنا بن ماسويه (٣) وقرأ عليه . ثم دخل بلاد الروم واقام فيها مدة سنتين حتى اتقن اللغة اليونانية وتثقف فى علم الطب . فعاد الى بغداد ثم سافر الى ارض فارس فالبصرة ودرس اللغة العربية على الخليل بن احمد الفراهيدي (المتوفى ١٧٠ هـ — ٧٨٦ م) وتضلع منها . ثم رجع الى الزوراء واخذ يعرب الكتب اليونانية على اختلاف انواعها فتارة يعلق عليها واخرى يهذبها وحيناً يبوبها حتى امسى خبيراً باصول المعالجة والترجمة . ولما تربع المأمون على عرش الخلافة حشد فى دار الحكمة امهر النقلة فكان امامهم حنيناً . ثم غمره بالصلات الوافرة والعطايا الكثيرة . وصنف اكثر من خمسة وعشرين كتاباً عدا ماعربه من

(١) اخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٢) مجلة الضياء ٢ : ١٣٢ . والنصرانية فى مملكة فرس الابور ص ٣٤٩ وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٢٨ . وضحى الاسلام ١ : ٢٦٣ـ٢٦٥ و ٢٦٩ـ٢٧٤ وعصر المأمون ١ : ٣٧٩ـ٣٨١ .

(٣) انظر ص ٨١ .

اللغة اليونانية . فقد نقل الى العربية كتاب اقليدس وكتاب المجسطي لبطلميوس وكتاب ابولونيوس فى المخروطات . واوضح مؤلفات افلاطون وسقراط وجالينوس ولخصها احسن تلخيص وكشف ما استغلق منها فكان شيخ المترجمين ورئيس الفلاسفة والاطباء وخير من قدم الى قراء العربية نتائج القرائح اليونانية (١) .

ومنهم ابنه اسحق (المتوفى سنة ٩١١ م) . وهو من مشاهير اطباء زمانه فى منزلة ابيه في الفضل وصحة النقل من اليونانية والارمية ويزيد عليه فى الفصاحة (٢) . فاقبل على الترجمة وتولاها واتقنها فكانت نفسه اميل الى الفلسفة . واحسن معالجة الخلفاء والرؤساء من خدمهم والده وانقطع في آخر ايامه الى الوزير القاسم بن عبيد الله واختص به . وقد نقل الى العربية كتاب ماوراء الطبيعة وكتاب النفس والكون والفساد وتعليقات اسكندر الافروديسي (٣) على مؤلفات ارسطو . ووضع كتاب الادوية المفردة على الحروف وكتاب كناش الخف وكتاب تاريخ الاطباء (٤) .

ومنهم ابن اخته حبيش بن الاعسم . فكان من النقلة الماهرين من اللغة اليونانية والارمية الى العربية واكثر مانقله نسب الى حنين (٥) .

حالة الديارات والكنائس

وازدهرت في الاسلام ديارات نصارى العراق ببنائها الشامخ وحدائقها الغناء وزروعها النضرة وتصاويرها البديعة هذا فضلا عن ازدهارها بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة .

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ـ٢٥٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٣٩٩ . ومجلة النجم ٨ : ١٧٠ و ٩ : ١٥-١٦ . وعيون الانباء ١ : ١٨٤ـ٢٠٠ واخبار الحكماء ص ١١٧ـ١٢٣ . وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٢٩ـ١٤٠ . وضحى الاسلام ١ : ٢٨٣ـ٢٨٨ .

(٢) الفهرست ص ٢٨٥ .

(٣) اسكندر الافروديسي فيلسوف مشاء لقب بالمفسر . ولد فى افروديسيا من كاريا في اواخر القرن الثاني للميلاد « دائرة المعارف للبستاني – بيروت ١٨٧٨ » ص ٥٧٠ .

(٤) اخبار الحكماء ص ٥٧ . وتاريخ مختصر الدول ص ٢٥٢ . وشعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٤٨ـ٢٥٠ . وعيون الانباء ص ١ : ٢٠٠ـ٢٠٢ .

(٥) تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٥ـ٢٥٣ . واخبار الحكماء ص ١٢٢ وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٤١ وعيون الانباء ١ : ٢٠٢ .

وقد وصف المؤرخون لباس الرهبان والراهبات بالسواد الحالك . وكان تحت هذه السلب والمدارع السود المسوح في الغالب من الشعر الاسود ويشدون فوقها الزنار .(١)

ومن الديارات العراقية المعروفة اذ ذاك بعلوها وارتفاعها وكثرة قلاليها الدير الاعلى في الموصل على جبل مطل على دجلة « وله درجة منقورة في الجبل تفضي الى دجلة نحو المائة مرقاة وعليها يستقي الماء من دجلة » (٢). ودير متى الواقع في شرقي الموصل « واكثر بيوته منقورة في الصخر وفيه نحو مائة راهب لا يأكلون الطعام الا جميعاً في بيت الشتاء او بيت الصيف وهما منقوران في صخرة كل بيت منهما يسع جميع الرهبان » (٣). وامتاز دير الكلب في جوار معلثايا من نواحي الموصل ببناء قلاليه بعضها فوق بعض في صعود الجبل . واشتهر عمر يونان في الانبار ودير مر يحنا الى جانب تكريت ودير سعيد في جانب الموصل بكثرة صوامعها (٤).

وكان لكل راهب قلاية خاصة يجاورها بستان فيه من اصناف الاشجار والثمار والبقول والرياحين . وهو يجد في زراعتها ويرتزق من بيع غلتها . وكان الرهبان يتبايعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار الى خمسين ديناراً (٥). ولا ريب ان الاثمان كانت تختلف باختلاف المواقع واتقان البناء واتساع البساتين وكثرة الغلات اهمها النخل والزيتون والكرم . وكانت هذه الغلة وقتئذ تباع من مائتي دينار الى خمسين ديناراً . وعرف دير الكلب في جوار معلثايا بنواحي الموصل بوفرة الزيتون والرمان والآس والكرم والزعفران والنرجس . واختص دير الزندورد في الجانب الشرقي من بغداد بالفواكه والاعناب والاترج والعناب . ودير ابا يوسف فوق الموصل بالزيتون والسرو والاس والرياحين والنرجس (٦).

(١) الديارات النصرانية في الاسلام ص ١٠٣-١٠٤

(٢) مسالك الابصار ١ : ٣٤٠-٣٤١

(٣) معجم البلدان ٢ : ٦٩٤

(٤) مسالك الابصار ١ : ٢٥٤ و ٢٨٦ و ٢٨٩ و ٣٠٩

(٥) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

(٦) مسالك الابصار ١ : ٢٥٤ و ٣٠٢ ومعجم البلدان ٢ : ٦٦٥ ومراصد الاطلاع ١ : ٤٣١

وكانت الديرة تحصن بالاسوار العالية والابواب الحديدية خوفاً من اللصوص كدير الاسكون في الحيرة وعمر ماريونان بالانبار . وربما ارتفعت جدرانها مائة ذراع : كدير باعربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة (١). وكانت للنساء ديارات شامخة البناء واسعة الارجاء تحفها البساتين والرياض يقضين فيها ايامهن بالعبادة والصلاة والاعمال الصالحة . ومن ديارات الحيرة للنساء الرواهب والجواري المتبتلات : دير العذارى ودير مارت مريم ودير هند الكبرى ودير هند الصغرى . ومنها دير العلث على شاطئ دجلة في جوار الحظيرة ودير حنة في ظاهر الكوفة . ودير العذارى في قطيعة النصارى في بغداد (٢).

هذا وكانت الديارات تأوي اللاجئ اليها والمجتاز بها . (٣) بل اقام رهبانها دور ضيافة لمبيت الزوار وعابري السبيل وهم يبنونها احياناً فوق القلالي والكنيسة ويكرمون مثواهم ويقومون بحق قراهم خير قيام . (٤) ومن الاديار التي اشتهرت ببيوت للضيافة : دير الاسكون ودير باريشا في ارض الموصل ودير باعربا ودير مر يحنا ودير الزندورد . (٥) ونزل هذه الديارات الخلفاء والملوك والامراء ووجوه الدولة . وقد بالغ الرهبان في اكرامهم وتعززهم وقدموا لهم الهدايا والطرائف والتحف . فنزل عمر مر تومان (ماريونان) في الانبار كل من اجتاز به من الخلفاء واعيان الدولة . ونزل الدير الاعلى من مر بالموصل من الولاة . وقد نزله الخليفة المامون . ونزل دير مر مار (مار ماري) الخليفة المعتز (٦).

(١) معجم البلدان ٢ : ٦٤٣ و ٦٤٥ ومسالك الابصار ١ : ٢٨٦-٢٨٧ . ومراصد الاطلاع ١ : ٤٢٣ .

(٢) معجم البلدان ٢ : ٦٧٨-٦٨١ و ٦٩٢ و ٧٠٩ ومعجم ما استعجم ص ٣٧٣ ومسالك الابصار ١ : ٢٥٨

(٣) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٦٩ .

(٤) مسالك الابصار ١ : ٣٠٥ .

(٥) معجم البلدان ٢ : ٦٤٣ . ومسالك الابصار ١ : ٢٧٤ و ٣٠٠ و ٣١١ و ٣١٤

(٦) الديارات النصرانية في الاسلام ص ٣٠ و ٤٤ - ٤٥

وكان الناس يقصدون الديارات للاستشفاء منها : دير الجب في شرقي الموصل «يقصده الناس لاجل الصرع فيبرأ منه بذلك كثير» :والدير الاعلى « وتحته عين كبيرة تصب الى دجلة ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحمون فيها . ويذكرون انها تبرئ من الجرب والحكة وتنفع المقعدين والزمنى » . ودير يونس في الجانب الشرقي من الموصل « وتحته عين تعرف بعين يونس يقصدها الناس للاغتسال منها والاستشفاء» . (١)

وفي هذه الديارات وغيرها كنائس عظيمة ومكاتب واسعة الارجاء تضم بين جدرانها المصاحف النفيسة وطرائف الآنية والزينة مالا يثمن . ففي الدير الاعلى « من الاناجيل والتعبدات ما لم يكن مثله للنصارى » . (٢) وفي دير هند الصغرى علق النعمان بن المنذر ملك الحيرة في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة وكانت ادهانها في اعياده من زنبق وبان وما شاكلها من الادهان ويوقد فيه من العود والعنبر شيء يجل عن الوصف (٣) . وفي دير ابا يوسف « عجائب من بدائع التصوير» : وفي صدر دير مار ماعوث على شاطيء الفرات «صورة حسنة عجيبة» (٤) . هذا فضلا عن القباب التي كانت تعلو بعض الديارات تستوقف انظار المارين بها لجمالها وحسن هندستها منها : قبة السنيق في الحيرة وقبة غصين في جوار دير الحريق في الحيرة وقباب دير ابا يوسف (٥) .

(١) معجم البلدان ٢ : ٦٤٤ و ٦٥٠ و ٧١ والديارات النصرانية في الاسلام ص ١٠٠ – ١٠٢ ومراصد الاطلاع ١ : ٤٢٣
(٢) معجم البلدان ٢ : ٦٤٤
(٣) مسالك الابصار ١ : ٣٢٣
(٤) معجم البلدان ٢ : ٧٠٠ . ومسالك الابصار ص ٣٠٢ .
(٥) الديارات النصرانية في الاسلام ص ١٥ – ١٦ .

وكان لنصارى العراق كنائس عديدة مبثوثة في سائر مدنه وقراه ومن اشهرها في دار السلام : بيعة مار سبريشوع الجاثليق (١) وبيعة سمالو وقد جدد بناءها الجاثليق عبد يشوع (المتوفى سنة ٩٨٦م) (٢) وبيعة درتا (٣) وبيعة الكرخ التي على اسم مار سرجيس وباكوس المعروفة ببيعة سرجونا . (٤) وبيعة درب دينار وبيعة درب القراطيس وبيعة سوق الثلاثاء (٥) التي دفن فيها الجاثليق يشوعياب (المتوفى سنة ١١٧٥م) والجاثليق ايليا الثالث (المتوفى سنة ١١٩٠م) . (٦) وبيعة الدور (٧) وبيعة السيدة في دار الروم: قال الحموي: «دير الروم وهو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للنسطورية خاصة . وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها . وللجاثليق قلاية الى جانبها بينه وبينها باب يخرج منه اليها في اوقات صلواتهم وقربانهم : وتجاور هذه البيعة بيعة اليعقوبية مفردة لهم حسنة المنظر عجيبة البناء مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل »(٨) . وقد شيد معظم هذه الكنائس من اموال النصارى وذوي الخير . قال الجاثليق عما نوئيل (المتوفى سنة ٩٦١ م) : « فبنيت بيعة دار الروم على اختيار اهلها ودير مار فثيون على اختياري والتنجز للتوقيع بتجديد عمارتها المسيحي رحمه الله . ومادة النفقة من ابي علي بن غسان كاتب ركن الدولة واستكمل البناء في سنة ثلث واربعين وثلثمائة» (٩) .

(١) الجدل ص ١٠٥ .
(٢) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ١٠٢ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٣٨ .
(٣) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٠٨ .
(٤) الجدل ص ١١٩ .
(٥) انظر ص ٧٩
(٦) الديورة في مملكتي الفرس والعرب ص ٩ .
(٧) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٨٩ .
(٨) معجم البلدان ٢ : ٦٦٣ .
(٩) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٩٦ و ١٠٢ .

اشهر العلماء والشعراء

ومن العلماء الذين عرفوا فى تلك الاونة يشوع بن نون (المتوفى سنة٨٢٧م). كان من قرية جباري الواقعة على نهر دجلة بين الموصل ونينوى وقد الف عدة اسفار اهمها (١٣٠) قانونا و (٤٧) سؤالا واجوبتها في حل غوامض الكتب المقدسة.[١] والمورخ توما المرجي : ولد في حربا احدى قرى الموصل وبعد تضلعه من كل فن من فنون الادب اتخذه الجاثليق ابراهيم كاتما لاسراره ثم سقف على المرج سنة (٨٣٧ م). فكان اشد الناس تفانيا لخير الانسانية واقواهم سعيا الى لاعلاء منار العلم فكتب والف وشاد مدارس. ومن اثمن مصنفاته تاريخه كتاب الرؤساء اي رؤساء الاديار وضعه عام (٨٤٠م) وهو سفر جليل يبحث عن تاريخ الرهبانية والطريقة النسكية لدى النساطرة في انحاء دجلة الشرقية في غضون زهاء ثلاثة قرون[٢].

وفي اواسط القرن التاسع الميلادي اشتهر من نصارى العراق انطون التكريتي وبعد ان اتقن اللغة الارمية واليونانية اتقان بصير بمذهب الكلام اقبل على دراسة الشعر فأضحى من صاغته الاكابر. فاذا رام نظمه قامت الالفاظ في خدمته. وضع كتابا فلسفيا بحث فيه عن الموت وحدود الاجل والفقر والغنى وديوان شعر حبك فيه ثماني قصائد دينية محكمة الاداء صحيحة السبك تعد من عبقرياته. وانفس مصنفاته سفره المعروف بمعرفة الفصاحة لم يتقدمه فيه سواه ولم ينازعه فيه منازع. تكلم فيه عن البيان وفصاحة الانشاء وفقه اللغة وقرض الشعر وضروبه وفنونه باسلوب منقطع النظير في ايجازه واسهابه. وقد نشره البطريرك اغناطيوس افرام الثاني السرياني (المتوفى سنة ١٩٢٩ م) وعلق عليه الحواشي المفيدة • ومن محتوياته بعض ابيات لهوميروس اليوناني وهي منقولة الى الشعر الارمي[٣] •

(١) تاريخ الموصل ٢ : ٤٥—٤٦

(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٦١ و٣٩٩ . والاداب السريانية لدوفال ص ٧٣ و ٢٠٦ و ٣٨٨ • وتاريخ الموصل ٢ : ٤٥ .

(٣) السلاسل التاريخية ص ٣٩٩ . وعصر السريان الذهبي ص ٦٢—٦٣. واللؤلؤ المنثور ص ١٩٠—١٩١ .

ونبغ في ذلك الزمن ابو بشر متى بن يونس (المتوفى سنة ٩٣٩ م). كان من اهل ديرقنى ونشأ في مدرسة مار ماري الشهيرة وقد درس فيها زهاء اربعين عاما وقرأ عليه الناس علم المنطق وكان يجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بهذا العلم ومن جملتهم الفيلسوف الاكبر الفارابي . واما مؤلفاته فكثيرة ومعظمها في شرح كتاب ارسطو وكتب عنه سبعين سفرا جاء في الفهرست: ابو بشر متى بن يونس من اهل ديرقنى ممن نشأ فى اسكول مر ماري . قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين وعلى ابي احمد بن كرنيب واليه انتهت رئاسة المنطقيين ».[١] وقد جرت بينه وبين ابي سعيد السيرافي مناظرة كبرى في المفاضلة بين النحو والمنطق وقد حكاها كلها ابوحيان التوحيدي.[٢]

وظهر فى تلك الاونة الشاعر عمانوئيل بن شهاري (المتوفى سنة ٩٨٠ م) كان من اعظم شعراء القرن العاشر واشهر اساتذة دير مار ميخائيل الواقع فى جوار مدينة الموصل . وقضى رتق اوقاته فى التدريس والتصنيف وقرض الشعر• ووضع ديوانا شهيرا اسماه (الاكساميرون) اي الايام الستة جمع بين صفحاته ثماني عشرة قصيدة ضافية الاذيال مختلفة الاوزان والمقاطع. قد نشر قسما منها القرداحي في كتابه الكنز الثمين سنة (١٨٧٥ م) . وهى دقيقة النظم محكمة السبك مصقولة العبارة تتمثل البلاغة فى ابياتها .[٣]

وفى اواسط القرن العاشر للميلاد نبغ يوحنا بر خلدون وتثقف في دير بيث صباري من نواحي العمارة . فكان من حداثة سنه حاد الذهن شديد الشكيمة وعد

(١) عيون الانباء ١ : ٢٣٥ . وتاريخ مختصر الدول ٢٨٥ و ٢٩٦ . واخبار الحكماء ص ٢١٢ . واللؤلؤ المنثور ص ٣٠٦ . ومجلة الضياء ٢ : ٣٥٤ . ومجلة المشرق ٣٧ : ١٨٠—١٩٨ .

(٢) كتاب الامتناع والموانسة ١ : ١٠٧—١٢٤ .

(٣) تاريخ الموصل ٢ : ٦٧ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٨٠ و ٣٩٣ .

في زمانه من اقطاب العلم ومن المجلين في حلبة الشعر . له عدة آثار علمية شعرية منها كتاب حسن المحاسن وكتاب التجارة الرهبانية وديوان شعر وبعض رسائل في الحياة النسكية ورجالها بلغ بها مقاماً رفيعاً وشهرة لا يستهان بها . وقد احسن وابدع في كتابتها (١).

هذا ولا اريد ان اتكلم عن يشوعدناح البصري (اواخر القرن الثامن الميلادي) . ومار قرياقوس التكريتي (المتوفى سنة ٨١٧ م) . وعبد يشوع بن شهاري (المتوفى سنة ٩١٧ م). والقس سبريشوع بن بولس الموصلي (المتوفى سنة ١٠٠٢م) . ولا عن الاطباء الماهرين امثال الشيخ ابي نصر يحيى بن جرير واخيه ابي سعد التكريتيين وابن بطلان وكتيفات البغداديين (٢). فقد بثوا العلم ورفعوا منار المعارف ونشروا المصنفات الجليلة رصعوها بجواهر البديع وطرزوها بفرائد الكلم فجاءت ايات معجزات خالدات على توالي الاحقاب .

وعرف من علماء النصارى العراقيين في اواخر الدولة العباسية مار يعقوب البرطلي مطران دير مار متى (المتوفى سنة ١٢٤١م) . فبعدما تضلع من اللغة درس المنطق والفلسفة واللاهوت ونبه في كل نوع من انواعها كما نبه في الشعر فكان من فحوله . الف كتباً ونظم قصائد جمعت بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ودقة المعاني ورقتها اشهرها كتاب الرتب الكنسية وقد بحث فيه عن اسرار البيعة باسلوب واضح لا نظير له . وكتاب الموسيقى يتكلم في صفحاته عن الالحان البيعية وفنونها واساليبها وناظميها وزمن دخولها في المعابد . وكتاب الديالوغو ادرج بين سطوره فنون اللغة والبيان والقريض والموسيقى والرياضيات وهو يقع في مجلدين يضرب به المثل في

(١) اثر قديم في العراق ص ٨ . وتاريخ الموصل ٢ : ٦٨ . والاداب السريانية لدوفال ص ٢٢١

(٢) عصر السريان الذهبي ص ١٩—٢٠ . وتاريخ مختصر الدول ص ٣٣١—٣٣٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٦٢ و ٤٩٠ و ٥٠٠ . وتاريخ الموصل ١ : ٨١ . وعيون الانباء ١ : ٢٤٣ .

براعة الانشاء . وكتاب الكنوز وهو من انفس كتبه في علم اللاهوت فاطلق فيه العنان لفكره الحاد ونظره الثاقب فخاض عباب الفلسفة الدينية مما يؤيد تقدمه في التحبير والتعبير (١)

واشتهر في منتصف المائة الثالثة عشرة للميلاد كوركيس وردا الاربلي . كان وافر الذكاء خفيف الروح طيب المعشر طروباً للشعر ولوعاً به فعد من ائمة شعراء عصره . نظم ديوان شعر ضخم ينطق بغزارة المادة وسعة الروية جمع بين دفتيه قصائد رباعية عامرة اودعها بعض الحوادث التاريخية واصفاً حصار مدينة اربل سنة (١٢٣٥م) وما اتى الجنود التتارية من الاعمال البربرية . ومن هذا الديوان نسخ خطية عديدة محفوظة في مكاتب الشرق والغرب . ونسج ما عدا ديوانه قصائد كثيرة معظمها في مدح العذراء مريم وشهرتها تغني عن الاسهاب في وصفها وهي عذبة العبارة حسنة الديباجة جامعة بين السلاسة والمتانة مما جعلته ان يلقب بشاعر العذراء (٢)

وعاش في النصف الثاني من المائة الثالثة عشرة للميلاد خاميس القرداحي الاربلي . فكان حجة ادباء زمانه وعلماً باللغة واماماً بالشعر وديوانه يشهد على درية في احكام النظم . وقد زان قصائده بالرثاء والهجو والغزل والشعر الخمري والصوفي فاتى بالعجب العجاب في كل فن من هذه الفنون يخيل اليك كانه السيل يتدفق فيها تدفقاً . ومن هذا الديوان نسخ عديدة في المكاتب الشرقية والدينية (٣).

هؤلاء واولئك اشهر علماء وشعراء واطباء النصارى العراقيين في ايام الدولة

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٤٠٥ .

(٢) مجلة النجم ٩ : ٣٤١—٣١٦ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٢٧ . والمكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٣٠٩ و ٥٦١ . والاداب السريانية لدوفال ص ٣٤٣ . وتاريخ الموصل ٢ : ١١١

(٣) ذخيرة الاذهان ٢ : ٧٤ . وتاريخ الموصل ٤ : ١١٢ . والاداب السريانية لدوفال ص ٤٠٣ .

العربية وتلك خدماتهم الجليلة فى سبيل خير الانسانية . فقد بثوا المعارف على اختلاف انواعها فى آفاق المسكونة بمساعدة اخوانهم المسلمين ولاسيما عندما كانت سيطرة الخلفاء العباسيين ممتدة على الديار الشرقية . ولكن غب انقراض هذه السلالة الطيبة (محامية الآداب والفنون والصناعات) تداعت دعائم العلوم وونت عزائم القوم فأخذت البلاد تخطو خطوات فسيحات الى الجهل حتى بلغت اقصى درجات التقهقر والانحطاط .

ان حب نصارى العراق الصميمي لاخوانهم المسلمين لم يقف عند هذا الحد بل ساقهم الى التضلع من لغتهم السامية . فاتقنوا فنونها اللسانية ووقفوا على شواردها ثم صاغوا من معانيها قلائد حساناً تزري بالدر النضيد والعقد الفريد . وكانوا فى الوقت نفسه اطباء ونقلة لايشق لهم غبار وهذا ما نراه فى الفصل الآتي .



الفصل السادس

اللغة العربية لدى نصارى العراق

قبل الاسلام

خدم النصارى اللغة العربية وتعهدوا فى كل زمان آدابها وعلومها . ففي الجاهلية نبغ منهم خطباء وشعراء نبهاء . فخطب قس بن ساعدة الايادي (المتوفى سنة ٦٠٠م) آية في البلاغة واساليب البيان .[١] وشعراء القبائل العربية المسيحيون رفعوا رايات النهضة الشعرية فى البادية ونشروا لواءها في المدن . واما ملوك الحيرة والشام فكانوا يعززون الشعر ويدنون منهم اصحابه ويغدقون عليهم النعم الكثيرة ويجرون الارزاق الوافرة . ومن شعراء النصارى الذين عرفوا فى العراق فى تلك الاونة عدي بن زيد العبادي (المتوفى سنة ٥٨٢ م) وولداه زيد وعمرو . وعبد المسيح بن بقيلة احد اعيان الحيرة الذي اشتهر فى الجاهلية وصدر الاسلام وغيرهم انشدوا الشعر ورفعوا قبابه واصفين مادحين هاجين مفاخرين منافرين [٢]

كان لعرب الحيرة وامرائهم وتاريخهم اثر كبير فى الشعر العربي والحياة العقلية فاحاديث جذيمة الابرش واساطير الزباء والتغني بعظمة الخورنق والسدير واقاصيص سمار والامثال التي ضربت به وغيرها شغلت جزءاً كبيراً من الاداب العربية .

فى عهد الدولة الاموية

ولما دالت الدولة للامويين وقبضوا مقاليد الامور دانت لهم البلاد فاندفعت

(١) النصرانية وادابها ٢ : ٣٢٦—٣٣٢

(٢) الاغانى ٢ : ١٧—٤٠ . وشعراء النصرانية ص ٤٣٩—٤٧٣ وفجر الاسلام ص ٤٨ . وشعراء النصرانية بعد الاسلام ص ١٤—٢٠ . والحيرة ص ١٩-٢٥ و ٥٨-٧٦ . وحضارة الاسلام ص ٣٥ .

هممهم الى توطيد الدولة بتثبيت الاحزاب السياسية الموالية لهم والحط من منزلة خصومهم . فألانوا الجانب للشعراء وبسطوا لهم الاكف فاقبلوا عليهم ينظمون القصيد فى مدحهم وينشدون الاشعار فى مآثرهم مؤيدين حقهم فى الخلافة . فكان شأنهم شأن الصحف الحزبية فى عصرنا . فكثر شعر المدح والتفاخر وانتشر شعر الهجاء المقذع .

ومن اشهر شعراء النصرانية الذين عاشوا في ظل الامويين الاخطل الملقب بذي الصليب لانه كان يعلق صليباً على صدره . فقد شبهه الائمة الاقدمون بالنابغة لصحة شعره . واقر له الادباء المسلمون بالزعامة . فمعاوية الثاني بن يزيد (٦٤–٦٤هـ–٦٨٣–٦٨٣ م) قربه منه وشمله بنعمه وعطاياه . وعبدالملك بن مروان (٦٥–٨٦هـ–٦٨٤–٧٠٥ م) ولع بشعره فرفع شأنه ولقبه بشاعر بني امية وشاعر امير المؤمنين واشعر العرب . فجزاء لهذه وتلك هجا هجاء اليما القيسية انصار الزبيريين وهجا معهم احلافهم بني كليب . وفى الوقت نفسه اثنى على الامويين ثناء لا نظير له .(١) قال حماد الراوية حينما سئل عن الاخطل ماتسألوني عن رجل حبب الي شعره النصرانية(٢) .

واشتهر فى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي فى ايام الامويين الشاعر النصراني القطامي . وكان معاصراً للشاعر الاخطل وهو ابن اخته وعاش زماناً بعده . ولم يبلغ عهد العباسيين ولم يتصل بالخلفاء وانما بلغ شعره الخليفة عبدالملك بن مروان فاطرى علي جودة قريحته . وقد وصفه القدماء بالشاعر الفحل واستحسنوا نظمه . ومن احسن قصائده لاميته التي ذكرها ابو زيد القرشي فى جمهرة شعراء

---

(١) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص١٧٠–١٩١ . وادباء العرب ١ : ٣١٧–٣٤٥ . وخلاصة الذهب المسبوك ص ٢٥ .

(٢) حضارة الاسلام ص ٣٦ .

العرب بين المشوبات (١) . جاء في معجم الشعراء : « وكان (القطامي) شاعراً فحلا رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال فى شعره » (٢) .

فى عهد الدولة العباسية

انطوى بساط بني امية وانتقلت الخلافة الى بني العباس فهدأت الخواطر واطمأنت النفوس وخمدت جلبة المنازعات . فاحتكوا بالامم الخاضعة لهم واقتبسوا منهم مافاتهم من العلوم وتبسطوا فى المعارف وتهافتوا على الصنائع والفنون . لقد لابس نصارى العراق اخوانهم العرب واختلطوا بهم وطفقوا يتسابقون فى درس لغتهم والتفرغ لاتقانها والتضلع منها . فكان من هذا السباق ظهور جماعة من الكتاب الاعلام تنافسوا في صناعة الانشاء العربي وتفننوا فى اساليبه البديعة . فحبروا الرسائل ووضعوا الكتب وقصدوا القصائد واتوا بالمعاني المبتكرة والاستعارات الرائعة والكنايات اللطيفة والتشبيهات الطريفة مما اقر بفضلها الخاص والعام .

ولم يكتفوا بهذا كله بل اقبلوا على ترجمة الكتب اليونانية وكانوا قد نقلوا علومها الى لسانهم وحفظوها ودرسوها فى مدارسهم . اما ديارات رهبانهم فكانت حافلة بخزائن الكتب النفيسة المنقولة عن عدة لغات . فهب النقلة يعربون هذه الاسفار ولم يدعوا سفراً معروفا فى تلك الازمنة الا عربوه وبثوا نسخه فى البلاد . فانصرف الناس الى العلوم ونفقت اسواقها اي نفاق . فبنيت المدارس وشيدت النوادي الادبية وازدحمت المعاهد العلمية بالطلاب والمدرسين . وعلماء الارمية يشدون أزر قومهم ويحثونهم على هذه النهضة مؤسسين المكاتب لابنائهم ناقلين علوم

---

(١) المراد بالمشوبات القصائد ذات المعاني المختلفة . راجع عن القطامي : شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ١٩١–٢٠٣ و ٣٩٠ والنصرانية وادابها ٢ : ٢٦٣ و ٢٧١ . وديوان الحماسة (مصر ١٣٤٦ هـ) ص ١٢٨–١٢٩ .

(٢) معجم الشعراء لابي عبيد الله محمد المرزباني (مصر ١٣٥٤ هـ) ص ٢٤٤ .

اليونان الى لغتهم دائبين على تدريس تلاميذهم . فنبغ منهم في انواع الاداب والفنون عدة ادباء احيوا معالم المعارف واوضحوا آثارها فذاع صيتهم فى الآفاق وحدث بفضلهم المشرق والمغرب . اذ فاضت العلوم العقلية على اختلاف انواعها وعربت المعارف اليونانية بجميع فروعها .

نشطت الهمم وانتشرت العلوم والفنون والاداب والصنائع على تباين مقاصدها . فغادر حينئذ ادباء الارمية مدارس الديرة وبارحوا مكاتب الكنائس واقبلوا يدرسون اللغة العربية وتضلعوا منها ونبه منهم عدد عديد عربوا الكتب وساسوا معاهد التهذيب والمستشفيات وحفلت خزائن الكتب بمصنفاتهم النفيسة . فمن النقلة المعروفين يوحنا بن ماسويه (المتوفى سنة ٨٥٧ م) وحنين بن اسحق (المتوفى سنة ٨٧٤ م) وابنه اسحق (المتوفى ٩١١م) وابناء بختيشوع الذين استمرت اعقابهم فى بني العباس الى القرن الحادي عشر وكانوا على التدريس والترجمة في مدارس بغداد والتطبيب في دار الشفاء[1]

وكان الانجيل قد نقل من الارمية الى العربية منذ القرن السابع الميلادي . وقد جد فى تعريبه يوحنا بن السدرات (المتوفى سنة ٦٤٨م) على ايدي العرب المسيحيين من بني عقيل وتنوخ وطيء نحو سنة (٦٤٣ م) [٢]. ومن اقدم نصارى العراق الذين كتبوا بلغة الضاد حبيب ابو رائطة التكريتي (القرن السابع للميلاد) والجاثليق طيمثاوس (المتوفى سنة ٨٢٣م) [٣].

وعرف اذ ذاك من شعراء وادباء النصرانية العراقيين ابو قابوس . كان من اهل الحيرة منقطعاً الى البرامكة وتقرب بهم من الخليفة هرون الرشيد (المتوفى

(١) انظر ص ٨٤ـ٨٦ .

(٢) التاريخ الكلدى ١ : ٢٧٥ـــ٢٧٩ . واللؤلؤ المنثور ص ٢٧٩ . وعصر السريان الذهبي ص ١٦ـــ١٧ . ومجلة النجم ٢ : ٢٧٨ـــ٢٨٣ و ٨: ١٣٠ـــ١٣٣ .

(٣) ذخيرة الاذهان ١ : ٢٩٧ و ٣٤٤ـ٣٤٥ . واللؤلؤ المنثور ٣٣٢ .

سنة ١٩٣ هـ — ٨٠٩ م) [١].

واشتهر فى القرن التاسع الميلادي عيسى بن فرخنشاه . كان من اهل بغداد ومن كتاب ديوان الخلفاء . وقد اتخذه الخليفة المستعين بالله (٢٤٨—٢٥٢هـ—٨٦٢—٨٦٦ م) نائباً لوزيره الحسن بن مخلد ثم ولاه ديوان الخراج بعد عزل الفضل بن مروان سنة (٢٤٩ هـ — ٨٦٣ م) واثبته عليه خلفه المعتز بالله (٢٥٢—٢٥٥هـ—٨٦٦—٨٦٩ م) فكان مقامه كمقام الوزير [٢].

وممن تضلع من اللغة العربية من مسيحيي وادي الرافدين في ايام المطيع لله الخليفة العباسي (٣٣٤—٣٦٣ هـ — ٩٤٦—٩٧٤م) يحيى بن عدي التكريتي (المتوفى سنة ٩٧٥ م) . قال ابن ابي اصيبعة : « اليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية وفى زمانه قرأ على ابي بشر متي وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة اخر وكان اوحد دهره [٣] ». ومما قاله عنه ابن القفطي وابن العبري[٤]. « وكان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واكثر » . ووصفه ابو حيان التوحيدي [٥] : « كان شيخاً لين العريكة ... مبارك المجلس ينبهر في الالهيات ويضل فيها» . ونقل من الارمية الى العربية زهاء عشرة اسفار ووضع اكثر من خمسين رسالة وله تفاسير ونقول عدة [٦].

ومنهم ابو علي عيسى بن زرعة (المتوفى سنة ١٠٠٨م) . ولد في بغداد وكان

(١) ضحي الاسلام ١ : ٣٤٨

(٢) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٦٤ .

(٣) عيون الانباء ١ : ٢٣٥ .

(٤) اخبار الحكماء ص ٢١٢ . وتاريخ مختصر الدول ص ٢٩٧ .

(٥) كتاب الامتاع والمؤانسة ١ : ٣٧ .

(٦) ذخيرة الاذهان ١ : ٤٤٩ . ومجلة النجم ٩ : ١٧ . وشعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٥٤ـ٢٥٦ .

من المنطقيين والنقلة البارزين. وقد اشتهر بنقل الاسفار الحكمية والعلمية ولاسيما من اليونانية والارمية الى العربية ووضع رسائل فلسفية وألف بالأرمية خمسة كتب في المنطق والطب وعرب ستة اخرى من الارمية . وفضله ابو حيان على يحيي بن عدي بقوله : « انه كان حسن الترجمة صحيح النقل . كثير الرجوع الى الكتب . محمود النقل الى العربية . جيد الوفاء بكل ما حل من الفلسفة ... ولولا توزع فكره في التجارة ومحبته في الربح وحرصه على الجمع وشدته على المنع لكانت قريحته تستجيب له [١] » .

ومنهم ابو الفرج عبدالله بن الطيب (المتوفى سنة ١٠٤٣ م) . ولد في بغــداد من بيت عريق في النبل . ومنذ صباه اقبل بجد ويطالع وانقطع الى التدين والزهد حتى صار قسيساً . وانتخبه الجاثليق ايليــا الأول (المتوفى سنة ١٠٤٩) كاتماً لسره فقام باعباء وظيفته خير قيام . وكان طبيباً ماهراً وفيلسوفا خبيراً عالج بجد واخلاص المرضى في البيمارستان العضدي [٢] وعلم فيه مدة سنين عديدة علوم الطب واقامه الخليفة القائم بامر الله (٤٢٢—٤٦٧هـ—

(١ كتاب الامتاع والموانسة ١ : ٣٣ . والفهرست ص ٢٦٤ . وعيون الانباء ١ : ٢٣٥ . وتاريخ مختصر الدول ص ٣١٥—٣١٦ . وذخيرة الاذهان ١ : ٤٨٩ . ومجلة النجم ٩ : ١٧—١٨ . وعصر المامون ١ : ٣٨٠ .

(٢) ينسب هذا البيمارستان الى عضد الدولة وقد امر ببنائه في الجانب الغربي من بغداد بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع وقد فرغ من بنائه سنة (٣٦٨هـ — ٩٦٦م) وفتح للاستشفاء عام ٣٧١ هـ — ٩٨١ م) . واحضر لحاجاته كل ما يلزم من الادوية والالات ورتب له اربعة وعشرون طبيباً منهم الجراحون والكحالون والمجبرون وكان يدرس فيه الطب . وقد وصفه ابن جبير الاندلسي في رحلته (مصر ١٩٠٨ ص ٢٠٤) حينما زار بغداد سنة (٥٨١هـ ـ ١١٨٥ م : البيمارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة ويتفقده الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون احوال المرضى به ويرتبون لهم اخذ مايحتاجون اليه وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة .

١٠٣١—١٠٧٥ م) رئيساً على الاطباء . اما شرحه وتعليقاته على الكتب القديمة في المنطق واسفار ارسطو ومؤلفات جالينوس فتشهد له بالتقدم والشهرة . وقد فسر الانجيل تفسيراً شافياً كافياً وحبر رسالة انيقة في المحبة تنم عن نفس شريفة متفانية لخير الانسانية . قال ابن العبري : (١) فاما انا وكل مصنف فلا يقول الا ان ابا الفرج بن الطيب قد احيا من هذه العلوم مادثر وابان منها ما خفي » . وتلمذ له جماعة سادوا وافادوا منهم المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان . (٢)

وممن عرف في مطاوي القرن الثاني عشر للميلاد معتمد الملك ابو الفرج يحيي بن صاعد بن يحيي بن التلميذ (المتوفى سنة ١١١٨ م) . كان في زمانه طبيب الدولة العباسية ويستشار برأيه وله الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة . وقد نال المنزلة العالية عنـد الخلفاء والامراء . ويعد من الشعراء المجيدين . قال ابن ابي اصيبعة : « كان معتنياً في العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية متحلياً بالادب بالغاً فيه اعلى الرتب » ٣ .

ومنهم امين الدولة ابوالحسن هبة الله بن صاعد بن ابراهيم بن التلميذ (المتوفى سنة ١١٦٥ م) . وهو ابن بنت معتمد الملك ابي الفرج يحيي المار ذكره فنسب اليه . عاش في ايام المقتفي لامر الله (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ - ١١٣٦— ١١٦٠ م) واتخذه طبيبه الخــاص ونبغ في علم الطب فاضحى اوحد اهل زمانه . وقد اقامه الخليفة رئيس اطباء بغداد ومدير المستشفى العضدي . قالوا ولم يكن مثله بعد سقراط وجالينوس . واشتهر برجاحة العقل وعلو الهمة ووفرة الادب وكان زاهداً في المال وفي اجور المرضى يداوي في داره المعوزين منهم ويعاملهم بلطف ورفق . وله عدة

(١) تاريخ مختصر الدول ٣٣٠—٣٣١ .
(٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٤٦٣ . ومجلة النجم ٧ : ٢٦٢ . وعيون الانباء ص ١ : ٢٣٩—٢٤١ . واخبار الحكماء ص ١٥٠ .
(٣) عيون الانباء ١ : ٢٧٦ . واخبار الحكماء ص ٢٣٨—٢٣٩ .

مؤلفات ورسائل طبية تدل على غزارة فضله وتبحره الواسع في العربية وادابها . فشعره صحيح السبك ونثره انيق الديباجة حسن التحبير وقد اودعه الاساليب الرائعة والالفاظ العذبة مما يؤيد وقوفه على مذاهب الكلام . ومما قاله عنه ابن العبري : «اما ابن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي ففاضل زمانه وعالم اوانه . خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم فى خدمتهم وارتفعت مكانته لديهم . وكان موفقاً فى المباشرة والمعالجة عالماً بقوانين هذه الصناعة . عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا» . وقال ابن القفطي : وكان هبة الله هذا فى العلم والعمل من الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه . ختم به هذا العلم ولم يكن فى الماضين من بلغ مداه في الطب» .(١)

ومن اشهر هؤلاء المؤلفين يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب المعروف بالمسيحي (المتوفى سنة ١١٩٣ م) . كان اصله من الطيب من موضع يقال له الدوير وقد تنقل ابوه عنها الى البصرة . فانكب من صغره على الدرس وانقطع الى الاشتغال بالطب والتبحر فى اللغة العربية وشعرها ثم تضلع من علم الاوائل حتى اصبح نسيج وحده فى الادب. ومقاماته الستون لدليل مقنع على غزارة مادته وعلو طبقته اذ حلاها بضروب الكنايات ووشاها باشكال البديع فجاءت الفاظها رقيقة ومعانيها بليغة . واشتهرت بالمقامات المسيحية تمييزاً لها عن مقامات الحريري . قال ابن القفطي : «وكان فاضلا فى علم الاوائل وعلم العربية والشعر يرزق بالطب والانشاء وصنف المقامات الستين واحسن فيها» .(٢)

هؤلاء اشهر المسيحيين العراقيين الذين انقطعوا الى خدمة اللغة العربية وبثوا ادابها ايام الدولة العباسية . وضربنا صفحاً عن ذكر غيرهم امثال ابي نصر ثابت بن

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٤ . واخبار الحكماء ص ٢٢٢—٢٢٤ ومجلة الضياء ٢ : ٤٨٤ . وذخيرة الاذهان ١ : ٥٠٠—٥٠١ وعصر السريان الذهبي ص ٧ . وعيون الانباء ١ : ٢٥٩ . والمجدل ص ١٠٣ . واخبار فطاركة كرسي المشرق ١٠٦ . وشعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٣١٥ و ٢٩٤ .

(٢) تاريخ مختصر الدول ٤١٥—٤١٦ واخبار الحكماء ٢٣٦ . ومجلة المشرق ٣ : ٥٩١ ومجلة النجم ٤ : ٢٨—٣١ .

هارون (القرن العاشر الميلادي) وابي نصر بشر بن هارون (المتوفى سنة ٩٩٥ م) وابن بطلان المتطبب (المتوفى سنة ١٠٥٢ م) وابن بابي (القرن الحادي عشر) وابي الفتح بن صاعد (القرن الثاني عشر) ومحفوظ النيلي (١) (المتوفى سنة ١١٦٥ م) وسعيد النيلي (القرن الثاني عشر) (٢) وابي علي بن ابي الخير (القرن الثالث عشر) . (٣)

* * *

ان شغف ادباء اللغة الارمية بلغة الضاد اثر فى اساليب لغتهم اللسانية وطفقوا يقتبسون اشكالا من البيان العربي. فمن يتصفح رسائل الجاثاليق يشوعياب الثاني (المتوفى سنة ٦٤٧ م) ورسائل طيمثاوس الاول (المتوفى سنة ٨٢٣ م) يلاحظ فى الاولى بلاغة وفصاحة اللغة الارمية البحتة . واما فى الثانية فيجد تأثير التعابير العربية وهي اشبه شيء بانشاء المقامات . كما تكلف ابو حليم الملقب بابن الحديثي (المتوفى سنة ١١٩٠ م) في خطبه المسجعة (٤) وعبد يشوع الصوباوي (المتوفى سنة ١٣١٨ م) فى كتابه (فردوس عدن) (٥) . وخاميس القرداحي الاربلي (النصف الثاني من

(١) النيلي نسبة الى النيل وهي بلدة على الفرات بين الكوفة وبغداد .

(٢) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٦٦ و ٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣٣٥ و ٣٤١ .

(٣) اخبار الحكماء ص ٢٦٨ .

(٤) ولد الجاثليق مار ايليا الثالث فى ميافارقين من اعمال ديار بكر . ويعرف بابي حليم ويلقب بابن الحديثي وكان متضلعا من العلوم النحوية واللغوية والحكمية . واغلب مصنفاته بالعربية . وقد حبر بالارمية صلوات ورسائل طبع منها فى الموصل المطران يعقوب اوجين منا سنة (١٩٠١ م) . واحسن ما ألفه خطبه العربية المسجعة فى شرح الانجيل تتلى في الاعياد الكبيرة ونشرها الاب يعقوب نمو فى الموصل سنة (١٩٠١ م) باسم التراجم السنية للاعياد المارانية .

(٥) برع عبد يشوع الصوباوي فى كل العلوم الدينية ومؤلفاته جماته نادرة زمانه وزعيم علماء عصره ولاسيما سفره الموسوم بفردوس عدن . عارض فيه مقامات الحريري ونحا منحاه في فنون الشعر والنثر وقد اظهر فيه غنى اللغة الارمية وطول باعه ورسوخ قدمه فى معرفة اوابدها وشواردها . ومن مصنفاته العربية مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد . وكتاب فرائد الفوائد فى اصول الدين والعقائد . وترجمة مسجعة للاناجيل لايام الاحاد ...

القرن الثالث عشر الميلادي) فى ديوانه الشعري وغيرهم الاسلوب العربي فادخلوا فى لغتهم فنون المنثور والمنظوم وانواع البديع اللفظي .

هـــــذا وامتدت شعلة العلوم في تلك الآونة حتى بلغت اقصى الاقطار . فازدهرت الحضارة العربيـــة فى كل مكان وزهت فنونها فى كل صقع وتهافتت الشعوب التي احتكت بالعرب على اختلاف نحلها على درس لغة البلاد فاتقنوها وتعمقوا في صناعتها وتبحروا فى معانيها . ثم استنفذوا اسرارها ونظموا من ألفاظها عقود لآلئ تزري بالعقيان . ولا بدع فان ارتباط الساحل الفنيقي بدمشق الاموية مهد طريق الفتح للغة عدنان فاندفع ادباء الارمية فى سورية يدرسونها ويتعلمونها فنالوا فى هذا المضمار قصب السبق وظهر منهم جماعة خدموا اللغة والمعارف . فقسطا بن لوقا البعلبكي (المتوفى سنة ٩٢٣ م) استدعي الى الزوراء لتعريب المؤلفات اليونانية . وكان بارعا فى الارمية والعربية . فصيح العبارة فى نقوله ورشيق الانشاء وواضح المنهج فى اسلوبه . وجاء عنه فى تاريخ مختصر الدول : « لو قلت حقاً قلت انه افضل من صنف كتابا بما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من الاختصار للالفاظ وجمع المعاني » [1] وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي نقل بعض كتب ارسطو وكان حسن العبارة فيما يعرب [2] والفيلسوف سرجيس بن الياس الراسعني [3] نقل عدة اسفار الى لغة الضاد [4]

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٩ . والفهرست ص ٢٩٥ . وعيون الانباء ١ : ٢٤٢ . ومجلة النجم ٩ : ١٤ — ١٥ . وتاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٤١ .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٤٢ :

(٣) الراسعني نسبة الى راس عين وهي بلدة على منابع نهر الخابور فى الجزيرة .

(٤) اخبار الحكماء ص ١٦٤ . وتاريخ مختصر الدول ص ١٤٩ و ٢٥١ . ومختصر تاريخ العرب ص ٢٣٩ .

لقد اقبل النصارى على تعدد طوائفهم يدرسون اللغة العربية ويتعمقون فى آدابها فاحاطوا بها ووفوا حقها . فذلك كان دأبهم منذ القدم ولا يزال الى يومنا وسنتكلم فى الفصول الآتية عمن نبغ فيها من نصارى بلادنا وعن النهضة العلمية ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر حينما امتزجت الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية وهذا الامتزاج كان حافزاً للشرقيين على طلب العلم وبناء المدارس الراقية وانتشار الطباعة والصحافة وانشاء المكاتب الحافلة بالكتب والمخطوطات .

الفصل السابع

نصارى العراق في عهد المغول والتتار

هلاكو في بغداد

في شهر شوال من سنة ٦٥٥ هـ (الموافق لشهر تشرين الاول من سنة ١٢٥٧ م) رحل هلاكو خان المغولي [١] عن حدود همذان نحو مدينة بغداد. وفي منتصف شهر المحرم من سنة ٦٥٦ هـ (٢٧ كانون الثاني ١٢٥٨) نزل بنفسه على بابها. وفي اليوم الثاني والعشرين منه بدأ القتال بعدما نصب الجند المنجنيقات ورتبوا العرادات وآلات النفط.

وجد المغول بازاء برج العجمي [٢] وبوقا تيمور من الجانب الغربي حيث المبقلة وسونجاق نوين وباجو نوين من جانب البيمارستان العضدي. وفي اليوم السادس والعشرين من محرم سنة ٦٥٦ هـ (٥ شباط ١٢٥٨م) اشتد الحصار على بغداد من جميع الجوانب. وفي اليوم الرابع من صفر ٦٥٦ هـ (١١ شباط ١٢٥٨ م) استاذن الخليفة العباسي المستعصم بالله هلاكو بان يحضر بين يديه. فاذن له وقد خرج ومعه

(١) كانت الاقوام المغولية تسكن الاقطار الشمالية من اسية. والتتار اسم احدى هذه القبائل. وفي القرون الوسطى اصبح اسم التتار مترادفاً لاسم المغول حتى صار يطلق على عموم الاقوام التورانية. وفي القرن السادس الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) انتهى ملك المغول الى جنكزخان بن بهادرخان (المتوفى سنة ٦٢٤هـ — ١١٢٦ م) بعد ان قسم مملكته الواسعة بين اولاده فكان نصيب تولى خان القسم الذي يوالي بلاد العراق. ثم حكم بعده ولده هلاكوخان. وتعني كلمة (خان) بلسانهم الملك او الامير.

(٢) سقطت بغداد بيد هلاكو عندما استطاع ان يحتل برج العجمي لانه كان اقصر ابراج السور (الفخري ص ٢٩٤) وكان هذا البرج واقعاً في جنوب باب الحلبة (باب الطلسم). وقد نسف العثمانيون هذا الباب ليلة (١١ آذار سنة ١٩١٧ م). (راجع بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٢٣٨ و ٢٤٨)

اولاده واهله. فتقدم هلاكو بان ينزلوه بباب كلواذى [١] ودخل بغداد بنفسه ليشاهد دار الخليفة. ثم امر باحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً معبأة في اطباق. ففرق هلاكو جميعها على الامراء. وفي الرابع عشر من صفر (٢١ شباط) رحل هلاكو من بغداد. وفي اول مرحلة قتل الخليفة المستعصم وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخصيان. وقتل ابنه الكبير ومعه من الخواص على باب كلواذى. وبموت الخليفة المستعصم واولاده دالت دولة بني العباس وانطوى بساط ملكهم من بغداد بعد ان حكموا (٥٢٤ سنة هجرية) وقام منهم سبعة وثلاثون خليفة. [٢]

وبعد ان دام القتل والذبح سبعة ايام لم يبق من اهل بغداد الا القليل. فمن استطاع ان ينجو نجا. ومن بقي قتل شر قتلة حتى أمحق اغلب البغداديين. [٣] قال المؤرخ الانكليزي ستيفن لونكريك: « وسرعان ما عصفت بها (اي ببغداد) ريح الخراب فدهمها في سنة (٦٥٦هـ — ١٢٥٨ م) هلاكو حفيد جنكزخان. فقتل عرشها واطفأ نار الخلافة فيها حتى الابد. واستباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة. وذبح شعراءها وتجارها. وفرق طلابها وعلماءها وفقهاءها. فاستحالت في يوم واحد من مركز السلطة الاسلامية الذي لا ند له الى مركز حقير من مراكز الامبراطورية الايلخانية [٤].

وقال المؤرخ غيبون: « ... واخذت الدماء تنساب في شوارع المدينة

(١) كان باب كلواذي واقعاً في الباب الشرقي اليوم — وكلواذي قرية مشهورة من قرى بغداد (تقويم البلدان ص ٣٠٣).

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٧ — ٤٠ و ١٦٧ — ١٨١. والحوادث الجامعة ص ٣١٩ — ٣٢٨. وتاريخ مختصر الدول ص ٤٧١ — ٤٧٥. والفوز بالمراد ص ٤ ٥

(٣) الفوز بالمراد ص ٦. وتاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٨ — ٤٠.

(٤) اربعة قرون ص ١٤.

(بغداد) ثلاثة ايام متعاقبة حتى اصطبغ ماء دجلة عدة ايام وظلت ريح التخريب والذبح وانتهاك الانسانية تعصف بالمدينة ستة اسابيع كاملة حتى انهارت القصور المنيفة وتقوضت الجوامع المقدسة والضرائح الفخمة لاجل قبابها الذهبية واعملت السيوف فى رقاب المرضى فى المستشفيات وطلاب العلم والاساتذة فى المدارس والكليات ونبشت قبور الاولياء واضرحة الامة الصالحين والتهمت النيران نتائج قرائح العلماء والادباء والقيت الكتب لتلتهمها السن النار اوتبتلعها مياه دجلة . وهكذا فقدت البشرية كنوز خمسة قرون وفنيت زهرة الامة فناء تاماً » .[١]

وقال ابن الفوطي البغدادي : « ووضع السيف فى اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) ومازالوا فى قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال منهم باليم العقاب مدة اربعين يوماً . فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبق من اهل البلد ومن التجأ اليهم من اهل السواد الا القليل ماعدا النصارى فانهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم ... واحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره . واستولي الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلال ..[٢]

فى اثناء الراحة والضيق

لم تكن احوال نصارى العراق فى عهد المغول على حالة واحدة بل كانت تتغير بتغير الحكام . فملوكهم الذين كانوا يدينون بالنصرانية احسنوا الى رؤسائها وعفوا رعاياهم من الجزية ومنحوهم براءات تأييداً لذلك .[٣] فأعان هلاكو المسيحيين

(١) مختصر تاريخ العرب ص ٣٤٢ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩_٣٣٠ .

(٣) ذخيرة الاذهان ٢ : ١٤ . وراجع عن ملوك المغول المسيحيين مجلة النجم ١ : ٣٩٣_٣٩٩ .

لان زوجه كانت مسيحية .[١] ووهب الجاثليق مكيخا الثاني (المتوفى سنة ١٢٦٥م) الدار المعروفة بدار الدويدار القائمة على نهر دجلة وشاد فيها كنيسة .[٢] وكان عدد النصارى الذين يدفعون الجزية عند دخول هلاكو الى بغداد (٤٣٠٠٠) نسمة يملكون ستاً وخمسين بيعة ولم يبق من تلك البيع القديمة بيعة واحدة .[٣]

قال المؤرخ عمرو بن متي عن مكيخا الثاني ما يأتي : « وبعد اسيامه بسنة واحدة انتقلت المملكة من الخلفاء بني العباس الى المغل... وانعم هولاكو خان على هذا الاب واعطاه دار الخليفة المعروفة بدار الدويدار التي على دجلة حتى سكنها وعمر فيها البيعة الجديدة ورزق جاهاً عظيما[٤] » .

غير انه فى سنة (٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م) انتقض الامن الداخلي فى الموصل حينما دخلها علم الدين سنجر احد امراء الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين لؤلؤ الذي تولى الموصل سنة (٦٥٧ هـ — ١٢٥٨ م) . فقتل عدد لا يحصى من النصارى ونهبت اموالهم ولم يفلت منهم الامن هرب . وفي اليوم الثاني نزل سكان الجبال على نينوى وقراها فنهبوها وقتلوا المتخلفين فيها من النصارى .[٥] وفى سنة (٦٦٠ هـ — ١٢٦١ م) دخل المغول الموصل فسبوا ونهبوا واعملوا السيف ثمانية ايام قتلوا من اهلها خلقاً لا يعلم عددهم إلا الله وحده[٦] .

لقد عامل المغول نصارى بلادنا فى اول عهدهم احسن معاملة بيد انهم عام

(١) تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٠٠ . وكتاب ما بين النهرين الوسيط ص ١٧١ .

(٢) ذخيرة الاذهان ٢ : ٩ . وتاريخ الكلداني ٢ : ٤٠١ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٤٥٥ . الحوادث الجامعة ص ٣٣٣_٣٣٤ .

[٣] مجلة المشرق ١١ : ٣٩٧ . ونزهة المشتاق ص ١٥٢ .

[٤] المجدل ص ١٢٠_١٢١ .

[٥] تاريخ الموصل ١ : ٢٣٧_٢٣٨ . والحوادث الجامعة ص ٣٤٥_٣٤٨ . ومجلة المشرق ١٨ : ٦٠٢ .

[٦] تاريخ مختصر الدول ص ٤٩٦ والحوادث الجامعة ص ٣٤٧ .

(٦٦٣ هـ — ١٢٦٣ م) اثاروا فى بغداد على الجاثليق مكيخا الثاني (المتوفى سنة ١٢٦٥ م) شغبا عظيما زاعمين انه حبس عنده نسطوريا كان قد اسلم قبل بضع سنوات واشاع بعض المفسدين من الاهل الاهواء أن الجاثليق يريد ان يغرقه في النهر . فتجمهر الكثيرون مفتتنين امام دار الحكومة . فبعث الوالي مراراً الى الجاثليق طالباً منه ان يسلم الرجل المحبوس فابى مصراً على ابقائه فى قصره . فما كان من الرعاع الا واحرقوا باب دار الجاثليق ورواقه وتسلقوا الجدار ليدخلوا عليه ويقتلوه فلم يعثروا عليه لان الوالي كان قد وجه اليه رجالا لينقذوه من ايدي الاوباش . فنجحوا فى سعيهم وبعدما نجا تظلم الى الاردو الاشرف [١] من اولئك الرعاع غير ان سعيه ذهب ادراج الرياح . فلما راى ان لا قبل له بالاقامة فى عاصمة العباسيين غادرها واقام كرسيه في اربل . [٢]

وفي سنة (٦٦٦ هـ — ١٢٦٧ م) ولي على الموصل رجل نصراني اسمه سعود وهو من قرى اربل . غيران الامير بيتمش قتله سنة (٦٨٨ هـ — ١٢٨٩ م) . ثم اثار اضطهاداً على النصارى الذين تظاهروا بالتعصب لمسعود وقتل منهم كثيراً فى الموصل واربل وما جاورهما من القرى . [٣]

وفى ايام السلطان احمد (عزل سنة ٦٨٣ هـ — ١٢٨٤ م) تجرع النصارى غصص المحن فزج فى السجن الجاثليق يابالاها الثالث (المتوفى سنة ١٣١٧م) واستاصل شأفة كنائس تبريز وغيرها من البلدان ومنعهم عن التظاهر فى حفلاتهم الدينية . ولما خلفه السلطان ارغون خان (المتوفى سنة ٦٩٠هـ—١٢٩١م) اخذ يلاطف المسيحيين ويعاقب المذنبين اليهم وسعى لترميم البيع والديارات . [٤]

[١] يراد بالاردو فيلق السلطان ومركز وجوده .
[٢] الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ وتاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٢٥٩ . والفوز بالمراد ص ١٠—١١ .
[٣] تاريخ الموصل ١ : ٢٤٠—٢٤٣ . والحوادث الجامعة ص ٣٦١ و٣٦٧ . والعراق بين احتلالين ١ : ٦٥ و٦٢٤ .
[٤] تاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٥٣ . والحوادث الجامعة ص ٤٦٤—٤٦٧ . وذخيرة الاذهان ٢ : ١٥ و ١٧—١٨ .

وفي سنة (٦٨٤ هـ — ١٢٨٥ م) سطت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيراً من النصارى فى اربل ... [١]

الاعتداءات المتواترة

جلس السلطان كيخاتوخان (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ — ١٢٩٥ م) بعد ارغون خان على عرش السلطنة ثم خلفه بيدوخان غير ان السلطان غازان خان (المتوفى سنة ٧٠٣ هـ — ١٣٠٣ م) اغتصب ملكه فى السنة عينها واخذ يضيق على الذميين تضييقات لايفي القلم بوصفها . وكان اشد هذه المحن وقعاً على نصارى بغداد حتى لم يجسر رجالهم ان يظهروا في الطرق فاضطرت نساؤهم على ان يذهبن الى السوق لشراء الاطعمة لأنهن كن يلبسن لباس المسلمات كما انهن كن يبعن مايلزم بيعه طلباً للرزق ... [٢] ثم امر بالزام اهل الذمة الغيار فكانت علامة النصارى شد الزنار فى اوساطهم . فداموا على ذلك شهوراً ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهال فيهم . [٣]

وفي تلك الاثناء سنة (٦٩٤هـ—١٢٩٥م) «تقدم السلطان غازان باخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم ثم ازيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قدجعله النصارى مدفناً لاكابرهم فازيلت القبور منه وصار محلا للوعظ» . [٤]

[١] الحوادث الجامعة ص ٤٤٧ . وتاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٣٥ . ومجلة المشرق ١٨ : ٦٠٤—٦٠٦ .
[٢] الفوز بالمراد ص ١٥—١٦ . وذخيرة الاذهان ٢ : ١٧—١٨ .
[٣] تاريخ العراق بين احتلالين ٣٦٨ و ٣٧٧ . ونزهة المشتاق ص ١٤٨ . والحوادث الجامعة ص ٤٨٣—٤٨٤ .
[٤] الحوادث الجامعة ص ٤٨٤ . والفوز بالمراد ص ١٦ .

قال المؤرخ عمرو بن متي ما نصه: « ونقلوا (اي النصارى) اجساد الآباء الذين في البيعة المذكورة وهما مكيخا ودنحا واتوا بهما الى بيعة سوق الثلاثاء . واغتم المؤمنون لذلك عظيماً وصلوا عليهما يوماً وليلة ودفنوا مكيخا في القنكي ودنحا في بيت العماد (١)

واما الخراج الذي كان يؤديه النصارى عن الاراضي التي ابقيت لهم فالسلطان غازان خان قد ميز بغداد عن سائر مملكته في الامر الذي اصدره في شهر رجب من سنة (٧٠٣هـ — ١٣٠٤ م) اذ اوجب فيه على اهل سائر المدن ان يدفعوا الخراج مرة واحدة في السنة من نوروز الربيع الى اليوم العشرين منه . واما في دار الخلفاء فكان يجبى في ايام الحصاد الى مدة عشرين يوما(٢).

وكان نوروز قائد السلطان غازان يبغض النصارى بغضاً شنيعاً وقد بالغ في اهانتهم بانواع الجور والأذى . فارسل اوامره الصارمة الى انحاء البلاد بان تنهب وتعفى آثار المعابد المسيحية ويقتل رؤساؤهم . وطرح الجاثليق يابالاها الثالث في السجن وطلب ان يفدى بعشرين الف دينار . فاضطر الى نقل كرسيه من بغداد الى مراغة ثم ضاعف الضرائب على الذميين ولاسيما على النصارى ففتك حينئذ اعداء النصرانية بالديرة والكنائس ونهبوا اوانيها وحللها وامتدت هذه النوائب الى اربل واسروا مطرانها وقتلوا وسلبوا وساموا اهلها الذل والهوان .

وفي مطاوى سنة (١٣٠٤—١٣٠٥م) في عهد السلطان محمد خان خدابنده بن ارغون (المتوفى سنة ٧١٦هـ—١٣١٦ م) كثر خصوم نصارى العراق وكنوا لهم الشر في نفوسهم ثم اخذوا يظهرونه تارة باضطهادهم واخرى بمناوأتهم حتى وقعت مجزرة اربل الثانية وسرت الى تبريز والموصل(٣).

(١) الجدل ص ١٢٢ .
(٢) الفوز بالمراد ص ١٦ .
(٣) راجع بالتفصيل عن هذه الاعتداءات ذخيرة الاذهان ٢ : ١٨—٢٠ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ١١٠—١٣٨ وتاريخ مختصر الدول ص ٤٨٣—٥٢٢

وفي سنة (٧٢١ هـ — ١٣٢٢ م امر السلطان ابو سعيد بن خدابنده (المتوفى سنة ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥م) ان توضع العلائم على الذميين (١)

تأخر العلوم

كانت بلاد العراق في عهد الدولة المغولية تئن من رزايا الحروب والفتن الاهلية فازدادت في ايامها المذابح والفضائح والثورات وهذه الاضطرابات تحول دون تقدم العلوم بل لم يبق اثر للنهضة الادبية التي رأيناها في ايام الدولة العباسية فقد زهد الناس في المعارف ورغبوا عن التأليف والاستنباط وانصرفوا الى جمع بعض المصنفات او الى تلخيصها او التعليق عليها غير ان الحركة العلمية لم تضمحل كل الاضمحلال فان بعض الملوك كانوا من حين الى اخر يشجعون ارباب العلم ويشيدون مبانيه إلا ان هذه الحركة لم تجد نفعاً لانها كانت قصيرة الامد(٢).

خمدت في تلك الآونة الحركة العلمية لدى ادباء العراق المسيحيين واضحت انباؤهم ضئيلة جداً . فقد شغلتهم كوارث الحروب والتقلبات السياسية عن التبحر في المعارف . وربما ظهر بينهم جمهور من المؤلفين بيد ان اسفارهم قد اغتالتها يد الضياع .

وممن امتاز في النهوض الادبي في النصف الاول من القرن الرابع عشر للميلاد صليبا بن يوحنا الموصلي وعمرو بن متي الطيرهاني(٣). وهما مؤلفا كتاب الجدل وقد اختلطت مباحثهما فيه ولا يمكن تمييزها عن بعضها . وهي تبحث عن تراجم الجثالقة المشارقة وقد لخصها صليبا من كتاب الجدل (اخبار فطاركة كرسي المشرق) لمؤلفه سليمان بن ماري (القرن الحادي عشر الميلادي) . وطبع هذا السفر الاب جسمندي اليسوعي في رومة عام (١٨٩٦م) . وهو يتكلم عن

(١) الفوز بالمراد ص ٢٠—٢١ .
(٢) تاريخ الموصل ٢ : ١١٢ — ١٢٠ .
(٣) الطيرهاني نسبة الى طيرهان بلدة من اقليم بابل .

النساطرة في القرون المتوسطة واخبار كنائسهم العديدة وانتشار نحلتهم في الشرق الاقصى وعن غير ذلك من الامور الخطيرة التي لم يذكرها احد من المؤلفين [١].

وممن يستحق الذكر في ذلك الحين يوحنا الموصلي (المتوفى سنة ١٢٧٠م). كان احد رهبان دير مار ميخائيل في جوار الموصل واخذ الادب الارمي عن مدرسيه ونشأ شاعراً مجيداً كثير المناقب جم المفاخر. وقد نظم قصائد بديعة زانها بالألفاظ الرقيقة والمعاني الدقيقة فجاءت متراصفة الفقر متلائمة الاطراف. وقد جمع منها في ديوان اسماه (الفضائل الحسنة) ضمنه الاشعار التقوية والابيات الاخلاقية مما يدل على ملكة قوية وقريحة سخية. وقد طبعه مار ايليا ملوس في رومية سنة (١٨٦٨ م) [٢].

ومنهم جبرائيل الموصلي (المتوفى سنة ١٣٠٠ م). كان فيلسوفاً وشاعراً واقبل يدرس المعارف الارمية وانقطع الى درس اللغة اليونانية فاستبطن اسرارها. ثم انكب على مطالعة فلسفة اليونان فنبغ فيها وبات امام شيوخ العلم في زمانه لا يعارضه في امامته معارض إلا ان الشعر غلب عليه فابدع فيه واجاد. وله في كل نوع بدائع مأثورة وشاها بغرر الألفاظ الرائعة. وقد طبع بعض الادباء قسما منها ولا يؤخذ عليه سوى استعماله الكلمات اليونانية [٣].

دخول تيمورلنك في بغداد

انتهى الحكم المغولي من دار السلام عام (٧٣٨ هـ — ١٣٣٧ م) وانتقل الي جماعة منهم يعرفون باسم الجلاريين [٤]. وكان احدهم وهو

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٧٦ . وتاريخ الموصل ٢ : ١٢٨ .

(٢) تاريخ الموصل ٢: ١٢٨ـ١٢٩ . وذخيرة الاذهان ٢: ٢٣ . ومجلة النجم ١ : ٥١٦ .

(٣) تاريخ الموصل ٢ : ١٢٩ .

(٤) جلاير قبيلة كبيرة من قبائل المغول . وكان نهوض الجلاريين في العراق في اوائل القرن الرابع عشر الميلادي على عهد اميرها من بني اردلان . فكانوا يحكمون كردستان في القرن الثاني عشر الميلادي (اربعة قرون ص ٧) .

السلطان الشيخ حسن الكبير (المتوفى سنة ٧٥٧ هـ — ١٣٥٦ م) قد انشأ حكومة في بغداد سنة (٧٠٦ هـ — ١٣٣٥ م) عند وفاة السلطان ابي سعيد بن خدابنده. وهذه الحكومة لم تعمر فان الدولة التركمانية من آل (قره‌قويونلي) اي الخروف الاسود مزقت شملها واول من ملك منها العراق الشاه منصور سنة (٧٧٨ هـ — ١٣٧٦ م). بيد ان السلطان احمد الجلاري تغلب عليه واستولى على الزوراء عام (٧٨٥ هـ — ١٣٨٣ م) وبقي فيها حيناً بعد حين الى ان دخلها تيمورلنك المرة الاولى سنة (٧٩٠٥ هـ — ١٣٩١ م) ثم عاد اليها المرة الثانية سنة (٨٠٣هـ — ١٤٠٠ م). فهرب السلطان احمد الى بلاد الروم والتجأ الى بايزيد السلطان العثماني [١]. وحينما توفي تيمورلنك سنة (٨٠٧ هـ — ١٠٤٤ م) عاد السلطان احمد الى بغداد وقبض زمام الملك الى سنة (٨١٣هـ — ١٤١٠ م) وفي تلك السنة قتله قره‌يوسف التركماني واستحوذ على ملكه وزالت بذلك الحكومة الجلارية من هذه الديار [٢].

كان العراق في هذه المدة ميداناً للفتن والقلاقل لم يذق سكانه من جرائها طعم الراحة. فقد تناوبت عليه امم مختلفة واقوام شتى ينهبون المدن ويسلبون القصور ويقتلون الاهلين. ولما دخل تيمورلنك بغداد سنة (١٤٠٠م) امر بذبح قاطنيها ذبحاً فخربت المساجد والجوامع وهدمت المدارس التي يرتقي عهدها الى العباسيين والسلاطين الاولين الذين اتوا بعد الخلفاء. قال صاحب كتاب عمدة البيان في تصاريف الزمان: « قتل فيها (اي تيمورلنك في بغداد) تسعين الف مسلم ». وقال صاحب منتجع المرتاد في تاريخ بغداد: « وكانت واقعة بغداد هائلة اندكت لها

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٥١٦ و ٥٣٠ و ٥٣٤ و ٥٣٧ — ٥٣٩ . و ٢ : ١٥٤ — ١٥٥ و ١٧٥ و ١٧٨ و ٢١٣ و ٢٣٣ و ٢٣٧ . واربعة قرون ص ١٦ـ١٧ .

(٢) الفوز بالمراد ص ٢٣ — ٥٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ٢ : ٢٦١ و ٢٧٦ و ٢٩١ — ٢٩٣ و ٣٠٣ — ٣٠٥ .

الارض وعملوا فيها السيف فقتلوا فيها الاولاد والنساء والرجال وخربوا سورها وهدموا بروجها واتلفوا كل مافيها من الحسن . فجرى ماجرى اذ ذاك وسالت الدماء كالماء في شوارعها الفيحاء . قيل واقاموا فيها هرماً عليه تسعون الف رأس من القتلى ». وجاء في الشذرات : « ثم سار (اي تيمورلنك) الى بغداد وحاصرها ايضاً حتى اخذها عنوة يوم عيد النحر من هذه السنة (٨٠٣ هـ) ووضع السيف في اهلها والزم جميع من معه ان ياتي كل واحد منهم برأسين من رؤوس اهلها . فوقع القتل حتى سالت الدماء انهاراً وقد اتوه بما التزموه فبنى من هذه الرؤوس مائة وعشرين مئذنة . ثم جمع اموالها وامتعتها .» (١)

اما نصارى العراق فكانت حالتهم اذ ذاك يرثى لها فقد تبدد جمعهم وهربوا لاجئين الى القرى والجبال النائية خوفاً من القتل والذبح . فهدم الغزاة ديارتهم واستاصلوا كنائسهم واكتسحوا مساكنهم . وكانت نوائب نصارى الموصل في تلك الغضون فادحة . فامر علي باشا صاحب هذه المدينة بهدم كل الكنائس . وفي سنة (١٣٧٢ م) نهب الاشقياء دير الشيخ متي وفي عام (١٣٧٥ م) خربت بيعة اربل الكبرى . ونحو سنة (١٤٠١ م) توالت غارات المغول على اطراف الموصل فقضت على دير بيث عابي وعلى غيره من الاديار التي كانت زاهية بعلومها وانظمتها ومكاتبها ورهبانها . ٢)

القتل والتشتيت

انقرضت الحكومة الجلايرية من العراق وحكمته ثانية حكومة الخروف الاسود

(١) الفوز بالمراد ص ٥٠ . واربعة قرون ص ١٥—١٧ . وتاريخ العراق بين احتلالين ٢ : ٢٤١ . وتاريخ الموصل ١ : ٢٥٠—٢٥٤ .

(٢) ذخيرة الاذهان ٢ : ١١٢ و ١١٨—١١٩ و ١٦٨ . وتاريخ الكلدان ٢ : ٤٩٣—٥٠٥ و ٥١٥—٥٢٣ . والمكتبة الشرقية ٢ : ٤٦٠ . وعصر السريان الذهبي ص ١٠٢ . واثر قديم في العراق ص ٧١ .

(قره قويونلي) وبقيت في بغداد الى سنة (٨٧٢ هـ — ١٤٦٧ م) وانتقلت الى حكومة (آق قويونلي) اي الخروف الابيض (١) . وكان مؤسسها السلطان حسن الطويل (اوزون حسن) صاحب ديار بكر .

وفي سنة (٨٨٢ هـ — ١٤٧٧ م) خلف السلطان حسن الطويل السلطان خليل وكان اكبر اولاده واحبهم اليه . وقد اتفق رعاياه على خلعه وتولية اخيه يعقوب لسوء خلقه وشدة جبروته وكثرة منكراته (٢) .

وفي سنة (٩١٤ هـ — ١٥٠٨—١٥٠٩ م) سير الشاه اسمعيل الصفوي (٣) (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ — ١٥٢٣ م) جيشاً لافتتاح بغداد . وبعد اقتحامها توجه اليها وهكذا اصبح العراق جزءاً من الدولة الفارسية .

وفي ايام ابنه طهماسب (المتوفى سنة ٩٨٣ هـ - ١٥٧٥ م) حكم بغداد ذو الفقار بن نخود سلطان من رؤساء قبيلة موصلو الكردية وقد انتزعها من ايدي الفرس . فمال الى الامبراطورية العثمانية (٤) . وبعث الى القسطنطينية دار ملكها

(١) قرة قويونلي وآق قويونلي معناهما (الخروف الاسود والخروف الابيض) طائفتان من بادية الترك المعروفين بالتركمان . وكانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا عنها في ايام السلطان ارغون خان (المتوفى سنة ١٢٩١ م) الى بلاد اذربيجان ثم ظعنت طائفة قره قويونلي الى نواحي ارزنكان وسيواس واستفحل فيها امرها . واما طائفة آق قويونلي فظعنت الى دياربكر واستولت على الملك والسلطنة .

(٢) الفوز بالمراد ص ٦٩—٧٠ .

(٣) ان جد الصفويين هو ابو اسحق الشيخ صفي الدين الذي كان يسكن في اردبيل وقد اشتهر بالزهد والورع .

(٤) منذ فجر القرون الوسطى اخذت ولايات تركية تمتد وتتسع حتى اقامت امبراطورية متحدة سميت (الامبراطورية العثمانية) نسبة الى عثمان الملقب بالغازي مؤسسها في اواخر القرن الثالث عشر . وفي اوائل القرن السادس عشر وصلت اوج مجدها وبلغت مساحتها ستة ملايين من الكيلومترات المربعة اي مايقارب ثلثي اراضي اوربة . اما عدد سكانها فكان يزيد على الستين مليوناً .

رسائل خضوعه . فجيش الشاه طهماسب عام (٩٣٦ هـ — ١٥٢٩ م) عسكراً لاسترجاع بغداد فدافع عنها ذوالفقار دفاع المستميت غير ان اخويه قتلاه في داره فدخل الشاه دار السلام واقام محمداً التكلي حاكما عليها وهو من ولاية تكة في الاناضول . ولكن السلطان سليمان القانوني العثماني كان اذ ذاك يعد العدة للاستيلاء على العراق .

وقد لخص المؤرخ الانكليزي ستيفن لونكريك حالة بغداد بعد سقوطها على يد هلاكو بما يأتي : « وتقسم فترة القرون الثلاثة الواقعة بين هذه الحادثة المفجعة واستيلاء سليمان العظيم على الزوراء الى اربعة قرون . فغدت بغداد حكومة من حكومات امبراطورية المغول في ايران مدة ثمانين سنة . وبقيت لمدة سبعين سنة اخرى العاصمة الجنوبية لمملكة انفصلت عن الامبراطورية المذكورة على يد احد ولاتها بعد ان خارت قواها . وفي عام (٨٠٤ هـ — ١٤٠١ م) وقعت بيد سلالة من سلالات القبائل التركمانية حتى اغتصبها الاقوياء المعادون . وفي سنة (٩١٤ هـ ١٥٠٨ م) تشربتها مملكة الصفويين الايرانية التي كانت آخذة في النمو » [١] .

تلك كانت احوال العراق قبل انتقاله الى حكم العثمانيين . فقد امست ساحاته ومدنه وقراه ميادين النهب والفتك والدمار بتقلب الحكومات وتغير الاحكام. ولا امتراء ان النصارى وغيرهم حينذاك تجرعوا غصص الآلام وتشتتوا في انحاء البلدان . فاخبارهم غامضة مبهمة منذ اوائل القرن الرابع عشر للميلاد . ولم يستطيعوا ان يدونوها لتزايد الرزايا التي انتابتهم في كل مكان. فقتل كثير منهم او هاجروا فتهدمت بيعهم واقفرت ديارهم وضبطت املاكهم . [٢] واضطر جثالقة النساطرة الى نقل كرسيهم الى مراكز عديدة . واول من ترك بغداد الجاثليق يابالاها

(١) اربعة قرون ص ١٤

(٢) ذخيرة الاذهان ٢ : ٧٨ و ٢٠٠ .

(المتوفى سنة ١٣١٧ م) وسكن خلفاؤه تارة في مراغة وطوراً في اربل ووقتاً في كرامليس . واخيراً اتوا القوش نحو سنة (١٤٢٦ م) . وكانوا يسكنون احياناً في الموصل او في دير مار اوجين القريب من جزيرة ابن عمر . وبعد اوائل القرن السادس عشر للميلاد كانوا يقيمون غالباً في دير الربان هرمزد [١] المجاور لقرية القوش [٢] كما تنبيء صخور مقابرهم المكتوبة عليها تواريخ وفاتهم وتراجم حالهم وصور ايمانهم [٣].

جاء في كتاب نزهة المشتاق : « هجر النساطرة بغداد والبصرة وكل مدن العراق ماعدا الموصل وتوابعها والتجأوا الى قمم جبال كردستان وبلاد الفرس حتى انقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين عهداً وخربت بيعهم وهدمت معابدهم وباتت ديرتهم قاعا بلقعاً يعشش فيها البوم والغربان وباد كل معبد لهم . ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة السلام الا بعد مرور قرن او اكثر على نزوح احدادهم عنها [٤].

وورد في كتاب خلاصة تاريخ العراق : وكان الشاه اسمعيل قد ذبح جميع نصارى المدينة (اي بغداد) ولم يبق واحداً منهم [٥]. ووافي في كتاب اربعة

(١) تأسس دير الربان هرمزد في عهد يشوعياب الجدالي المتوفي سنة ٦٤٧ م) . ويقع في الشمال الشرقي من قرية القوش ويبعد عنها مسيرة خمسين دقيقة وعن مدينة الموصل مسافة ستة وعشرين ميلا .

(٢) انجبت قرية القوش النبي ناحوم كاتب احد اسفار التوراة وهي لا تزال تحتفظ بضريحه حتى اليوم . وفيها ثلاث كنائس اثرية : كنيسة مار ميخا النوهدري وكنيسة مار كيوركيس الشهيد وكنيسة مريم العذراء .

(٣) اثر قديم ص ٣٣ — ٤٤ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٨٢ و ٨٤ .

(٤) نزهة المشتاق ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٥) خلاصة تاريخ العراق ص ١٩٥ .

قرون من تاريخ العراق الحديث : « اما النصارى فكانوا من اصول وطوائف عديدة . وقد كونوا فى الموصل قسما كبيراً من سكان المدينة وانتشرت قراهم الآهلة فى التلال المتخفضة فى الشمال . وتجمعت فى انحاء كردستان مجتمعات مسيحية صغيرة حول دير من الديرة وحافظوا على كهنوتهم ... (١)

(١) اربعة قرون ص ٤ــ٥ و ٩ــ١٠ و ١٢ و ٢٠ .

الفصل الثامن

نصارى العراق في عهد العثمانيين

السلطان سليمان الاول القانوني

عهد السلطان سليمان الاول القانوني (المتوفى سنة ١٥٦٦ م) الى الصدر الاعظم ابراهيم باشا قيادة الجيوش الزاحفة الى العراق فسار بها فى اوائل خريف عام (١٥٣٣ م) الى تبليس . ثم رجع الى حلب وقضى فيها ايام الشتاء . وفي اليوم الرابع عشر من ايار سنة (١٥٣٤ م) وصل الى ديار بكر . وفى اواخر ايلول من السنة عينها التحقت فى تبريز قوات السلطان بقوات الوزير . وفى اوائل الخريف طفق الجنود يزحفون الى بغداد . ولما بلغت السلطان انباء فرار محمد التكلي من المدينة وهو اذ ذاك على بعد عدة مراحل منها بعث الصدر الاعظم ليحتلها فاستولى عليها بدون مقاومة واغلق الابواب منعاً للنهب الذي قد يحدث . ثم دعا السلطان بعدما خيم الجيش فى شمالي بغداد فدخلها بابهة واجلال .

مكث السلطان سليمان القانوني في دار السلام مدة اربعة اشهر رتب فى خلالها الادارة الداخلية (١) ثم غادرها بعدما أقام عليها اول وال سليمان باشا حاكم ديار بكر السابق . وبقي الولاة يدبرون شؤونها حتى حكم فيها بكر الصوباشي عام (١٠٢٨ هـ ــ ١٦١٩ م) . فشق عصا الطاعة على الحكومة واستقل برأيه . ولما تسنم السلطان مراد الرابع عرش الملك سنة (١٠٣٢ هـ ــ ١٦٢٢ ــ ١٦٢٣ م) سير جيشاً يقتص منه . وغب قتال استجار الصوباشي بالشاه عباس الاول فأجاره وارسل اليه عساكر حاصروا بغداد وقاتلوا حاميتها . وفى سنة

[١] تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٩٠ .

(١٠٣٣ هـ — ١٦٢٣ — ١٦٢٤ م) دخلوا المدينة . وبعدما استتب الامر للفرس فيها نكلوا بالاهلين .(١)

وفي سنة (١٠٣٥هـ — ١٦٢٥ — ١٦٢٦ م) فوض السلطان مراد الرابع الى حافظ احمد باشا استرجاع العراق من الفرس . بيد ان العثمانيين لم يفلحوا في قتالهم العنيف الذي دام الى سنة (١٠٣٨هـ — ١٦٢٨ — ١٦٢٩م) . فعين السلطان الصدر الاعظم خسرو (كسرى) باشا قائداً عاماً وعهد اليه قيادة حملة العراق . غير ان هجماته على حصون الزوراء لم تجده نفعاً . فاضطر السلطان مراد عام (١٠٤٧ هـ — ١٦٣٧ م) الى مغادرة عاصمته متوجها الى العراق بجيش لهام . ثم جثم في سنة (١٠٤٨هـ — ١٦٣٨م) ازاء اسوار بغداد وما انفك يهاجمها حتى تغلغل فيها وهكذا انتهى حكم الفرس من هذه البلاد . ٢)

الرجوع الى دار السلام

استولى العثمانيون على العراق فزالت دواعي القلق بزوال الغارات المتواترة عليها واطمأنت النفوس الى حكومة قوية . فانصرفت همم القوم الى توطيد اركان الامن واخذ النصارى منذ اواخر القرن السادس عشر يفدون ارسالا الى دار السلام وانحائها للسكنى والارتزاق . وكانوا يومئذ قليلي العدد اتوا من قرى العراق الشمالية ومن ماردين وديار بكر واطرافها . وهم من طوائف مختلفة يجتمعون في دار من دورهم لاقامة الفروض الدينية كلما سنحت لهم الفرصة او مر ببغداد احد الكهنة . ولم يمض على هذه الحال زمن مديد حتى شاد النساطرة نحو عام (١٦٢٣م) كنيسة صغيرة في محلة الميدان باسم الشهيدة مسكنتا .[٣] وبعد مدة وجيزة حذا

(١) اربعة قرون ص ٢٣ — ٢٨ و ٦٢ .
(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(٣) نالت القديسة الشهيدة مسكنتا اكليل الاستشهاد في زمن يزدجرد الاول (٤٠٠ — ٤٢١ م) .

حذوه اليعاقبة . واما الارمن فلقلة عددهم بقوا بدون كنيسة . وفي سنة (١٦٢٨م) وصل الزوراء ثلاثة رهبان من الكبوشيين الفرنسيين قاصدين ايران . وقبل ان يغادروها فتحوا مصلى في احدى الدور وكان يتردد اليه النساطرة واليعاقبة والارمن والروم .

ومن السياح الذين كتبوا عن نصارى بغداد الرحالة البرتغالي بدرو تكسيرا (Pedro Texiera) فقد شاهد فيها سنة (١٦٠٤ م) ثمانين بيتاً من النساطرة وعشرة بيوت من الارمن . وافاد الرحالة الايطالي بيترو دلافالي (Petro Della Valle) بان عدد النصارى في دار السلام سنة (١٦١٦ م) كان قليلا وقد وافى معظمهم اليها من ماردين وديار بكر منذ امد غير بعيد .(١)

وفي تلك الغضون كثر عدد الاوربيين الذين مروا ببغداد للمتاجرة . وقبل انتهاء القرن الخامس عشر كانت اساطيل البرتغال تمخر عباب البحار الهندية . وشادت عام (١٥٧٠ م) في الخليج الفارسي قلعة هرمز العظيمة . وكان تجار البندقية وجنوة يسلكون باستمرار الطريق الذي يربط البحر الابيض المتوسط بالسواحل الايرانية .« وكانوا في طريقهم ينزلون في خانات بغداد او (بابل) ويشاهدون النجف اويتلبثون ايام مرورهم في الزبير » (٢).

الكلدان والسريان الكاثوليك

وقد ورد اول مرة ذكر المرسلين الى الاقوام الشرقية ايام الحروب الصليبية فان البابا غريغوريوس التاسع انفذ عام (١٢٣٧ م) الرهبان الدومنيكيين يترأسهم الأب فيليب . ثم قدم الآباء الفرنسيون . وفي سنة (١٥٨٣ م) بعث البابا غريغوريوس الثالث عشر لاونا رد هابيل سفيراً او زائراً رسولياً الى طوائف

(١) تاريخ الارمن الكاثوليك في العراق ص ٤ — ٥ .
(٢) اربعة قرون ص ١ — ٢ و ٥ و ٤٣ و ٩٢ . ومجلة لغة العرب ٣ : ١١ — ١٢ .

الشرق المختلفة . ومنذ عام (١٦٢٢ م) اتى العراق الرهبان الكرمليون ثم الكبوشيون والدومنيكيون (١) . ونشر هؤلاء المرسلون التعاليم الكاثوليكية بين النساطرة واليعاقبة . وكان فى بلادنا العراقية من يعتقد بهذه التعاليم منذ اواخر القرن السادس للميلاد امثال يوسف حزايا اى الناظر واسحق النينوي واشعيا تحلايا ويوحنا سابا وتلميذهم سهدونا الهلموني وغيرهم (٢) . وفى سنة (١٢٤٧ م) تبع البطريرك النسطوري بريشوع (المتوفى سنة ١٢٥٦ م) الكنيسة الكاثوليكية فارسل الربان آرا الى البابا انوكنتيوس الرابع مزوداً بصورة ايمانه . وقد وقع عليها نصارى الصين (٣) . ومار يشوعياب ملكون مطران نصيبين ومطرانان آخران وثلاثة اساقفة (٤) . وفي (سنة ١٣٠٧ م) اقام البابا اقليميس الخامس مطراناً على مدينة كنتون فى بلاد الصين . وفى عام (١٤٤٥م) كتب طيمثاوس اسقف جزيرة قبرص وشعبه صورة ايمانهم الى البابا اوجين الرابع فرحب بهم واصدر براءته المشهورة يأمر بها ان يسمى جميع النساطرة الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية كلداناً (٥) .

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ١٦٩ــ١٧٥ و ١٩٥ . وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٤٢ .

(٢) مجلة النجم ١ : ١١٩ــ١٢١ و ١٧٦ و ١٨١ و ١٠ : ٧ . وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٢٦ . و تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٩٦ــ٢٩٧ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٢٠ .

(٣) دخلت النصرانية في الصين عام (٦٣٦ م) على عهد يشوعياب الجدالي كما يؤخذ من الاثر الحجري المشهور الذي نصبه النساطرة سنة (٧٨١ م) في زمن حنا نيشوع فى مدينة سنغان . ووجد هذا الاثر عام (١٦٢٥ م) . راجع (ذخيرة الاذهان ١ : ٢٨٤ و ٣٤٠ــ٣٤١ . ومجلة النجم ١ : ٢٠٢ــ٢٢٢ و ٢٨٧ــ٢٩٣) .

(٤) تاريخ الكنائس الشرقية ص ٢٦ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٢٢ . وعلاقات الكلدان والكرسي الرسولي للاب شموئيل جميل ص ١ــ١٥

S. Giamil, Gen. Rel. inter Sedem Apostolicam et Chaldeorum Ecclesiam; P. 1-15.

(٥) تاريخ كلدو واثور ٢ : د . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ٤٣٤ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٧٨ و ٣٧٤ . وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٢٦ــ٢٧ . والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديماً وحديثاً للاب يوسف تفنكجي ص ٧ .

J. Tfinkdji, L'Eglise Chaldeenne Catholique Autrefois et Aujourd'hui; P. 7.

غير ان الكنيسة الكلدانية لم تتميز عن الكنيسة النسطورية إلا فى اواسط القرن السادس عشر اذ كانت درجة الأسقفية منذ القرن الرابع عشر منحصرة فى عشيرة بيت الأب (بيت ابونا) ولا يقوم بطريرك إلا من أسرتهم . واول بطريرك اقيم من هذه العائلة طيمثاوس الثاني (المتوفى سنة ١٣٥٠ م) وكان خلفاؤه من اقاربه الى زمان البطريرك شمعون الباصيدي (١) (المتوفى سنة ١٤٧٧ م) الذي أقر هذه القاعدة وأبطل الانتخاب وسن نظاماً يؤيد فيه ان لا يقوم بطريرك إلا من افراد عائلته . ثم اقام خلفاً له احد ذويه وجعله رئيس اساقفة لكي يقوم مقامه بعد وفاته . وقد حذا حذوه من خلفه من البطاركة . (٢) فاغتاظ ابناء الشعب اي اغتياظ من هذه التصرفات وانتخبوا رئيس دير الربان هرمزد يوحنا سولاقا بطريركا عليهم . ثم ارسلوه مزوداً برسائل الى البابا يوليوس الثالث وعند وصوله الى رومة فى (١٨ تشرين الثاني سنة ١٥٥٢ م) تلقاه الحبر الاعظم ولفيف من الكرادلة بمزيد الحفاوة والاكرام وبعد نحو ستة اشهر فى الاحد الجديد من سنة (١٥٥٣ م) اقامه الكرادلة مطراناً . ثم بعد ثمانية ايام ولاه البابا نفسه منصب البطريرك فى كنيسة القديس بطرس امام جماهير لاتحصى عددهم . وحينما عاد الي دياربكر مقر كرسيه وشى به البطريرك النسطوري شمعون برماماي ابن ماما (المتوفى سنة ١٥٥٨ م) الى حاكم العمادية ورشاه بمبلغ من المال فالقى القبض عليه عام (١٥٥٥ م) وزجه

(١) الباصيدي نسبة الى باصيدا احدى قرى اشور فى جوار اربل .

(٢) انهت سلسلة هذه البطريركية الوراثية عندما تبع البطريرك يوحنا هرمزد الكنيسة الكاثوليكية . وفى سنة (١٨٣٠ م) ايده البابا بيوس الثامن باسم بطريرك بابل على الكلدان .

فى ظلمات السجن . ثم خنقه حراسه سراً ورموا جثته ليلا في النهر واذاعوا انه فر هارباً الى مكان مجهول(١).

اما اليعاقبة فمنذ منتصف القرن السابع الميلادي طفق رؤساؤهم يتقربون من الكنيسة الكاثوليكية منهم : جورجي مطران ميافارقين وتلميذه قسطنطين اسقف حران ولاون خليفته واغناطيوس مطران ملطية . وفي سنة (١٢٣٧ م) انفذ البطريرك اغناطيوس داود الى البابا غريغوريوس التاسع صورة ايمانه . وفى سنة (١٤٣٩ م) بعث البطريرك بهنام الحدلي الى البابا اوجين الرابع رسالة خضوعه وايمانه . وفى (٢٠ آب من سنة ١٦٦٢ م) اقيم ديونوسيوس اندراوس اخيجان بطريركاً على السريان الكاثوليك باسم اغناطيوس (٢).

الآباء الكرمليون

جاء الآباء الكرمليون الى البصرة وبغداد عام (١٦٢٢ م) يتقدمهم الاب باسيليوس البرتغالي . وفى سنة (١٦٣٨ م) اقيم اول مطران منهم على بابل واصفهان . ثم غادروا بغداد والبصرة لتزايد الاعتداءات عليهم غيرانهم رجعوا اليهما بعدما تعهدتهم فرنسة بحمايتها . وكان البرتغاليون بعد سنة « ١٦٢٢ م » قد شادوا بيعة فى البصرة . وفى عام « ١٦٥٢م » بنى فيها اغناطيوس النائب الرسولي كنيسة كبيرة باسم العذراء مريم . وكانت فى البصرة اذ ذاك اقليات نصرانية .

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٨١ــ٨٦ و ٨٩ــ٩٠ و ١٣٧ــ١٤٣ . والمكتبة الشرقية ١ : ٥٢٣ و ٢ : ٤٥٧ . ومجلة النجم ٣ : ٣٥١ــ٣٦١ . وتاريخ الكنائس الشرقية ٢٧ــ٣٠ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٢٢ــ٨٢٣ . والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديما وحديثا لتفنكجي ص ٨ــ٩ .

(٢) تاريخ الكنائس الشرقية ص ٤١ــ٦٠ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٢٨٠ــ٢٨٥ .

ثم تركت بيعة البرتغاليين وبقيت بيعة الكرمليين وعين رئيسهم فى سنة « ١٦٧٩ م » قنصلا فرنسياً . ١)

وفي سنة « ١٧٢١ م » اقيم الاب يوسف مارية دارله الكرملي نائباً رسولياً في بغداد .(٢) بيد ان الكلدان والسريان الكاثوليك لم يجسروا على ايوائه في دورهم خوفاً من الوشاة . فبقي مدة ثماني سنوات يتنقل تارة الى ديار بكر واخرى الى البصرة اويقيم فى بغداد بعيداً عن الانظار حتى هرب الى حلب واستقر فيها فارسل عوضه فى اواخر عام « ١٧٢٨ م » السيد عمانوئيل بايه (Baillet) الكرملي نائباً رسولياً . فنزل دار احد الكاثوليك فى دار السلام . فوشي به الى الحاكم فامر بحبسه وعندما سار خبره الى سفير فرنسة عينه قنصلا لدولته فى بغداد . فاطلق سراحه وشرع يعظ ويعلم . ثم نال توصية الى الوالي من نائب ملك فرنسة فى الهند فبنى معبداً فى محلة سوق الغزل باسم مارتوما الرسول وفتح مدرسة للصبيان ووسع ارجاءها سنة « ١٧٥٢ م [٣] وفى تلك الاثناء سنة « ١٧٤٤ م » استولى الارمن الارثوذكس على كنيسة النساطرة في الميدان وهي كنيسة الشهيدة مسكنتا المار ذكرها . ولا تزال فى حوزتهم حتى اليوم [٤] . وقد اراد

(١) اربعة قرون ص ١١٥ و ١١٩ و٢٧٢ـ٢٧٣ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٩٢ـ١٩٥ و ٢٤٠ـ٢٤١ و ٢٤٤ . وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٥٠ .

(٢) اربعة قرون ص ١٣٦ .

(٣) تاريخ الكنائس الشرقية ص ٦١ـ٦٢ . ومجلة لغة العرب ٣ : ٢٤٩ .

(٤) كان قوم من الارمن قد دخلوا بغداد منذ نحو ثلاثة قرون (١٥٨٦ـ١٦٠٦ م) وسكنوا فى محلات النصارى الوطنيين . وكان معظمهم من اقطار ايران وقد لحق بهم غيرهم من بلاد شتى ولاسيما من ديار بكر والاستانة . وعلى الرغم من قلة عددهم فقد عظم امرهم يومئذ فى دار السلام وفي البصرة ونالوا من الثروة والنفوذ مالم ينلها سواهم من مسيحيي العراق (مجلة لغة العرب ٣ : ٥٤٠ـ٥٤١) .

الكاثوليك استرجاعها فلم ينجحوا فوهبت امراة كاثوليكية دارها فبنيت برخصة الوالي مصلى وبعد زمن شادوا فيها كنيسة ثم وسعوها (١).

الاباء الكبوشيون

وفي سنة « ١٦٢٦ م » وافى الاباء الكبوشيون دار السلام. وكان ديرهم في محلة رأس القرية. قال الكاتب الايطالي اوربانو جيري (Urbano Cerri) «للكبوشيين فى بغداد كنيسة ودير وقداحرزوا نجاحاً عظيماً وفازوا باعزازالمسلمين لمهارتهم فى الطب والرياضيات. وكان يتردد الى كنيستهم من تبع الكنيسة الكاثوليكية من السريان والأرمن ويرسلون اولادهم الى مدرستهم ». وقال احد الاباء اليسوعيين الفرنسيين في رسالة سيرها عام « ١٦٧٥ م » من البصرة الى فرنسة بعدما مر ببغداد قادماً من الموصل :« ان المرسلين الكبوشيين نالوا راحة لامثيل لها فى اي مكان آخر من بلاد تركية. ولا يتجاوز عدد المسيحيين فى الزوراء مائتين والف نسمة. وهناك حرية تامة لكل فرقة من الفرق الدينية فى ممارسة فروض معتقدها ».(٢)

وفي سنة (١٦٣٦ م) حلت فئة من الاباء الكبوشيين في الموصل وشرعوا يطببون سكانها فعضدهم الاهلون غير انهم تركوها سنة (١٧٢٤ م) كما كانوا قد غادروا بغداد عام (١٧٠٨ م)(٣).

الاباء الدومنيكيون

وافى الاباء الدومنيكيون الحدباء سنة « ١٧٥٠ م » يتقدمهم الابوان

---

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ١٩٨-١٩٩ و ٣٢١ و ٤٠١-٤٠٢ و ٤٤٤ وتاريخ الارمن الكاثوليك ص ١١-٢١.

(٢) تاريخ الكنائس الشرقية ٥١. وتاريخ الارمن الكاثوليك ص ٧-٩ و ١١ والعراق فى القرن السابع عشر ص ٨١. ومجلة لغة العرب ٢ : ٥٧٥. ونشرة الاحد ٤ : ٦١٧.

(٣) تاريخ الارمن الكاثوليك ص ٧—٩ و ١١. ونشرة الاحد ٤ : ٦١٨.

الايطاليان فرنسيس طورياني [Turriani] وعبد الأحد كوديلنشيني [Codeleoncini] واخذا يتعلمان لغة البلاد ويطببان الاهلين وبعدمتاعب جمةوشدائد وافرةشيدت في الموصل كنيستان كاثوليكيتان احداهما كلدانية والاخرى سريانية (١).

عدد الكاثوليك

كان عدد الكاثوليك في الموصل سنة « ١٧٤٧ م » عشر عائلات كلدانية وعشر عائلات سريانية. وفي قرية تلكيف خمسون ومائة عائلة يتولى شؤونها كاهنان بدون كنيسة. وكان فى قرية باطنايا مائتا عائلة يدبر امورها كاهن واحد وفى قرية القوش مائة عائلة يسوسها كاهن واحد. وفي دهوك ثلاثون عائلة. وفى زاخو اربعون عائلة. وكان في البصرة ثماني عائلات كاثوليكية (٢) واما في الزوراء فصار عددهم سنة « ١٧٥٣ م » ستاً وثمانين عائلة من الطوائف الاربع اي الكلدانية والسريانية والارمنية والملكية. وقد سكنت اربع واربعون أسرة منها في محلة الميدان قرب كنيسة الشهيدة مسكنتا. واثنتان واربعون اسرة في محلة الشورجة فى جوار كنيسة الاباء الكرمليين (٣).

عدد النساطرة واليعاقبة

ويجدر بنا الان ان نتكلم بايجاز عن نساطرة العراق في مطاوي سنة « ١٤٠٨—١٦٨٠ م » نقلا عن تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية (٤). فكان للنساطرة فى الموصل سنة « ١٤٠٨م » ميطربوليط (٥) واربعة اساقفة وعشر

---

(١) مجلة المشرق ١٣ : ٥١٨. وذخيرة الاذهان ٢ : ٣١٨-٣٢١ و ٤٢٩ وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٦٤.

(٢) ذخيرة الاذهان ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢ و وتاريخ الكنائس الشرقية ص ٦٢ و ٦٦

(٣) نشرة الاحد ١ : ٢٠٠.

(٤) نشر هذا التقويم المطران بطرس عزيز في بيروت سنة ١٩١٩م. وهو لمؤلف نسطوري مجهول الاسم عاش فى اواخر القرن الثامن عشر لان اكثر اخباره تقع فى عام (١٠٠٠-١٧٠٠م).

(٥) الميطربوليط كلمة يونانية معناها رئيس المدينة واطلقت على رئيس الاساقفة ويستعمل عوضها اليوم كلمة مطران.

كنائس وعددهم في داخل المدينة تسعة آلاف بيت وفي خارجها ثمانية آلاف بيت يملكون سبعة ديرة يسكنها رهبان عديدون. وكان في خارج مدينة كركوك وفي داخلها الفا بيت يسوس كنائسها الثلاث ميطربوليط واسقف واحد .

وفي سنة « ١٥٠٠ م » كان في داخل بغداد وفي خارجها ستة عشر الف بيت . يدبر شؤون كنائسها العديدة ميطربوليط وسبعة اساقفه وخمسمائة كاهن. وفي شماليها على مسافة ثلاث ساعات دير باسم النبي دانيال والفتية الثلاثة يقطنه مائتا راهب عدا الخدم ويملكون اوقافاً كثيرة من رحى وبساتين ولهم مدرسة واسعة الارجاء يتعلم بين جدرانها رجال الدين الفلسفة واللاهوت والمنطق والهندسة

وكان للنساطرة في اربل سنة (١٦٠٠ م) بيعتان واسقف واحد يدبر امور مائتين والف بيت . وكان عددهم في السليمانية ثمانيائة بيت يملكون بيعتين ويرأسها اسقف واحد . وكانت في المدائن مقر كرسي بطريك المشرق احدى وعشرون كنيسة وفي نواحيها ستون كنيسة. يسوسها سبعة اساقفة وستمائة كاهن والف شماس ويقومون بشؤون ثمانيائة وسبعة عشر الف بيت .

وبلغ عدد النساطرة في البصرة سنة (١٦١٠ م) ثلاثة الاف بيت يدبر كنائسهم الثلاث ميطربوليط واسقف واحد . وكان في الحلة سنة (١٦١٥ م) مائتان والف بيت وكنيستان واسقف واحد ماعدا الكهنة . وفي الكوفة سنة (١٦٨٠ م) ثمانيائة والف بيت برأس كنائسها الثلاث ميطربوليط واسقفان وخمسون كاهناً .

وكان في عمادية سنة (١٦٣٠ م) اسقف واحد وكهنة وشمامسة كثيرون يسوسون ثلاث كنائس في داخل المدينة وخمس عشرة كنيسة في خارجها يتبعها مائتان واربعة آلاف بيت . اما عددهم في زاخو فكان مائتين وخمسة الاف بيت .

وفي عقرة سبعمائة والف بيت يدبر شؤون هتين المدينتين اسقف واحد وكهنة وشمامسة عديدون (١) .

اما اليعاقبة فكثروا وانتشروا في بلاد فارس وفي بلاد سورية كلها ولاسيما الجهات الشرقية والجنوبية منها وفي بلاد اشور والجزيرة والعراق وماجاورها . (٢) وكان عددهم في العراق اقل من عدد النساطرة وقد اتخذ مفريان المشرق (٣) مدينة تكريت مقراً لكرسيه تخضع له عدة ابرشيات في الكوفة وسنجار ومعلثايا وارزن والموصل وبغداد . وكان ينظم امور اساقفتها ويدبر شؤون رعاياها . وازداد عدد هذه الابرشيات ولاسيما عندما اجتاح العرب والمغول دولة الفرس . فان الكثيرين من اليعاقبة غادروا بلاد مابين النهرين ورحلوا الى اقطار فارس وتركستان. (٤)

لقد اشتهرت تكريت بمفارنة المشرق من سنة (٦٢٨ م) حتى منسلخ المائة الثانية عشرة للميلاد. (٥) ثم نقلوا كرسيهم الى دير الشيخ متى فالموصل وشادوا في انحاء اساقفتهم اديارا عديدة ومدارس كثيرة وكنائس فخمة . قال بعض علماء اوربة : « كانت الكنيسة النسطورية في عهد الخلفاء منتشرة وممتدة من الصين حتى اورشليم وجزيرة قبرص . وكان عددهم وعدد اليعاقبة يربو على عدد اليونان واللاتين . (٦)

حالة النصارى العامة

كتب الرحالة الفرنسي تافرنييه (J. B. Tavernier) عن نصارى

(١) تقويم قديم ص ١٤ و١٧—١٩ و ٢٢ .

(٢) التاريخ السعردي ٢ : ٥٤٥ . وذخيرة الاذهان ١ : ٢١٨ و ٣١٤ و ٣٢٤—٣٢٥ .

(٣) نعني بالمشرق هنا البلاد الواقعة في شرقي نهر الفرات .

(٤) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٢٥—٣٢٨ . والتاريخ الكنسي ٢ : ١١٨-١٢٣ .

(٥) انظر ص ٢٣ .

(٦) تاريخ كلدو وآثور ص ٢ : و .

العراق في مطاوي القرن السابع عشر « وكان في الموصل اربع فرق نصرانية وهي الروم والارمن والنساطرة والموارنة (١) . وللكبوشيين مسكن جميل يشرف على نهر دجلة . ولكن الباشا غرمهم لانهم حاولوا ان يوسعوه قليلا فاجبروا على تركه وهجره . وفي تكريت كان يقطن النصارى على مسافة نصف فرسخ من المدينة وتشاهد فيها خرائب كنيسة وقسم من برجها ويظهر من بقاياها انها كانت فيما سبق بناء عظيما . والنصارى فى بغداد ثلاث فرق : النساطرة والارمن واليعاقبة فيصلي النساطرة فى كنيستهم واما الباقون فيصلون فى بيعة الكبوشيين الذين يقومون بالفروض الدينية . وعلى نحو ربع فرسخ من المدينة كنيسة يقصدها المسيحيون للتعبد وهى باسم خضر الياس .(٢) ولكي يسمح لهم بزيارتها يدفعون اجرة زهيدة للاتراك . وعلى مسيرة يومين من المدينة بيعة اخرى فى قرية حقيرة ويقول النصارى ان مار شمعون ومار يهوذا استشهدا هناك ودفنا فيها . واذا توفي احدهم حضر جميع النصارى الى حفلة دفنه ثم يرجعون الى البيت فيجدون الطعام معداً لهم . وفى اليوم الثاني يعودون الى القبر ويصلون على المتوفى . وفى اليوم الثالث يهيئون عشاء للغادي والرائح. وقد يجتمع احيانا في اثناء الدفن نحو خمسين ومائة شخص. ان هذه الرسوم تتكرر فى اليوم السابع والخامس عشر والثلاثين والاربعين بعد الوفاة . وهذا دليل على احترامهم العظيم للميت الذي يصلون من اجله مراراً. لكن هذه العادة التكريمية تكون حملا ثقيلا على الفقراء الذين ينقادون الى تقليد الاغنياء فيبهظون كواهلهم بالديون وقد يبلغ بهم الامر ان يضطروا الى بيع اطفالهم للترك ليقضوا ديونهم (٣) .

---

(١) وهم الرحالة تافرنييه فى ذكر الفرق المسيحية لان الروم والموارنة لم يستوطنوا الموصل قط بل سكنها النساطرة واليعاقبة . واما الارمن فكان عددهم اذ ذاك ضئيلا .

(٢) ليس اليوم فى بغداد بيعة بهذا الاسم . فقد كان فى الجانب الغربى منها جامع يعرف بجامع خضر الياس يطل على نهر دجلة (تاريخ مساجد بغداد وآثارها لمحمود شكري الالوسي (بغداد ١٣٤٦ ﻫ) ص ١٣٣ و ١٤٥) .

(٣) العراق فى القرن السابع عشر ص ٥٩ و ٧٤ و ٨٤ — ٨٥ .

وقال المؤرخ الانكليزي استيفن لونكريك : « ان نصارى العراق في اثناء الحكم التركي العثماني (١٠٤٩ — ١١١٦ﻫ ١٦٣٩ — ١٧٠٤ م) كانوا يعيشون على اختلاف طوائفهم في ظل نظام يكثر فيه التساهل على ما كان فى الولايات الاخرى . فان بغداد كانت عالمية (والمذاهب الاسلامية نفسها مفترقة جداً) الى حد انها لا تشجع شيوع التعصب . وعلاوة على ذلك ان هذه الطوائف ذوات الاقليات من السكان كانت تسلك سلوكاً اخلاقياً كما كان الناس قد الفوهم نظراً لطول اقامتهم ولعدم وجود مايمنع اختلاطهم بباقي السكان . الا انه كان من المنتظر ان يكون بينهم ما يفرقهم عن غيرهم كما كان الامر فى دمشق والقاهرة . فربما كان من المحذور عليهم ان يمتلكوا الرقيق الابيض او يركبوا الخيل . لان حصتهم من هذه الاصناف كانت العبيد الزنوج والحمير . ثم ان التحقير الاعظم الذى كان يقضي بعدم الركوب مطلقاً او بالنزول عند مرور سيد من السادة كان لا يؤتى إلا قليلا. وكانت الطوائف النصرانية هي نفسها كما وجدت فيما بعد. فقد كان للنسطوريين كنيسة خاصة بهم وكانت الدرجات ممثلة للكبوشيين والكرمليين ولم يتدخل الاتراك فى ترددهم الى الكنيسة ولا فى اقامتهم للشعائر النصرانية باكثر من فرض رسم للدخول عند ذهابهم الى كنائسهم او ان يتدخلوا مضطرين فى شراء اطفالهم عبيداً ارقاء عندما كانت نفقات مأتم كبير تفقر عائلة ما لهذا الحد من الافتقار . على ان اثقل حمل كان يثقل كاهلهم ويشترك فى ذلك في الحقيقة القس مع المسلم العامي والزائر الايراني مع الراعي او الحمال — هو التجاؤهم الى استعطاف الحكام العابثين الجهال الذين كانوا يلتهبون بحب المال وبالتعصب الديني تجاه الاقليات الضعيفة الغنية .(١)

---

(١) اربعة قرون ص ٩٤ .

وكان نصارى وادي الرافدين اذ ذاك يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي والحياكة ولاسيما في القرى الشمالية . وكانوا يتعاطون في المدن المهن الحرة والصناعات الشائعة في البلاد كالصياغة والنجارة والحدادة . اويزاولون البيع والشراء في الاسواق او يتقلدون وظائف الترجمة لدى القناصل واما الاغنياء منهم فكانوا يتاجرون . قال جان باتسب روسو قنصل فرنسة في بغداد :« ان نصارى بغداد على اختلاف طوائفهم يعيشون عيشة عديمة الرفاه . وهم يتعاطون البيع والشراء الداخلي ويزاولون مهنة الطباعة على الاقمشة (البصم) وغيرها من المهن اليدوية . واما العدد اليسير من التجار ذوي اليسار فمعظمهم ارمن من استانبول قد أثروا بمعاطاة التجارة بالاحجار الكريمة والشال مع ايران والهند » . (١)

تقلبات الاحوال

رأينا ان السلطان مراد الرابع دخل بغداد سنة (١٠٤٨ هـ — ١٦٣٨ م) فأسند حكمها الى حسن باشا الصغير ثم رجع قافلا الى عاصمته عام (١٦٣٩م) وبعد سنة استبدله بحاكم آخر وهكذا بلغ الحكام حتى اواخر ذلك القرن زهاء ثلاثين حاكما . غيران الحالة تغيرت في مستهل القرن الثامن عشر ايام حسن باشا وابنه احمد باشا . ثم وافى دور المماليك (١٧٥٠ — ١٨٣١ م) واستفحل شأنهم في بغداد واستبدوا بالحكم وقام منهم باشوات خرجوا على الحكومة العثمانية عدة مرات وكان اخرهم داود باشا (المتوفى سنة ١٨٥١ م). (٢) وقد قضى على حكمهم علي رضا باشا سنة (١٨٣١ م) .

---

(١) تاريخ الارمن الكاثوليك ص ١٦—١٧ و ٢٧ و ٣٣ . والاقليات في العالم العربي لحوراني ص ٢١ .

(٢) اربعة قرون ص ٨٨—١٠١ و ١٧٣ و ٢٨٨

مرت هذه الادوار على الاقطار العراقية وقد تجرع الاهلون من جرائها غصص الالام . فما كانت تمضي سنة الاوخرج اوتمرد الوزير على السلطان او اقبل الشاه على الحاكم لاسترجاع الاراضي المقدسة . فكانت البلاد تارة بيد قوم وطوراً بيد قوم اخرين . واما النصارى فكانت مصائبهم انكى ومحنهم اعظم . فقد اضطهدوا في الموصل وبغداد نحو سنة (١٧٠٨ م) وهجم الاشرار في الحدباء على دير الكبوشيين وذبحوا ليلا عام (١٧٢٢ م) الاب بطرس وترك الكرمليون بغداد والبصرة لاشتداد الاعتداءات عليهم (١) .

وازدادت نكبات النصارى عندما وافى طهماسب الثالث المعروف بنادرشاه الى بلاد كردستان . فوصل كركوك وحاصرها واستولى عليها . وكانت عساكره الجرارة حيثما مرت دمرت فنهبت فسبت. ثم سار الى بغداد سنة (١١٤٥هـ—١٧٣٢م) وسير وزيره نركس خان الى الموصل فلم يستطع ان يدخلها . وفي سنة (١١٥٥ هـ — ١٧٤٣ م) هجم طهماسب نفسه عليها هجمات عنيفة باءت بالخسران للهمة الشماء التي بذلها الحاج حسين آل عبد الجليل في كلتا الحملتين اذ كان يحث على النضال اهالي الموصل ومن التجأ اليها من سكان القرى من تركمان وكلدانيين . بيد ان عساكر بنادرشاه كسحت قرى كثيرة عامرة وهدمت كل ماوجدت في كرمليس وبرطلي وتلسقف والقوش وغيرها واخذت تغتال شبابها وشيوخها وتسبي نساءها واطفالها وتنهب دورها وكنائسها وتقتل رهبان معابدها وديرتها ولاسيما دير مار أيليا ويسمى دير سعيد (٢) ودير مار اورهام (٣) ودير الربان هرمزد . قال احد الكتبة المسيحيين : «لقد اصبحت بلاد

---

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٢٤٠ .

(٢) شاد هذا الدير مار ايليا الحيري في اواخر القرن السادس الميلادي وهو واقع في جنوبي الموصل على مسافة خمسة كيلومترات .

(٣) بنى هذا الدير مار اورهام في اواخر المئة السادسة للميلاد ويقع في جوار قرية باطنايا

اشور كلها خرائب أوى اليها اليوم ونعقت على اطلالها الغربان ».[١]

وعلى الرغم من هذه المحن والمذابح فكان عدد الكاثوليك يزداد زيادة مطردة في البصرة وبغداد وكركوك والموصل ونواحيها . [٢] والنساطرة منذ سنة (١٧٩٨ م) غادروا سهول بلاد ما بين النهرين وسكنوا جبال كردستان .[٣] واما اليعاقبة فمكث اكثرهم فى الموصل وفى بعض قراها . ومنذ الربع الاول من القرن الثامن عشر طفق النصارى يأتون الى بغداد والبصرة والموصل وحلب وايران والاستانة للتجارة والارتزاق اوهرباً من الاعتداءات فمكث بعضهم مدة في العراق ثم عاد بعضهم الى اوطانهم واستوطن الباقون وتأهلوا فيه ولم يبق من اعقابهم الا النزر القليل بينما معظمهم قد انقرضوا واضحوا نسياً منسياً [٤] .

حقوق الاقليات

وفى تلك الاثناء لم تكن حقوق الاقليات على اختلاف اديانهم متساوية فى الضرائب وحق التملك والحريات الشخصية . فتداخلت الدول الاوربية تارة بدافع ديني بحت وطوراً بدافع ديبلوماسي اوجبته سياسة التوازن الدولي حتى وضعت لهم السلطنة العثمانية نظاماً خاصاً تخول رؤساء الطوائف غير المسلمة ادارة شؤون رعاياهم بعد ان يؤيد السلطان انتخابهم بفرمان خاص . ومنحم حرية العبادة

(١) تاريخ الموصل ١ : ٢٧٣ — ٢٩٠ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٣١٦ — ٣١٧ . واربعة قرون ص ١٤٤ — ١٦٢ . وعصر السريان الذهبي ص ١٠٢ . واثر قديم فى العراق ص٨٢ — ٨٤ . وتاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٤٧ .

(٢) ذخيرة الاذهان ٢ : ٣٦١ـ٦٢ و٣٦٥ و٣٦٨ . و٣٩١ وتاريخ الارمن الكاثوليك ص ٥ و ٤٤ـ٤٩ .

(٣) تاريخ الكنائس الشرقية ص ٢٥ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٣٩١ .

(٤) مجلة لغة العرب ٢ : ٢١ و ٣ : ٢٤٧ـ٢٥٢ و ٣٦٠ـ٣٦٥ و ٤٢٤ـ٤٢٨ و٦٢٥ـ٦٣٢. ومجلة نشرة الاحد ١ : ١٢٠ـ١٢٧ و ٢٠٠ـ٢٠٨ .

وصلاحية الفصل في قضايا الاحوال الشخصية بموجب القوانين الكنسية الا ان بيت المال طفق يتقاضى الجزية من اهل الكتاب اضعافاً مضعفة لقاء تسامح السلطان فبلغ ما يجبى منهم في وقت من الاوقات ثلث الدخل العام [١] فقد نال الفرمان او البراءة السلطانية البطريرك السرياني اندراوس عام (١٦٦٤ م) وفاز بها البطريرك الكلداني يوسف الاول عام (١٦٧٧ م) وحظي البطريرك الكلداني يوسف الثالث (المتوفى سنة ١٧٥٧ م) بلقب بطريرك بابل .[٢] وكانت الحكومة العثمانية تصدر البراءات السلطانية باسم النساطرة طبقاً للقاعدة الثابتة فى سجلاتها القديمة ولم تدونها باسم الكلدان الا فى عهد البطريرك نيقولاوس زيعا (المتوفى سنة ١٨٤٥م) [٣].

وعلى الرغم من هذه الاصلاحات التي وضعها السلاطين فقد بقي وضع الاقليات وضعاً شاذاً . فلم يكن يسمح للنصارى بممارسة الحقوق المعترف بها الا اذا تزلفوا لذوي السلطان والزلفى تنتهي بصاحبها الى الضعة والانحطاط . في سنة (١٧٩٩ م) استشهد في دار السلام يونان الكركوكي [٤] وفى اليوم الرابع والخامس والسادس من ايلول عام (١٨٠٢ م) جار الانكشاريون فى الزوراء على النصارى طالبين منهم الاموال تحت ستار ظلام الليل [٥] . وفى سنة (١٨٠٥م) ضرب في الموصل عنق جرجيس الشهيد المعروف بالمقتول [٦] وفى مطاوي ست سنوات او اكثر (١٨٢٦ — ١٨٣٢م) كان محمد باشا امير راوندوز المعروف بمير كور [٧] يعيث

(١) النصارى في الشرق ص ١٢ـ١٨ . وتركيا بين جبارين ص ٨ـ٩ .

(٢) تاريخ الكنائس الشرقية ٣٤ و ٥٦ . وذخيرة الادهان ٢ : ٢٢٨ و ٢٨٤ و ٣٥٢ و ٣٦٧ .

(٣) ذخيرة الاذهان ٢ : ٣٠٨ـ٣٠٩ . ومجلة النجم ٢ : ١٥٤ـ١٦٧ .

(٤) ذخيرة الاذهان ٢ : ٤٠٠ـ٤٠١ .

(٥) مجلة لغة العرب ٤ : ٨٠ .

(٦) ذخيرة الاذهان ٢ : ٤٠٢ـ٤٠٤ .

(٧) معنى ميركور بالكردية الامير الاعور لاصابته بعلة فى احدى عينيه .

فساداً في الاقطار الشمالية العراقية وقد قتل عدداً عديداً من المسيحيين . ثم اقبل الي القوش وحاصرها واباد من سكانها خلقاً كثيراً [١] وفي سنة (١٨٣٦ م) استشهد في بغـداد مانوك الارمني ببسالة عجيبة [٢] وفي سنة (١٨٤٢م) نـكل اسماعيل باشا امير عمـادية بنصارى القرى الجبلية تنـكيلا ذريعاً فنهب مساكنهم وكنائسهم وديرتهم (٣).هذا فضلا عن الاعتداءات التى كانت تتوالى على نصارى العراق من قبل الحـكام من وقت الى آخر (٤).

انهيار الامبراطورية

كان علي رضا باشا قـد قاوم حـكم المماليك وقضى عليه سنة (١٨٣١ م)(٥) فدخل العراق في عهد جديد اذ اصبح ولاته خاصعين لمشيئة الباب العالي يستمدون سلطتهم منه ولا يستعصون عليه . بيد ان هذا التبدل لم يتبعه تبدل جوهري فى الادارة ولم يطرأ تحسن فى الاحوال العـامة . لان عوامل التحسن لم تـكن متوفرة في الشعب . والامبراطورية العثمانية كادت ان تنهار نظير كل دولة تبلغ ذلك الشان العظيم بدون ان تقيمه على اسس راسخة من الحرية والعدل والاخاء والمساواة .

طفقت الامبراطورية العثمانية تتقهقر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وبدأ المؤرخون يصفونها بالرجل المريض . ولـكنها بقيت على فراش الاحتضـار زمناً طويلا . وراح السـاسة العظام يضعون الخطط لتقسيمها . وعلى الرغم من

(١) اربعة قرون ص ٢٠٨ . ومجلة النجم ٣ : ٤٥٥-٤٥٧ . وتاريخ الموصل ١ : ٣٠٦-٣٠٧ . واثر قديم فى العراق ص ٨٨ .

[٢] تاريخ الارمن الكاثوليك ص ٢٧ .

[٣] اثر قديم فى العراق ص ٢٨ و ٨٩ ومجلة المشرق ٣ : ٨٨٦-٨٨٧ . وتاريخ الموصل ١ : ٣١٢-٣١٣ .

[٤] ذخيرة الاذهان ٢ : ٣٨٠ و ٣٨٩-٣٩٠ و ٣٩٢ .

(٥) انظر ص ١٣٥ .

اقتطاع بعض اجزائها .(١) في اواسط القرن التاسع عشر سنة (١٨٦٠ م) كانت تبسط جناحيها على رقعة واسعة تبلغ مساحتها زهـاء سبعة وخمسين واربعمائة الف وثلاثة ملايين كيلو متر مربع . وكان عدد سكانها يقدر بخمسين وثلاثمائة الف وخمسة وثلاثين مليون نسمة . منهم واحد وعشرون مليوناً من المسلمين وخمسون وثلاثمائة الف واربعـة عشر مليونا من غير المسلمين وثلاثة عشر مليوناً من الارثوذكس وما يقارب المليون من الـكاثوليك.(٢)

تسنم السلطان عبد المجيد منصة اجداده ورای ان قوانين البلاد لاتوافق روح الزمان ولا سير الحضارة الحديثة . فتلا فى الثالث من تشرين الثاني سنة (١٨٣٩م) على مسمع من الموظفين الـكبار وممثلي الدول مرسومه المعروف بفرمان[غولهانه الشريف] يتضمن لرعاياه كافة حياة يسودها الاطمئنان . وتصان معها الثروات والاعراض من عبث العابثين . ومن مراميه الاصلاح وصيانة الحرية الشخصية واحترام الملـكية ونظام ادارة الجماعات غير المسلمة وغير ذلك مما انعش البلاد وبث فى القوم حب الرقي وان لم يعمل به (٣) . وفى ١٨ شباط من عام (١٨٥٦م) اصدر مرسوماً آخر ادرج فيه حقوق النصارى وسلطة رؤسائهم الدينية وتدبير شؤون مؤسساتهم هذا فضلا عن احكام عادلة فى حرية التدين والتمذهب باي دين او مذهب كان . ٤) فاستبشر النصارى بهذه العهود واذكت فى نفوسهم العاطفة الوطنية .

استمرت الحال على هذا القرار تارة ينشر السلاطين المراسيم واخرى يعدون بالاصلاح بينما كانت الدولة تسير الى الدمار والانهيار . فبعد ان تقاصرت حدودها المترامية اخذت الثورات الداخلية تنشب اظفارها فى ممتلكاتها . وكانت نقمة الشعب

(١) كان الصرب اول من رفعوا لواء العصيان على الحكم العثماني ونالوا استقلالهم الداخلي سنة (١٧١٧ م) .

(٢) تركيا بين جبارين ص ٧—٨ .

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٢٥٣—٢٥٤ .

(٤) نزهة المشتاق ص ١٧٦-١٧٧ وتركيا بين جبارين ص ١٢-١٣ .

تتعاظم والثورة تجيش فى النفوس . وماضاعف النقمة واذكى الثورة سياسة التفريق بين العناصر والتمييز بين الطوائف فهبت طائفة من المفكرين تقاوم هذا الوضع وتناشد السلطان ان يضع له حداً وتدعو الامة الى اقامة صرح الدولة المتداعي على اساس راسخ . وكان فى طليعة هولاء المفكرين مصطفى باشا فاضل الذي هرب مع عدد من الاحرار الى اوربة فسير الي السلطان عبد العزيز خطاباً مفتوحاً دعاه فيه الى تجديد شباب الدولة بدستور يتساوى امامه المسلمون والنصارى فى الحقوق وفي الواجبات . ومما قال فى سطوره : « ليس في هذا الوجود سياستان : مسلمة ومسيحية . العدل واحد وما السياسة الا العدل تجري على يد السلطان . ان نظامنا القديم يضنينا . انه افسد طباع ساستنا وحط من نفوسهم فافسدوا من طباع الدولة وحطوا من مقامها . . . »
وقال مدحت باشا ابو الدستور العثماني : « ان السبب الوحيد لتذمر المسيحيين في الدولة العثمانية هو فقدانهم الحرية فمتى منحوها عطفوا على الدولة وشعروا بانهم جزء منها (١)

افتتح سنة (١٨٧٦ م) البرلمان العثمانى الاول فى سراي بشكطاش (٢) غير انه لم يجد نفعاً لان البلاد كانت فى حاجة ماسة الى تنظيم واصلاح وكان احجام السلاطين عن تحقيق ذلك داعياً الى تدخل الدول الاوربية وانسلاخ اجزاء جديدة من الدولة .(٣) وما زاد فى اضعاف الامبراطورية العثمانية الانقسام الداخلي وحل مجلس النواب من حين الى آخر وتعاقب الوزارات بسرعة غريبة (٤) حتى دخلت ساحات الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٩ م) الى جانب المانية وحليفاتها فتنغص في اثنائها عيش النصارى وغيرهم واضطربت احوالهم ولاقوا انواع الجور والعذاب . فنفى القائد نورالدين وجوه بغداد الى الموصل ومن هناك اراد ان

(١) مدحت باشا ص ٧ .
(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٣١ .
(٣) تركيا بين جبارين ص ١٩ــ٢٠ .
(٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٦٧ .

يرسلهم الى درسيم بيد ان عوامل حالت دون مراده . وفى نواحي الحدباء المسيحية ضيق الحكام وغيرهم الخناق على سكانها وابتزوا اموالهم واستحوذوا على مؤنهم وفى القرى الشمالية قتل من النصارى جم غفير وانهزم الباقون الى المدن .(١) وقبل احتلال دار السلام اهلك سراً عدد من المسيحيين ورميت جثثهم فى نهر دجلة بعد تعذيبهم والتنكيل بهم .

سير العلوم

على الرغم من مراسيم السلاطين ووعودهم الخلابة فلم يطرأ اي تحسن جوهري فى احوال العراق الدخلية . غير ان سكانه اندفعوا الى اقتباس المعارف على اختلاف انواعها وتقدمت النهضة العلمية فيه تقدما حثيثاً ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر حينما امتزجت الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية . وهذا الامتزاج كان حافزا للشرقيين على طلب العلم وبناء المدارس وانتشار الصناعة والصحافة (٢) والمكتبات العديدة الحافلة بالكتب والمخطوطات . وكانت المطبعة الكلدانية فى طليعة المطابع فى الموصل التي اقامها المحسن الكبير الشماس رفائيل مازجي (المتوفى سنة ١٨٦٦م) (٣ .

هبط الديار العراقية الغربيون فاختلطوا بسكانها واصبح هذا الاختلاط اوضح وامتن بعدما عقدت المعاهدات التجارية بين ملوك الغرب وسلاطين بني عثمان واجيز للرهبان الغربيين ان يقطنوا البلاد . ٤) ثم وفدت البعثات تشيد المكاتب وتعلم الاحداث (٥) . وما زاد هذه النهضة نمواً سفر طائفة مختارة من

(١) راجع عن هذه المذابح كتاب
J . Naayem : Les Assyro-Chaldeens et les Armeniens massacres par les Turcs ; (Paris ; 1920) .
(٢) اداب العربية فى القرن التاسع عشر ١ : ٢ ٣ و ٤ ؛ ٤٧ و ٧١ــ٧٣ و ٢ : ٦٠ــ٦٢ .
(٣) راجع ترجمة حياته فى مجلة النجم ٢ : ٢٩ــ٣٨ . ومجلة المشرق ٥ : ٢٧١ .
(٤) ذخيرة الاذهان ٢ : ٧٦ــ٧٩ . والمكتبة الشرقية ٣ : ٢ ص ١٣١ و ٣٢ ؛ ٤٣٢ــ٤٣٣ وتاريخ الكنائس الشرقية ٢٦ــ٢٧ و ٥٠ــ٥٥ و ٦٠ــ٦٣ و ٧٩ــ٨٠ .
(٥) الاقليات في العالم العربي لحوراني ص ٢٥ ــ ٢٦

الادباء العراقيين المسيحيين الى مدارس الغرب فوافوا اوطانهم ورفعوا منار المعارف واحيوا معالمها كما مهدوا وسائل التهذيب ووفروا اسباب الثقافة فكانوا حجر الزواية في بنيان النهضة الاخيرة . فكان من هذه وتلك منشأ المدارس الافرنجية . ثم وجب على العثمانيين ان لا يسيروا القهقري فانتدبوا أساتذة غربيين درسوا في معاهد الاستانة العلمية وخرج منها معلمون انتشروا في جميع اقطار مملكتهم .

ومن ساعد على النهوض الادبي العراقي في اواخر القرن الثامن عشر وفي مطاوي القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف المسيحية منهم البطريرك السرياني اغناطيوس ميخائيل جروه (المتوفى سنة ١٨٠٠م) . والبطريرك الكلداني يوحنا هرمزد (المتوفى سنة ١٨٣٨ م) بمساعدة الاب الكلداني جبرائيل دنبو (المتوفي سنة ١٨٣٢ م) والبطريرك الكلداني يوسف اودو (المتوفى سنة ١٨٧٨ م) وغيرهم.(١)

ففي بغداد في غرة آب من سنة (١٨٧٨ م) فتحت ابواب مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي وقد قامت بتأسيسها الطوائف الكاثوليكية الثلاث اي الطائفة الكلدانية والسريانية والارمنية وازدهرت ازدهاراً باهراً وانجبت تلاميذ امتازوا بعلمهم وادبهم . وقضت نحبها في اواخر سنة (١٨٩٣ م) .(٢) وفي خلال سنة (١٨٩٣—١٩١٤ م) تقدمت مدرسة القديس يوسف بفضل الاباء الكرمليين ولاسيما ايام كان مديرها الاب ماري جوزيف دي جيزو (المتوفي سنة ١٨٩٨) .(٣) وقد خرج منها جمهور من الشبان لا يزالون يشغلون اليوم المراكز التجارية والوظائف الحكومية . وفي سنة (١٨٨٠ م) وافت بغداد راهبات

(١) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٥—٦ و ٧٤—٧٥ و ٢ : ٦٢—٦٣ . ومجلة المشرق ٣ : ٩١٣ . ومجلة النجم ٢ : ٢٩—٣٨ و ٩٩—١١٢ و ١٤٥—١٥٣ . وذخيرة الاذهان ٢ : ٤١٨ . واثر قديم في العراق ص ٨٤—٨٨ .

(٢) تاريخ الارمن الكاثوليك ص ٣٤ .

(٣) مجلة المشرق ١٥ : ١٦٥—١٧٣ .

التقدمة وفتحن ابواب مدرستهن للبنات المسلمات والمسيحيات وسعين كل السعي لتثقيف اخلاقهن وتعليمهن القراءة والكتابة وتدريبهن على الاشغال البيتية .

وفي تلك الاثناء تقدمت مدارس الموصل المسيحية ولاسيما مدرسة المرسلين الدومنيكيين الذين كانوا قد وافوا الحدباء سنة (١٧٥٠ م) واسسوا فيها مطبعتهم عام (١٨٦٠ م) . ثم اقبلت اليها عام (١٨٧٣ م) الراهبات المعروفات باخوات المحبة وفتحن المدارس للبنات واجتهدن في تدريبهن على الفضائل والتضلع من القراءة والخياطة والتطريز . وفي سنة (١٨٥٣م) وسع الارمن الارثوذكس غرف مدرستهم بمساعي الاستاذ مهران سفاجيان الاستانبولي. وفي [سنة ١٨٩٥م] منح مطران بغداد السرياني اثناسيوس نوري من تركة المرحوم فتح الله بن نعمة الله عبود مبلغاً قدره (١٥٠٠٠) فرنك اشترى بها داراً يعود ريعها السنوي الى المدرسة الافرامية الطائفية .(١) وفي عام (١٨٩٧م) وسع كلدان بغداد قاعات مدرستهم وادخلوا فيها تدريس العلوم الحديثة .

تلك كانت حالة النهضة العلمية عند النصارى في الزوراء وفي سائر المدن العراقية . فقد جروا مع غيرهم من ابناء البلاد في حلبة المعارف لا يثنون عن عزمهم او يحرزوا غايتهم المنشودة . فتعاطوا نظيرهم الاعمال الحرة وقدموا الصنائع المحلية وشادوا المباني التهذيبية وعربوا المؤلفات المفيدة ونشروا الكتب القديمة بل لم يدخروا وسعاً في بذل ما عندهم من القوى لتوفير الرقي في ارجاء الاوطان .

اشهر الادباء والمؤلفين

وعرف في عهد العثمانيين جمهور من البطاركة الافاضل خدموا العلم ورفعوا قبابه . ثم صنفوا والفوا فسالت اخلاقهم وعواطفهم في كتاباتهم وتمثلت معاني النبل

(١) السلاسل التاريخية ص ١٧٠—١٧٣ .

في رسائلهم فكانوا العلماء الذين لا يشق غبارهم ولا تلحق اثارهم . نزيد على ذلك خدماتهم الجليلة لابناء جنسهم . ومن اشهرهم البطريرك يوسف الثاني الكلداني (المتوفى سنة ١٧١٣ م) . كان مسقط راسه قرية تكليف واسم ابيه جمعة واسم امه شموني من بيت معروف . وهو من العلماء المحققين وجهابذة اهل النظر المدققين . وقد وضع مصنفات عربية تقوية عديدة منها : طب الخطاة ومصباح النور وفرح الصديقين . وسطر سفراً في شرح الاسرار وآخر في السيرة الروحية دعاه المغناطيس . وجمع في كتاب اخبار جميع المجامع المسكونية وقوانينها هذا فضلا عن قصائده الكلدانية واناشيده الدينية التي ادمجت حديثاً في الصلوات القانونيـة وتتلى ايام الاعياد والتذكارات . وخير ما حبره سفره (المرآة الجلية) دحض فيه البدع المنتشرة في الشرق بالبينات الملزمة والحجج المفعمة تعرب عن رسوخ قدمه في علم الفلسفة واللاهوت (١)

ومنهم البطريرك باسليوس اسحق جبير السرياني (المتوفى سنة ١٧٢١ م) . ولد في الموصل وبعد ان اتقن اللغة الارمية والعربية قرأ على الرهبان الكبوشيين اللغة اللاتينية والايطالية . ثم ارسل الى رومة وتضلع من جميع العلوم اللاهوتية ورجع الى بلاده ساعياً وراء خير طائفته . وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تحمله من اعدائه فقد قضى معظم عمره منعكفاً على تصنيف الكتب النفيسة . ووضع في العربية سفر مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة . وسطر خمسين ومائة خطبة في كتاب سماه العلل لدفع الملل . والف نحواً سريانياً عنوانه انارة الاحداث . وعرب عن اللاتينية كتاب فلسفة ارسطو والمختصر في الالهيات

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٢٣٥ — ٢٣٩ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٨٠ — ٨٨١ . والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديماً وحديثاً لتفنكجي ص ١١ . وعلاقات الكلدان والكرسي الرسولي ص ٢١٣ .

لمار توما الاكويني في اربعة مجلدات . وترجم من الايطالية الى السريانية كتاب الاقتداء بالمسيح طبع في رومية عام (١٨٥٧ م) . (١)

ومن الكهنة الذين اشتهروا اذ ذاك بالعلم والفضيلة القس خدر الموصلي الكلداني (المتوفى سنة ١٧٥٥ م) . كان في زمانه من ائمة الادب شديد الشكيمة جم الفضائل يحسن اللغة الارمية والعربية والتركية والايطالية . هرب الى رومة سنة (١٧٢٥ م) خوفاً من البطريرك النسطوري ومات هناك . وقد الف كتباً شتى فسيحة العبارة محكمة السبك منها : معجم كلداني تركي اسماه معدن الكنوز لكشف الرموز في اربعة مجلدات ضخمة واسعة التبويب غزيرة المادة بلغت الكلمات المشروحة من الكلدانية الى التركية نحو (١٣٤٠) كلمة . ومعجم كلداني عربي صنفه في عاصمة ايطاليا سنة (١٧٣٧ م) . وخطب ومراث عربية تتلى على الموتى وقد تحدى في اسلوبها ايليا الحديثي المعروف بابي حليم . ورحلته من الموصل الى رومة هذا عدا قصائده العربية والكلدانية في مدح العذراء مريم والكنيسة الكاثوليكية وهي حسنة الوشي بليغة المعنى . وقد عرب كتاب مدخل العبادة للقديس فرنسيس دي سايس ونقل الى الكلدانية كتاب التعليم المسيحي لبلومنيوس وكتاب الاقتداء بالمسيح . (٢)

وممن ظهر في تلك الاونة آدم العقراوي الكلداني (المتوفى سنة ١٦٢٢ م) . كان رئيس دير الربان هرمزد ومن الادباء المعروفين في ايامه . وقد اقبل الطلاب عليه يقتبسون منه العلم والادب . وسطر مصنفات ورسائل بالكلدانية فاق بها

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٢٩٤ — ٢٩٦ . والسلاسل التاريخية ص ١٢٠ — ١٣١ . وتاريخ الموصل ٢ : ١٥٨ — ١٥٩ . ومجلة المشرق ١١ : ٢٨٦ .

(٢) ذخيرة الاذهان : ٣١٥ — ٣١٦ . ومجلة النجم ٢٥٨ — ٢٦٤ و ٢٩٤ — ٢٩٨ . و ٣٤٠ — ٣٤٤ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٨٢ .

معاصريه وبلغ الغاية فى براعة الانشاء . ونظم قصائد رائعة الاسلوب بليغة اللهجة ولاسيما قصيدته المشهورة التي يثنى بها على الربان هرمزد . وقد ادخل في كل بيت منها ست قواف متحدياً وزن الشاعر نرسي . ومن اجود مؤلفاته كتابه التعاليم والحقائق الكلدانية ضمنه ثلاث مقالات : حبر الاولى منها فى الموصل سنة (١٦١٠ م) اجابة لرغبة البطريرك ايليا السادس (المتوفى سنة ١٦١٧ م) . ووضع الثانية والثالثة فى رومة فى غضون عام (١٦١٢ —١٦١٣ م) . ونقل هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية . وهو من الاسفار التي تنطق ببعد غور مؤلفه فى الاداب الارمية وتضلعه من العلوم الدينية هذا فضلا عن محاسنه الانشائية واحكام فنونه الكتابية (١)

ونبغ في ذلك الحين اسرائيل وكيوركيس الالقوشيان الكلدانيان . عاش اسرائيل فى القرن السابع عشر الميلادي ونشأ فى قريته واخذ الادب عن علمائها فاصبح راسخ القدم في اللغة الكلدانية خبيراً بفنون الشعر . وكان حسن المحاضرة وافر الذكاء وقد اكثر في نظمه استعمال القافية اقتداء بالشعر العربي كما انه قصد القصائد في الارمية العامية اي السورث . ومعظم قريضه فى الدين والرثاء والتوبة (٢) واما كيوركيس (المتوفى سنة ١٧٠٠ م) فكان شاعراً مجيداً وقد ادخل فى شعره الارمي اساليب الشعر العربي . ومن انفس نظمه قصيدته التاريخية فى اسفار مار توما رسول الهند .(٣)

واشتهر فى مطاوي القرن التاسع عشر الميلادي القس الكلداني يوسف العينكاوي (المتوفى سنة ١٧٣٢م) .ولد فى راوندوز وقدم مع ابيه ابراهيم الى قرية

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ١٧٦ ـ ١٨٧ . وتاريخ الموصل ٢ : ١٣٨ . ومجلة النجم ٨ : ٢٢٢ـ٢٢٣ . واثر قديم فى العراق ص ٦٨ و ٨٢ . والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديما وحديثا لتفنكجي ص ١٢ـ١٣ .

(٢) تاريخ الموصل ٢ : ١٣٨ . وذخيرة الاذهان ٢ : ١٨٦ .

(٣) تاريخ الموصل ٢ : ١٣٨ و ١٥٩ .

عينكاوة وسكن فيها . ثم اقيم كاهناً عام (١٧٩٠ م) وارسل الى كركوك ومن هناك الى دار السلام . وقد نظم بالتركية قصائد عديدة ومراثي كثيرة للاموات. وصنف معجما بالارمية الفصحى والعامية الدارجة ونحواً ارمياً وترجم من العربية الى الارمية كتاب ياقوت الكهنة وميزان الزمان والتاملات فى آلام المسيح. ونقل من الارمية الى التركية كتاب ياقوت الكهنة وكتاب شرح الاسرار للبطريرك الكلداني يوسف الثاني (المتوفى سنة ١٧١٢ م) والاناجيل الاربعة (١)

ومنهم المطران السرياني اقليميس يوسف داود (المتوفى سنة ١٨٩٠ م) . ولد فى عمادية عام (١٨٢٩ م) وبعد بلوغه الخامسة عاد به ابوه الى الموصل مسقط رأسه ودرس فى المدارس الابتدائية ثم ارسل الى مدرسة غزير للاباء اليسوعيين فى بيروت واتم دروسه في رومة وحاز شهادة الملفنة فى الفلسفة ونال اربع جوائز فضية مع نوط ذهبي لتفوقه على اقرانه فى علم اللاهوت . وفى سنة (١٧٥٥ م) رجع كاهناً الى الموصل ووضع مصنفات فريدة في بابها منقطعة النظير في ايجازها واسهابها . فهو اول من زود البلاد العراقية بكتب مهذبة على الطريقة المدرسية فى الصرف والنحو والعروض والخطابة والتأريخ والجغرافية والحساب وسائر فنون الادب . وعام (١٨٧٨) سقف على مدينة دمشق وجد في انشاء المعاهد ولاسيما فى القرى واقام مكتبة يضن الزمان بمثلها لما حوته من الاسفار الخطية الشرقية . اما مؤلفاته وما نقح وجمع وترجم فجاوزت الثمانين مجلداً وقد طبع منها زهاء الاربعين ومن انفسها : (١) النصارى فى حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها. (٢) اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية . (٣) نحو اللغة السريانية (باللاتينية) . (٤) مختصر تاريخ السريان [بالفرنسية] . (٥) تقليد البيعة السريانية فى رئاسة

(١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٣٩٧

الرسول بطرس وخلفائه (باللاتينية) . «٦» تعليم البيعة السريانية فى انبثاق الروح القدس (بالسريانية) . «٧» لغة اهل دمشق العربية فى ايامنا (بالفرنسية) . «٨» مقالات شتى طقسية وتهذيبية (باللاتينية والايطالية » . ومن مصنفاته غير المطبوعة «١» مختصر تاريخ الطائفة السريانية الكاثوليكية . «٢» مجموعة خطب ومواعظ «٣» التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة . «٤» علم الهندسة . «٥» علم الجبر [١]

ومنهم البطريرك الكلداني جرجيس عبد يشوع خياط (المتوفى ١٨٩٩ م) ولد فى الموصل عام (١٨٢٨ م) وشغف بالعلم من صغره ولما توسم فيه رؤساؤه آيات الذكاء والفطنة ارسلوه الى رومة ليتلقى فيها العلوم الدينية والمدنية فنبه فيها واستوعب دقائقها ثم رجع الى وطنه وحسر عن ساعد الجد واقبل يدرس ويهذب ويعلم ويؤلف الكتب المدرسية اللغوية والعلمية ثم انتخب سنة (١٨٦٠ م) مطرانا على عمادية فديار بكر وسعى لتثقيف الشعب مذللا الصعاب ممهداً العقبات فنال من الجميع المكانة العالية . وغب عشرين سنة قضاها بالاعمال المبرورة رقي الى بطريركية الطائفة الكلدانية فقام باعباء رعيته خير قيام وسلك بها مسلك الجد والثبات . وعام (١٨٩٧ م) وافى بغداد واحتفل بتدشين بيعة الكلدان .

كان مار جرجيس عبد يشوع عالماً فاضلا وكاتباً نحريراً وخطيباً مصقعاً ذرب اللسان يقرع الاذان بخطابه وهو يتقن من اللغات الغربية اللاتينية واليونانية والايطالية والفرنسية . ومن اللغات الشرقية العربية والارمية والتركية والعبرية وكان فى اكثر هذه اللغات كاتباً بارعاً ولاسيما فى اللغة العربية . فقد وضع فيها مؤلفات نفيسة مهذبة اللفظ انيقة الوشي ونظم قصائد بديعة صحيحة الديباجة متناسقة الفقر هذا فضلا عن تفقهه فى الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وما عدا

(١) السلاسل التاريخية ص ٢٩٠—٣٠٩ . وكتاب القلادة النفيسة فى تقييد العلم والكنيسة (بيروت ١٨٩١) . تاريخ الموصل ٢ : ١٧٠—١٧١ . الاداب العربية فى القرن التاسع عشر ٢ : ١٠٧—١٠٨ .

مصنفاته المدرسية فقد حبر فصولا مهمة في تاريخ المشارقة الكلدان . وطبع فى مطبعة الاباء الدومنيكيين في الموصل كتابه (الفصول الانسية في التواريخ القدسية) عربه عن تاريخ بيلز [Bileze] وعلق عليه المقدمات وذيله بالحواشي ووشاه بدرر الفوائد الا ان اثمن كتبه سفره الموسوم بالسريان المشارقة والاحبار الاعاظم وقد وضعه باللغة اللاتينية فايد فيه عصمة الحبر الروماني من صلوات وآثار واقوال اباء الكنيسة الشرقية وطبعه في رومة سنة (١٨٧٠ م) .[١]

وعرف فى تلك الاونة نعوم فتح الله سحار الكلداني (المتوفى سنة ١٩٠٠ م) ولد في الحدباء وتلقى علومه في مدرسة الدومنيكيين ومازال يجد ويكد حتى رسخت قدمه في فنون اللغة العربية والتركية والفرنسية . ولما اتم دروسه انتدبته المدرسة المذكورة للتدريس فزاده هذا المسلك تفوقاً وتوسعاً في المعارف وفي الوقت نفسه احبه رؤساؤه فولوه رئاسة الاشراف على التعليم وعهدوا اليه مراقبة اعمال الطباعة واسندوا اليه الوكالة العامة عن اشغالهم لدى الحكومة العثمانية فقام بواجباته كلها احسن قيام . اما مؤلفاته فعديدة حبرها باللغة العربية والتركية تنطق بتضلعه من هتين اللغتين وصاغ قصائد دقيقة النظم جزلة العبارة . ومن مصنفاته : رواية لطيف وخوشابة وكتاب احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب . ومن كتبه التركية : التحفة السنية لطلاب اللغة التركية . وكتاب الكلمات « بالتركية والعربية » وقد طبعت هذه الاسفار في الموصل .[٢]

ومنهم هرمز بن انطون رسام الكلداني (المتوفى سنة ١٩٠٠ م) . ولد فى الموصل عام (١٨٢٦ م) ولما بلغ اشده ارسله اهله الى لندن ليتلقى العلوم وطنق

(١) تاريخ للموصل ٢ : ٢٧٢ . والاداب العربية فى القرن التاسع عشر ٢ : ١٠٩ . ومجلة المشرق ٣ : ٨٨٩ . والكنيسة الكاثوليكية قديما وحديثاً لتفنكجي ص ١٧ . وعلاقات الكلدان والكرسي الرسولي ص ٤٥٥ .

(٢) تاريخ الموصل ٢ : ٢٧٣—٢٧٤ . ومجلة المشرق ٤ : ٢٧٧ .

بجد في درس الآثار القديمة حتى اصبح من ائمة زمانه فى معرفـة التاريخ القديم . فرافق الأثري المشهور السر اوستن لايارد للوقوف على الآثار العراقية . وفى سنة (١٨٤٧ م) عاد الى انكلترة ليتضلع من معارفه في جامعة اوكسفورد . وبعد سنتين رجع ليكون بصحبة السر لايارد فاستقصى الآثار وعثر على قصر اشور بانيبال في نينوى[1]. وفى عام «١٨٦١م» انتدب الى عدن ليحسم النزاع القائم يوم ذاك بين امام مسقط وبين اخيه سلطان زنجبار فكان النجاح حليفه . وسنة «١٨٦٤م» توجه الى تيودور عاهل الحبشة لينقذ الاجانب الذين كان قد زجهم في السجن وبعد مشاق جمة استطاع ان يطلق سراحهم . ثم اصطفاه المتحف البريطاني ليقوم بادارة الحفريات في عواصم اشور وبابل وارمينية فنجح فى اعماله . ومن انفس مصنفاته «١» اشور وارض نمرود . «٢» الاراضي الكتابية . «٣» جنة عدن .[2]

وظهر فى تلك الاثناء المطران توما اودو الكلداني «المتوفى سنة ١٩١٥ م». ولد في القوش عام «١٨٥٥» ومال من حداثته الي الادب فبعث الى عاصمة ايطالية وتضلع هناك من كل علم ثم عاد الى الموصل وقام بخدمة طائفته . فارسله رؤساؤه الى حلب وتولى شؤون كنيستها بجد واخلاص فانتخب اسقفاً على اورمية وقتل ايام الفتن التي ثارت فى بلاد العجم مع عدد من ابناء رعيته . كان من الاباء الذين يشهد لهم بالتقدم والنباهة فى فنون الكتابة الارمية . فقد صنف سفراً في الفقة الكنسي طبعه فى الموصل وهو ينطق بطول باعه في هذا العلم ورسوخ قدمه في الفلسفة . يؤيد قوله بالبرهان والحجة الملزمة . وحبر كتابا في اللاهوت في جزئين ووضع معجما اسماه « كنز اللغة الارمية » طبعه فى الموصـــــل سنة « ١٨٩٧ م » وقد جمع

---

(١) عثر المنقبون فى قصر اشور بانيبال على المكتبة الملكية التى كانت تتألف من (٣٠٠٠٠) كتاب تبحث في الاديان والعلوم والاداب وقد نقلت الى المتحف البريطـاني وهي ذات قيمة لاتثمن بمال .

(٢) تاريخ الموصل ٢ : ٢٧٤ـ٢٧٦ واثر قديم فى العراق ص ٢ .

في صفحـاته شتات هذه اللغة وضمنه فصولا مستوعبة لشواردها عدا ما اودعه من الفوائد الانشائية الجمة (١)

ومنهم المطران الكلداني اديشير « المتوفى سنة ١٩١٥ م » .ولد في شقلاوة سنة « ١٧٦٨ م » وتلقى علومه في مدرسة القديس يوحنا الحبيب الكهنوتية للاباء الدومنيكيين في الموصل . وقد انهى دراسته بتفوق على سائر اقرانه . فاقيم كاهناً عام «١٨٩٩م» وارسل الى كركوك ثم سقف سنة «١٩٠٢» على سعرد وابدى نشاطاً لا نظير له في خدمة شعبه وبجده اذخر في حقيبة قلبه عدة لغات شرقية فغربية ونبغ فى علوم عقلية فنقلية حتى اصبح من العلماء المعدودين . خدم اللغة الكلدانية خدمات عظيمة فوضع كتباً لقراءة الاحداث على الأساليب المصرية منها « القطافة » وهو سفر ادبي جمع بين دفتيه ما جادت به قرائح ادباء هذه اللغة . والف كتاب صلوات ضمنه اخص عواطف الدين واسمى حقائق الايمان مع تاملات يومية ثم حبر كتاب اكليل مريم فأودعه مدائح البتول العذراء لكنيسة النساطرة . اما خدماته للغة العربية فأعظم بها . فقد عرب كتاب شهداء المشرق في مجلدين ضخمين وذيلهما بفوائد تاريخية جزيلة النفع وطبعهما في الموصل سـنة «١٩٠٠م» ووضع بحثاً كافياًوافياًعن مدرسة نصيبين وعمن قاد دفة رئاستها طبعه في بيروت عام « ١٩٠٥ » . والف كتابه في الالفاظ الفارسية العربية وطبعه في بيروت سنة « ١٩٠٨ م » . ونشر جدول الكتب الكلدانية القديمة المحفوظة في الشرق وحبر اخيراً كتابه « تاريخ كلدو واثور » في ثلاثة اجزاء طبع منها جزئين في بيروت «١٩١٢ــ١٩١٣م» . واما الجزء الثالث فحالت دون طبعه الحرب العالمية الاولى . وقد بحث في الجزء الاول عن الدولتين الاشورية والكلدانية وعلى الممالك التي ظهرت على مسرح التاريخ البشرى الشرقي بعد الاسكندر

---

(١) تاريخ الموصل ٢ : ٢٧٦ . ومجلة النجم ٢:٣٠٧ــ٣١٨. ومجلة المشرق ٤ :٥٩١ .

القدوني. وتبتدئ ابحاث الجزء الثاني بعهد انتشار الديانة المسيحية في بلاد مابين النهرين وتنهي باخبار البطريرك يشوعياب الثاني « المتوفى سنة ٦٤٥م » .

هذا وادرج مقالات تاريخية في المجلات الغربية اقبل العلماء المستشرقون على مطالعتها اى اقبال حتى احرز استحسان جميعهم فمنح وساماً وخول رتبة في جمعياتهم . وقد وصف مخطوطات متحف بورجية السريانية في رومة وكتب مقالات في المجلة الاسبوعية الفرنسية عن علماء الكلدان ونشر تاريخاً قديماً عربياً للكنيسة وضعه احد ادباء النساطرة وعلق عليه الشروح الوافية . ثم اقام مكتبة عامرة في مدينة سعرد جمع فيها نفائس الكتب القديمة والحديثة غير انها نهبت في الحرب العالمية الأولى كما انه قتل في اثنائها مع جماعة من ابناء طائفته (١)

ومنهم الأب شموئيل جميل « المتوفى سنة ١٩١٧ م » . ولد في قرية تلكيف عام [١٨٤٧ م] ومنذ صباه اولع باقتباس العلم فانضوى الى الحيــاة النسكية في دير الربان هرمزد واقبل على الدرس والمطالعة وكان على جانب عظيم من الذكاء والفطنة . فارسل الى رومة عام [١٨٩٦ م] وقضى هناك عشر سنوات تضلع في مطاويها من العلوم العقلية واللسانية ونال القدح المعلى في الفلسفة واللاهوت ثم رجع كاهناً الى بلاده وطفق يدرس ويثقف ويؤلف ويفيد الذين يقصدونه فاصبح المثل الصالح لتلاميذه يتحدون اسلوبه في الانشاء الكلداني ويأخذون نفوسهم بالطبع على غراره في دماثة الاخلاق وعلو الهمة ونزاهة النفس . فانتخب ثلاث مرات رئيساً عاماً للديرة الكلدانية وارسل زائراً بطريركيا الى الجبال الهيكارية ونائبا بطريركيا في رومة وقد تولى في اثناء هذه المدة شؤون اعماله بما لا تزيد عليه من الحنكة والاخلاص وصدق الخدمة والتفاني . اذ وسع أبنية الديرة وابتاع

(١) مجلة النجم ١ : ١٦٧—١٧٦

لها الاراضي الواسعة ووقف لها اوقافاً لا ينضب معينها . وفي الوقت نفسه سعى لخير طائفته واهتم بمصالح رهبانه الروحية والادبية وهو لا يمل من التاليف والتصنيف .

كان الاب شموئيل راهباً باراً غزير العلم جم المزايا قوي الحجة رحب الصدر متبحراً في اللغة الارمية مستوعباً اسرار دخائلها متفنناً في اساليبها الكلامية جامعاً في نثره ونظمه بين المتانة والرقة . ومؤلفاته بها وبغيرها من اللغات كثيرة يبلغ عددها عشرين مؤلفاً ماعدا الرسائل العديدة المفيدة المحفوظة في مكتبة دير السيدة . فمن مصنفاته المطبوعة : «١» كتاب الدفاع يشمل على نضال الاباء المشارقة عن ايمانهم بين يدي كسرى بن هرمزد ملك الفرس سنة (٦١٢ م) . «٢» المذهب اليزيدي ترجمه من الكلدانية الى الايطالية . «٣» علاقات الكلدان والكرسي الرسولي وضعه باللغة اللاتينية . ومن اهم كتبه الخطية التي لا تزال نسخها في مكتبة الدير المذكور : «١» كتاب جامع المؤلفين يتضمن تراجم علماء الارمية الذين وردت اسماؤهم في جدول عبد يشوع الصوباوي . «٢» تاريخ انتشار المذهب النسطوري في الشرق . «٣» كتاب المعادن اللاهوتية . «٤» كتاب قواعد اللغة الارمية . «٥» كتاب الرحلة الى الجبال الهيكارية وهي السفرة الشاقة التي قام بها واستغرقت حولا كاملا وقد وصف قممها واوديتها ومواقعها وطبائع قاطنيها بعبارات معقولة رائقة الديباجة (١) .

هؤلاء وغيرهم ممن يطول استقراؤهم كانوا زعماء الادب في القرن التاسع عشر رفعوا منار العلوم وعززوا جانب المعارف وفي الوقت نفسه خدموا اللغات خدمات جليلة بمؤلفاتهم النفيسة ورسائلهم الرائقة .

(١) تاريخ الموصل ٢ : ٢٧٧—٢٧٨ . ومجلة النجم ٣ : ١٠—١٨ ؛ وآثار قديمة في العراق ص ٩١—٩٣ .

وهناك جمهور من الادباء طبعوا الكتب القديمة ونشروا فوائدها بين الناس . وآخرون نظموا القصائد الدينية ووضعوا القصص الادبية باللغة الارمية والعربية العاميتين امثال اسكندر زغبي المعروف باسكندر الحلبي المشهور باسكندر الاعمى وتوما تكتك التلكيفي « اواسط القرن التاسع عشر الميلادي » وداود كورا اي الاعمى من قرية مار يعقوب القريبة من دهوك . والقس دميانوس كونديز الراهب الالقوشي « المتوفى سنة ١٨٥٥ م » وغيرهم . فان منظوماتهم الشعرية لجديرة بالنشر لبلاغتها وجودة معانيها ودقة الفاظها .



الفصل التاسع

نصارى العراق في عهد الحكم الوطني

الاحتلال البريطاني

بقيت الاقطار العراقية في حكم العثمانيين زهاء (٣٨٤) سنة . وكانت في مطاوي اغلب هذه السنين ميداناً لاضطرابات داخلية فخارجية لانهم لم يفكروا في توحيد رغبات الشعب ولا في وسائل تهذيبه . بل سعوا لتمزيق شمله وجدوا في تضعيف القومية العربية ولاسيما عندما اقاموا جمعية الاتحاد والترقي . ولما وقف العرب على نوايا الحكومة العثمانية عقدوا الخناصر على صيانة حقوقهم فهبوا مطالبين استقلالهم القومي . ثم سافر عدد لا يستهان به من شباب الحجاز والشام والعراق الى الغرب فوجدوا هناك من يشد أزرهم . ثم اخذت هذه الفكرة سنة (١٩١٣ — ١٩١٤ م) تنمو وتنتشر في ارجاء البلاد العربيـــة حتى عقدوا مؤتمراً في باريس عاصمة فرنسة وألفوا جمعيات متعددة منها جمعية العهد العراقي . وبينما كانت هذه الجمعيات تطالب باستقلال العرب في المجالس والمجتمعات والنوادي يعضدها رجال الصحافة والسياسة تأججت نيران الحرب العالمية الاولى عام (١٩١٤ م) فاندلعت ألسنتها على تركيـــة وطفقت الدولة العثمانية تحارب بين صنوف المانيـــة وحليفاتها تريد ان تعيد مجدها الغابر فاقرت انكلترة ان تهاجمها في الشرق الادنى ومن ضمنه العراق . فاستولت على البصرة في (١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م) ثم احتلت القرنة وما زالت الحرب سجالا حتى دخلت دارالسلام ليلة (١٦ اذار سنة ١٩١٧ م) . ففرح الاهلون ولهجت الجرائد المحلية بهذه الافراح ولاسيما حينما اعلن الجنرال مود فاتح بغداد بان البريطانيين لم يأتوا هذه البلاد فاتحين بل وافوها ليحرروها من نير الحكم العثماني .

بعد الجهود

بقيت الادارة في العراق بيد السلطات العسكرية البريطانيـة وقد قامت باصلاحات عمرانيـة . فمدت السكك الحديدية في القسم الجنوبي من العراق واصلحت الشؤون الصحية ونشطت الزراعة وفتحت المدارس ... وفي (٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ م) اصدرت انكلترة وفرنســة تصريحهما المشترك بتاسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من ارادة شعوبها . فتسلم العراق بعد ثورته ادارة حكومته الوطنيـة فى (٢٣ آب سنة ١٩٢١ م) يوم تتويج الامير فيصل ملكا عليه . ونال استقلاله فى (٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ م) يوم دخوله عصبة الامم .

لم يقع فى عهد الاحتلال البريطاني ولا فى عهد الحكم الوطني مايعكر صفاء الوحدة العراقية . فقد عاش نصارى وادي الرافدين بين مواطنيهم على اختلاف اديانهم وتباين مذاهبهم مسالمين متحدين ولم يتخلفوا عن مبا راتهم فى سائر الامور المادية والمعنوية بل كانوا ولا يزالون يخدمون الوطن ويرفعون منار المعارف ويمهدون وسائل التهذيب .

ان نصارى العراق مبثوثون فى انحائه ويزيد عددهم اليوم على مائة وعشرين الف مسيحي . وهم يتمتعون بحرية تامة في عقائدهم وعباداتهم يظللهم الاخاء الوطني الذي حافظوا عليه فى كل مكان وفى كل زمان .

ان نصارى العراق واهله متحدون ليبنوا مستقبلهم على اساس قومي بحت ويساهموا في النهضة العربية التي لاحت تباشيرها من طورس الى خليج البصرة . وانهم كاقلية ذاقت الامرين فى السابق تتوق ان تعمل فى الشرق المحرر الى جانب سكانه .

لقد ناضل نصارى بلادنا عن الحكم الوطني وساندوا النهضة العربية ونادوا برأيهم على رؤوس الاشهاد . فاذا هو راي لايشوبه طابع اقليمي اوطائفي .

وكفاهم فخراً يوم تضافر نصارى الموصل وقراهـا فى سبيل تعزيز العراق . قال بطريرك الكلدان يوسف السابع غنيمة فى منشوره البطريركي : « اننا جميعنا ابناء وطن واحد وكانا تجمعنا غاية واحدة : هي رفع شان هذا الوطن واسعاده اذ يعمل كل منا فى دائرته وبحسب وسائطه على تحقيق هذا الهدف السامي . يقضي علينا اذاً واجبنا المسيحي والوطني معاً ان نكون ومواطنينا قاطبة قلباً واحداً متحاشين عوامل التفرقة والتباعد فنسير واياهم يداً بيد . خاضعين لقوانين البلاد ومهتدين بارشاد حكومتنا الرشيدة ومتخذين الاخلاص والنزاهة رائداً لنا في حياتنا الشخصية وفى علاقاتنا الاجتماعية على مر الايام » (١)

اشهر الادباء والمؤلفين

من اشهر الادباء والمؤلفين الذين عرفوا فى الاونة الاخيرة المطران الكلداني ارميا طيمثاوس مقدسي (المتوفى سنـة ١٩٢٩ م) . ولد فى قرية القوش سـنة (١٨٤٧ م) وترهب فى ديرالربان هرمزد عام (١٨٦٤م) وبعدما تلقى فيه مبادئ العلوم ارسله رؤساؤه الى رومة وبجده برع فى كل نوع من المعارف ونال درجة الملفنة فى الفلسفة وعلم الفقه الكنسي ثم رجع وهو كاهن الى ديره سنة (١٨٧٩م) وطفق يدرس رهبانه اللاهوت النظري والادبي والمنطق . وفى عام (١٨٩٢ م) سقف على زاخو وتوابعها ووضع باللغة الكلدانية عدة خطب . وحبر سفراً جليلا فى المنطق والفـغيره فى اللاهوت الادبي وقدنشر فصولا منه . وطبع كتابه في قواعد اللغة الكلدانية فى مطبعة الدومنيكيين فى الموصل ونظم قصائد فى الدين والاخلاق والتاريخ تشهد له بعلو المنزلة العلمية والبراعة الفائقة فى الكتابة (٢)

ومنهم المطران الكلداني بطرس عزيز (المتوفى سنة ١٩٣٧م) . نشأ في

---

(١) منشور بطريركي لغبطـة مار يوسف السابع غنيمة بطريرك بابل على الكلدان (المطبعة الكلدانية سنة ١٩٤٨) ص ١٠ـــ١١ .

(٢) مجلة النجم ١ : ٤٣٣ـ٤٣٦ . واثر قديم فى العراق ص ٩٣ـ٩٤ .

الحدباء ودرس في مدرسة الاباء الدومنيكيين ثم ارسل الى رومة ونبغ في الدروس اللاهوتية والفلسفية وفي عدة لغات شرقية فغربية . ثم عاد كاهناً الى وطنه وتفانى في سبيل خير شعبه . فاقيم عام (١٩١٠ م) مطراناً على سلماس الايرانية وانتدب الى رومة وخطب هناك خطباً علمية تاريخية باللغة الايطالية واللاتينية نالت اعجاب واستحسان سامعيه . وفي سنة (١٩٢٩ م) انتخب رئيساً لاساقفة زاخو . ووضع عدة رسائل باللغة الارمية بيدان اكثر مؤلفاته باللغة العربية منها كتاب المنطق والفلسفة النظرية والطبيعية وكتاب اسرار الكنيسة وقد دعم كلامه بشهادات ملافنة الكنيسة الكلدانية . وكتاب تقاليد النساطرة واليعاقبة في رئاسة الاحبار . ونشر تقويماً قديماً للكنيسة النسطورية علق عليه الحواشي الثمينة وصدره بمقدمة باللغة العربية والفرنسية . وحبر مقالات كثيرة وفصولا تاريخية وادبية وفلسفية ضافية الاذيال في مجلة المشرق البيروتية وغيرها من المجلات تؤيد تضلعه من كل علم وفن(١)

ومنهم البطريرك السرياني اغناطيوس افرام الثاني (توفي سنة ١٩٣٩ م) . ولد في الموصل عام (١٨٤٩ م) وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة الاباء الدومنيكيين وفي سنة (١٨٦٣ م) ارسل الى مدرسة انتشار الايمان في رومة وفاز بشهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت . وفي سنة (١٨٩٨م) نودي به بطريركا . فكان من اكابر علماء عصره غزير المادة واسع العلم وافر الذكاء يحسن اكثر من اثنتي عشرة لغة شرقية وغربية . وقد برع في علوم الطقوس الكنسية ونال فيها القدح المعلى . اما مصنفاته وما ترجم ونقح من الكتب فجاوزت الثلاثين اغلبها في الدين والفقة الكنسي والتاريخ ومن اشهر اسفاره العربية : (١) مختصر التواريخ المقدسة . (٢) التواريخ القديمة . (٣) تاريخ القرون الوسطى . (٤) الطقوس البيعية . (٥) سير

(١) مجلة النجم ٧ : ٢٠١—٢١٤ و ١٠ : ٣٢—٣٨ .

القديسين . ومن كتبه غير العربية : (١) معجم سرياني يحتوي على الالفاظ التي اهمل ذكرها في المعاجم الكبيرة ثم شرحها باللاتينية . (٢) كتاب عهد ربنا (بالسريانية واللاتينية) . (٣) نبذ ومقالات من مؤلفات كتبة السريان القدماء (بالسريانية واللاتينية) . (٤) قصائد مار افرام « بالسريانية واللاتينية » . «٥» مناشير بطريركية « بالعربية والفرنسية » هذا فضلا عما جمع ونشر من الكتب القديمة وما سطر من المؤلفات التي لم تطبع حتى الآن ١)

ومنهم الاب انستاس ماري الكرملي (المتوفى سنة ١٩٤٧م) . ترعرع في دار السلام وانخرط في سلك تلاميذ مدرسة الاباء الكرمليين . وفي سنة (١٨٨٦ م) عين مدرساً في صفوفها وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره . ثم رحل الى شفرمون في بلجيكة واتم دراسة اللاهوت في مونيلية في فرنسة . وفي سنة (١٨٩٤ م) رقي الى درجة الكهنوت . وفي خلال الحرب العالمية الاولى نفاه العثمانيون الى الانضول . وفي سنة (١٩٢٠ م) انتخب لعضوية المجمع العلمي العربي في دمشق . وفي عام (١٩٣٢م) اختاره مجمع فؤاد الاول للغة العربية في مصر ليكون عضواً فيه . وقد منحته الحكومة البريطانية وساماً ولقب M. B. E كما منحته الحكومة الفرنسية وسام اوفيسيه دكادمي . كتب العلامة الكرملي في اكبر المجلات العربية مقالات تنبئ عن تضلعه من لغة العرب ووقوفه على فنون الكتابة هذا فضلا عن سعة اطلاعه وعلو كعبه في اشتقاقاتها . وقد اصدر مجلة لغة العرب فكانت في مقدمة المجلات الراقية التي تعني بالشؤون العلمية واللغوية . وكتب في صفحاتها نخبة من الكتاب والادباء والباحثين في الشرق والغرب . اما مؤلفاته فكنز لا يثمن ومعين لا ينضب . ومن انفس كتبه المطبوعة : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها . ونخب الذخائر في احوال الجواهر . واغلاط اللغويين

(١) السلاسل التاريخية ص ٣٩٢—٤٠٠ .

الاقدمين . واديان العرب . والنقود العربية وعلم النميات . وتذكرة الشعراء . وجمهرة اللغات . ومختصر تاريخ العراق ... ومن كتبه غير المطبوعة : المعجم المساعد بخمسة مجلدات كبيرة . وشعراء بغداد وكتابها . الغرائب . والرغائب . والعرب قبل الاسلام . والسحائب . والمجموعة الذهبية . ومعجم غربي فرنسي مطول ... (١)

هولاء وغيرهم كانوا من زعماء النهضة الادبية العراقية . وقفوا حياتهم لتثقيف الشعب وخدموه خدمات جليلة بمصنفاتهم الغالية ورسائلهم البليغة امثال الاساتذة داود صليوا وفرنسيس اوغسطين جبران ورزوق عيسى والدكتور سليمان بك غزالة ...

وهناك طائفة من الادباء المسيحيين العراقيين الاحياء يتقنون عدة لغات شرقية فغربية ولا يزالون يشيدون صروح الاداب وينشرون الوية التهذيب في ربوع بلادنا المحبوبة . فكتبهم المطبوعة ومقالاتهم العديدة في المجلات العلمية والادبية وتفانيهم فى سبيل المشاريع الوطنية تنطق ببعد غورهم فى المعارف وصدق اخلاصهم للبلاد . مد الله فى ايامهم ومتعنا بنفثات اقلامهم .

(٤) الكرملي الخالد لجورج جبوري (بغداد ١٩٤٧) ص ب — ي . وسدنة التراث القومي لروكس بن زائد العزيزي (القدس ١٩٤٧) ص ٧—٧٥ .

مراجع الكتاب

الكتب العربية

أثر قديم في العراق : دير الربان هرمزد لكوركيس حنا عواد (الموصل ١٩٣٤) .

اخبار الحكماء لجمال الدين القفطي (مصر ١٣٢٦ هـ) .

الاخبار الطوال لاحمد بن داود الدنيوري (ليدن ١٨٨٨) .

اخبار فطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان (رومة ١٨٩٩) .

الاداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو (بيروت ١٩٠٨—١٩١٠) .

ادباء العرب لبطرس البستاني (بيروت ١٩٣١) .

اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لستيفن لانكريك تعريب جعفر خياط (بغداد ١٩٤١) .

الاصول الجليلة فى نحو اللغة الارامية للمطران يعقوب اوجين منا (الموصل ١٨٩٦) .

الاعلاق النفيسة لابن رستة (ليدن ١٨٩١) .

الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (مصر ١٢٨٥ ه) .

بغداد فى عهد الخلافة العباسية لغي لسترنج تعريب بشير يوسف فرنسيس (بغداد ١٩٣٦) .

تاريخ الارمن الكاثوليك فى العراق للدير نرسيس صائغيان (بيروت ١٩٤٤) .

تاريخ الامم والملوك للطبري (الطبعة الاولى — المطبعة الحسينية الاولى) .

تاريخ بابل واشور لجميل نخلة المدور (بيروت ١٨٩٣) .

تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان (مصر ١٩١٤—١٩٢٠) .

تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك (مصر ١٨٩٦) .

تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني « ليبسيك ١٨٤٨» .

تاريخ العبر وديوان المبتدا والخبر لابن خلدون « باريس ١٢٩٠ هـ » .

تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي « بغداد ١٩٣٥ » .

تاريخ الكامل لابي الحسن علي بن الاثير «مصر ١٢٩٠ هـ» .

تاريخ كلدو واثور للمطران ادي شير « بيروت ١٩١٢—١٩١٣» .

تاريخ الكنائس الشرقية للمنسفيور عبد الاحد جرجي « بغداد ١٩٢٢» .

تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون « مصر ١٩٢٩» .

تاريخ مختصر الدول لابن العبري « بيروت ١٨٩٠» .

تاريخ الموصل للاب سليمان صائغ «مصر ١٩٢٣ وبيروت ١٩٢٨ » .

تاريخ اليعقوبي «ليدن ١٨٨٣» .

تركيا بين جبارين لباسيل دقاق «بيروت ١٩٤٧» .

التصوير عند العرب لاحمد تيمور باشا «مصر ١٩٤٢» .

تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية نشره المطران بطرس عزيز [بيروت ١٩٠٩] .

حضارة الاسلام في دار السلام لجميل نخلة المدور [مصر ١٨٨٨] .

الحوادث الجامعة لابن الفوطي [بغداد ١٣٥١ هـ] .

الحيرة : المدينة والمملكة العربية لصاحب المعالي يوسف غنيمة [بغداد ١٩٣٦] .

خلاصة تاريخ العراق للاب انستاس ماري الكرملي [البصرة ١٩١٩] .

خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي (بيروت ١٨٨٥).

الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم (حمص ١٩٤٠) .

دليل الراغبين في لغة الاراميين للمطران يعقوب اوجين منا (الموصل ١٩٠٠) .

الديارات النصرانية في الاسلام لحبيب زيات (بيروت ١٩٣٨) .

الديورة في مملكتي الفرس والعرب لايشو عدناح تعريب المطران بولس شيخو (الموصل ١٩٣٩) .

رحلة بنيامين ترجمة عزرا حداد (بغداد ١٩٤٥) .

ذخيرة الاذهان للاب بطرس نصري (الموصل ١٩٠٥—١٩١٣) .

السلاسل التاريخية لفيليب دي طرازي (بيروت ١٩١٠).

شعراء النصرانية بعد الاسلام للاب لويس شيخو (بيروت ١٨٩٠—١٨٩٢) .

شعراء النصرانية قبل الاسلام للاب لويس شيخو (بيروت ١٩٣٤) .

شهداء المشرق للمطران ادي شير (الموصل ١٩٠٠) .

صبح الاعشى للقلقشندي (مصر ١٣٣٣ هـ) .

ضحى الاسلام لاحمد امين (مصر ١٩٣٨) .

ظهر الاسلام لاحمد امين (مصر ١٩٤٥) .

العراق في القرن السابع عشر لتافرنييه تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٤٤) .

العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان (مصر ١٩٢٢) .

عصر السريان الذهبي لفيليب دي طرازي (بيروت ١٩٤٦) .

عصر المامون لاحمد فريد رفاعي (مصر ١٣٤٦ هـ) .

العصور القديمة لبراستد تعريب داود قربان (بيروت ١٩٢٦) .

عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (مصر ١٢٩٩ هـ).
فتوح البلدان للبلاذري « ليدن ١٨٦٦ » .
فجر الاسلام لاحمد امين « مصر ١٩٤٥ » .
الفخري لابن الطقطقى « الطبعة الثانية — مطبعة المعارف بمصر » .
الفهرست لابن النديم « ليبسيك ١٨٧١ » .
الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للاب انستاس ماري الكرملي « بغداد ١٣٢٩هـ » .
قاموس الكتاب المقدس ترجمة وتأليف جورج بوست « بيروت ١٨٩٤ » .
كتاب الامتاع والموانسة لابي حيان التوحيدي « مصر ١٩٣٩ » .
كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي « ليدن ١٨٩٣ » .
كتاب تقويم البلدان لابي الفداء « باريس ١٨٤٠ » .
كتاب الثمرة في الاصول النحوية للمطران اقليميس يوسف داود «الموصل ١٨٧٦»
الكشاف للزمخشري « مصر ١٣٥٤ هـ » .
اللمعة الشهية للمطران اقليميس يوسف داود « الموصل ١٨٩٦ » .
اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والاداب السريانية للبطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم « حمص ١٩٤٣ » .
المجدل لعمرو بن متي « رومة ١٨٩٦ » .
مجلة سومر لمديرية الاثار القديمة العامة فى بغداد .
مجلة الضياء للشيخ ابراهيم اليازجي فى مصر .
مجلة لغة العرب للاب انستاس ماري الكرملي فى بغداد .
مجلة المشرق للاباء اليسوعيين فى بيروت .
مجلة النجم للبطريركية الكلدانية في الموصل .
مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميدالله الحيدر آبادي « مصر ١٩٤١ » .

مختصر تاريخ العرب لسيد الامير علي تعريب رياض رافت «مصر ١٩٣٨»
مدرسة نصيبين للمطران ادي شير « بيروت ١٩٠٥ » .
مراصد الاطلاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق « ليدن ١٨٥٢ » .
مروج الذهب للمسعودي [باريس ١٨٦١—١٨٧٧] .
مدحت باشا لقدري قلعجي [بيروت ١٩٤٧] .
مسالك الامصار لابن فضل الله العمري [مصر ١٩٢٤] .
المعارف لابن قتيبة [مصر ١٣٠٠ هـ] .
معجم البلدان لياقوت الحموي [ليبسيك ١٨٦٦ — ١٨٧٣] .
معجم ما استعجم للبكري [غوتنجن ١٨٧٧] .
نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق لصاحب المعالي يوسف غنيمة [بغداد ١٩٢٤].
نشرة الاحد للمنسنيور عبد الاحد جرجي في بغداد
النصارى فى الشرق لبيير روندو تعريب دار المكشوف « بيروت ١٩٤٧ » .
النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو « بيروت ١٩١٢ — ١٩١٩ » .

الكتب الكلدانية والسريانية

التاريخ الكنسي لابن العبري « لوفان ١٨٧٢ — ١٨٧٧ » .
سير الشهداء والقديسين طبعة بيجان « ليبسيك ١٨٩٠ — ١٨٩٥ » .
كتاب الرؤساء لتوما المرجي «طبعة بيجان ١٩٠١» .
مشيحزخا طبعة الاب الفونس منكنة «الموصل ١٩٠٧» .

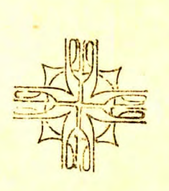
الكتب الافرنجية

Assemani : Bibliotheca Orientalis . Roma , 1719-1728 .
Chabot : Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens . Paris , 1902 .
Clay : Light on the Old Testament from Babel . London , 1907 .
Duval : La Litterature Syriaque . Paris , 1907 .
Giamil : Genuinae Relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Caldaeorum Ecclesiam . Roma , 1911 .
Hourani : Minorities in the Arab World . Oxford , 1947 .
Johns : Ancient Babylonia . Cambridge , 1913 .
King : A History of Babylon . London , 1919 .
Labourt : Le Christianisme dans l ' Empire Perse . Paris , 1904 .
Lloyd : Twin Rivers . Oxford , 1943 .
Marmardji : Diatessaron de Tatien . Beyrouth , 1935 .
Maspero : Histoire Ancienne des Peuples de l ' Orient . Paris , 1899 .
Naayem : Les Assyro-Chaldeens et les Armeniens massacres par les Turcs . Paris , 1920 .
Rawlinson : Five Great Monarchies . London , 1871 .
Scher : Histoire Nestorienne (Chronique de Seert) Paris , 1907 .
Tfinkdji : L ' Eglise Chaldeenne Catholique Autrefois et Aujourd ' hui . Paris , 1913 .
Wigram : The Assyrians and their Neighbours . London , 1929 .

الفهرست

محتويات الكتاب

الصفحة



اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صوابه
٩	٤	سنه	سنة
١٣	٦	الدبح	الذبح
١٥	٦	يزدجزد	يزدجرد
٢٧	١٤	ونحا	دنحا
٢٨	١٣	تتقن	يتقن
٢٨	١٣	يبعنن	يبعن
٣٠	١٦	ظرانيهم	ظهرانيهم
٤٠	١٨	٦٥٠	٢٩٠
٤٨	١٦	السروج	سروج
٥٥	٣	الابيض	الابيض المتوسط
٦٦	٩	كعب	كعبة
٧٢	١٢	النصارى	النصارى وغيرهم
٧٢	١٧	١٢٥٩	١٢٢٩
٧٣	٥	المفربان	المفريان
٧٩	٢١	الملك على	الماثون
٨٧	٢١	مسالك الابصار	كذلك ص ٩
٩٠	١	كائس	كنائس
٩٢	١٢	رتق	ريق
٩٥	٧	الصميمي	الصميم
١٠٢	٨	ابو الفرح	ابو الفرج

صفحة	سطر	غلط	صوابه
١١١	٣	يفرقه	يغرقه
١٢٠	٢	كرامليس	كرمليس
١٢٦	١٦	العمادية	عمادية
١٣٧	٦	والموصل وحلب	والموصل من حلب
١٤٢	١١	حازفاً	حافزاً
١٤٤	١٧	يدخروا	يذخروا
١٤٥	٣	تكليف	تلكيف
١٤٥	١٢	باسليوس	باسيليوس
١٤٥	٢١	الكدان والكوسي الرسولي	الكلدان والكرسي الرسولي
١٥٨	٥	مواطينا	مواطنينا
١٧٠	١٠	الانكشارون	الانكشاريون



الصفح

أ
أ
ب
ب
ج
د
ه
و
و
و
و
ز
ز

١